الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي بغرداية
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا وإسبانيا) من1069هـ-1139هـ/1659م-1727م

مذكرة شهادة الماجستير في تخصّص التاريخ الحديث

إعداد الطالب: إشراف : أ د / عمار بن خروف
بن قايد عمر

لجنة المناقشة

أ.الدكتور: بحاز إبراهيم.....رئيسا
أ.الدكتور:بن خروف عمار ..... مشرفا ومقررا
الدكتور:بوسليم صالح ..... عضوا مناقشا
أ.الدكتور: حوتية محمد..... عضوا مناقشا
الدكتور:إبراهيم سعيود.....عضوا مدعو

السنة الجامعية : 1431هـ - 1432هـ / 2010م - 2011م

شكر وتقدير

الحمد لله الذي منّ علي بإتمام هذه الرسالة،وأعانني على إنجازها،فله الحمد كله،كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

إعترافا بالفضل لأهل الفضل،ومن منطلق من لا يشكر الناس لا يشكر الله،فإنني أقدم خ الص شكري وتقديري لأستاذي الفاضل،الأستاذ الدكتور عمار بن خروف،الذي تحمل عبء الإشراف عل ى رسالتي،وما بذله من جهد مبارك وما أفادني به من نصائح وتوجيهات،كان لها أكبر الأثر في إخراج البحث على هذه الصورة.

والشكر موصول للدكتور بوسليم صالح والدكتور إبراهيم سعيود،لما قدماه لي من ملاحظ ات ومساعدات،كما أقدم جزيل شكري وتقديري للسادة أعضاء هيئة التدريس في قسم التاريخ،وكل من كان له أثر في إنجاز هذه الرسالة،لما قدموه من نصح وإرشاد،فبارك الله جهودهم الطيبة،وجازى الله تعالى كل من ذكرت ممن لهم فضل خير الجزاء.

الطالب:بن قايد عمر

إهداء

إلى من قال فيهما سبحانه وتعالى "وبالوالدين إحسانا".

إلى الوالدة الكريمة حفظها الله

إلى روح الوالد رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه،آمين

إلى الزوجة الفاضلة المحترمة

إلى أبنائي

المقدمة

شهدت منطقة المغرب الإسلامي قبل القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي،أحداثامتنوعة،عمادها ذلك التمازج الحضاري بين الضفتين الجنوبيةوالشمالية للبحرالأبيض المتوسط، والمتمثلة في بلاد شمال إفريقية الاسلامية، وبلاد أوروبا المسيحية الجنوبية هذه الأحداث التي غيّرت مجرى الحياة الحضارية،وأعادت صياغة تاريخ المنطقة، ورسمت خارطة جديدة للعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين مجموعتي هده الدول، وكرست ذلك التباين البارز في التغيرات الواسعة، التي عاشتها أوروبا من تطور سياسي واقتصادي واجتماعي وفكري ، نقلتها إلى مصاف الدول القوية في شتى المجالات.

وضمن تمازج هذه العلاقات بين الضفتين ،فقد تميزت بالسلام الحذر تارة ، وبالصراع المستميت أطورا أخرى ، فالتاريخ دوّن لنا تلك العلاقات المتأرجحة بين السلم والحرب،فلم تخل العلاقات الأوربية المغاربية من أزمات وصراعات دامية، تخللتها في الواقع فترات مهادنة ، توحي بالتعايش السلمي والتلاقح الحضاري.

والمغرب الأقصى – بلاشك – كغيره من البلدان المغاربية ، بقي في هذا الإطار العام من هذه البنية المتكاملة في مجموعته المغاربية والإقليمية،ذلك أن الفترة الممتدة بين أوائل القرن السابع عشر الميلادي إلى نهاية القرن الثامن عشر ،تميزت بشيء من التوازن السياسي والاقتصادي وحتى العسكري داخل الحوض الغربي للمتوسط، وبين الدول الأوروبية والمغاربية على الخصوص.

إلا أنه مع بداية القرن الثامن عشر ،عرفت العلاقات انقلابا في موازين القوى، لصالح الدول الأوروبية ،بعدما آنست من نفسها القوة العسكرية التي هددت كيانات المنطقة في الصميم، وطغت بذلك على سياسات الضفة الجنوبية للبحر المتوسط.

تبعا لذلك ودون الادعاء أو الإحاطة بمختلف جوانب مسألة هذا التجاوز بين الضفتين ، وأبعاده فيما بعد ، قد يمكن لنا مقاربة تلك العلاقات الأوروبية مع الضفة الجنوبية ، والمغرب الأقصى بشكل خاص ، على نقطتين أساسيتين ، أولاهما العلاقات العدائية أو الجوانب الصدامية بين الجانبين ، التي تمحورت ظاهريا حول ما كان يعرف آنذاك بالقرصنة والجهاد البحري، ثم ردود الدول الأوروبية على ذلك ، أمّا النقطة الثانية فهي المتعلقة بالجوانب السلمية من هذه العلاقات، ومن أبرز مظاهرها العلاقات الدبلوماسية، والتبادل التجاري، وما نتج عن ذلك من تفاعل واحتكاك .

- دوافع اختيار الموضوع :

نظرا لأهمية العلاقات بين الدول الأوروبية والدول المغاربية وعلى الخصوص المغرب الأقصى، وانعكاساتها على مسار الحياة في هذه البلاد ، وعلاقاته مع طرفين فاعلين في الساحة الأوروبية آنذاك، وهما إسبانيا وفرنسا ؛ ارتأيت أن اتخذها موضوعا لمذكرتي الموسومة بـــ : "**علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية ، (فرنسا و إسبانيا) (1069هـــ- 1139هـــ/1659م – 1727 م)** " .

وفي الحقيقة هناك دوافع أخرى جعلتني اختار هذا الموضوع نذكر منها:

1- إن موضوع العلاقات الدولية يعد من المواضيع الهامة على مستوى الدراسة، لما له من تداعيات على معرفة التأثير الحضاري بين الدول والمجتمعات، وتفاعلها، و تواصلها ، فكل حضارة هي وليدة ذلك الاحتكاك بين المجتمعات البشرية ، فهي تولّد البناء الذي نمت عليه تلك المجتمعات طوال السنين الخوالي،ومن ثمة فهي جديرة بالبحث والتنقيب واستخلاص نتائجها وآثارها.

2- ميلي إلى هذا النوع من الدراسات التاريخية، ورغبتي الملحّة في الاطّلاع على ما كان عليه المسلمون في علاقاتهم الدولية، وما انجر عن ذلك من مآسي وتفريطات، ثم العمل على بلورتها ودراستها ،حتى تعرف الأجيال القادمة ،مواطن الفشل فيها، و عوارض النجاح منها ، والوقوف عليها وفكّ خيوط تلك العلاقات .

3- الدراسات التاريخية التي تتناول المغرب الأقصى في الجزائر قليلة،ثم إن العلاقات بين المغرب الأقصى والدول الأوروبية وخاصة فرنسا وإسبانيا،هي نفسها التي أقيمت مع الجزائر في مضمونها ، فهي جزء من علاقة هذا المغرب الكبير في تصديه للأطماع الأوروبية التي أخذت تزداد مع القرن الثامن عشر ، فالعلاقات في جوهرها سُنة من سنن التدافع بين البشر،في الخير والشر ،ولذلك فإن الكتابة في هذا السّياق ترفع معنويات الدّارس لتاريخ المغاربة بصفة عامة، ونحن نعيش عصور الضعف ،والتراجع الحضاري، فصرنا نتأثر بالأحداث ولا نؤثر فيها.

4- تشجيع الأستاذ المشرف لي لخوض غمار البحث في موضوع العلاقات، لما رأيت فيه روح البحث، والجدية في طرح هذا الموضوع – وهو المتخصص في دراسة تلك الحقبة التاريخية بالمغرب- مع مدلول تلك العلاقات أيا كان نوعها ،بين الأطراف الفاعلة في الساحة الدولية، سواء من جنوب الضفة أو من شمالها.

5- إن البحث في العلاقات بكل تنوعها هو البحث في العناصر التي تربطها وتخيطها ، ونلتمس منها ما يضفي عليها تلك الأدوار الفاعلة في مجراها العام غير المنفصل عن الذاتية البينية في أساليب الدول عند طرحها لتلك العلاقات.

6- إن القرن 11هـ /17م ، هو القرن الغني بالأحداث المفعمة بالتطورات الكبرى في أوروبا ، وفي المغرب الأقصى والجزائر ، وخاصة في فرنسا التي ظهرت كقوة لا يستهان بها في النهضة العلمية والاقتصادية، وانبعات بحريتها وتجارتها ، وهو القرن الذي ظهرت فيه عائلات ملكية جديدة، حكمت فرنسا لمدة طويلة من الزمن ، ثم ظهور سلالة العلويين في المغرب- والتي لازالت إلى اليوم تحكم هذا البلد- وهو نفس القرن الذي ضعفت فيه الإمبراطورية الإسبانية ، بفعل حروبها الطويلة في أوروبا وفي العالم ،مما أدى إلى أزمة وراثة الملك فيها مع بداية القرن الثامن عشر.

7- إن البحث في العلاقات بين المغرب وكل من فرنسا إسبانيا في هذه الفترة بالذات، له مغزى كبير في الدلالة على تلك الوثبة الحضارية الأوروبية ، والتي لم تتداركها الدول المغاربية في النهوض بالمشمول الحضاري، وبقيت مرتبطة بدور القوى الدينية، والقبلية و الطرقية ، التي ظلت تلعب أدوارا بارزة طيلة الحقب التاريخية الماضية ، بالرغم من التخلف البين الذي كانت تعاني منه مقارنة بالنهضة الشاملة التي شهدتها أوروبا ، إلاّ أن هذه القوى قد ساعدت على إنقاذ المغرب من التغلغل الأوربي في هذا البلد.

8- معرفة ذلك الماضي من تاريخ مغربنا الكبير عموما،وتاريخ المغرب الأقصى خصوصا، والغور في ثناياه، وخاصة في تلك الفترة الحديثة والفاصلة بين نهضة أوربا وتطورها، وتخلف المغرب الإسلامي.

9- إن دراسة تاريخ المغرب الأقصى ، هو دراسة لهذا الجسم المغاربي بصفة عامة ، وعلاقاته بأوربا في تلك الفترة ،والتي لم يستفد منها وأصبح عرضة لنفوذ الدول الأوروبية .

10- معرفة الكتابات العربية وخاصة المغاربية حول تلك العلاقات ، ومدى تناولها لتلك الأحداث وإبرازها بالمقارنة مع ما كتبه المؤرخون الأوروبيون على هذه العلاقات.

11- دراسة العصر الذي بدأ فيه نشوء الدولة العلوية في المغرب، وبروزها، وازدهارها وصدامها ومهادنتها للقوى الأوروبية آنذاك.

12- المساهمة - ولو بالقليل- في إعادة قراءة تلك الأحداث بمنظار مغاربي عام وجزائري خاص.

13- الرغبة القوية عندي في فهم ، ذلك الصراع بين الضفتين ، الذي شكله القرن11هـ/17م.

14- إن القرن 11هـ/17م هو قرن التحولات الجذرية الكبرى في التاريخ الأوروبي والمغاربي ، كما أنه قرن حاسم في تاريخ المغرب الأقصى، بما يمثله من أفول نجم دولة السعديين ، وقيام حكم العلويين، وبناء دولة المغرب الحديثة، وبما تميز به القرن 11هـ/17م ، من الحروب الأوروبية الأوروبية ، وميلاد دول جديدة في أوروبا ، كما عرف عقد عدة معاهدات أوروبية ، لإنهاء الصراعات بينها ، وزوال الإمبراطورية الاسبانية وتضعضعها.

- الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

أمّا الزمن أو الفترة المختارة هي:الربع الأخير من القرن 11هـ، والربع الأول من القرن 12هـ،النصف الثاني من القرن 17م والربع الاول من القرن 18م، فسنة 1069هـ/ 1659م تعكس تاريخ نهاية وزوال دولة السعديين في المغرب الأقصى، ووصولا إلى1139 هـ/1727م وهو تاريخ وفاة السلطان المولى إسماعيل ابن المولى الشريف،هذا بالنسبة إلى المغرب الأقصى ،أمّا بالنسبة لفرنسا وإسبانيا فقد شهدت توقيع معاهدة "البرينيه" في 07 نوفمبر 1659م،ويمثل تاريخ 1727م بالنسبة للدول الأوربية بداية الحروب الانكليزية الإسبانية، بسبب حصار إسبانيا لجبل طارق.وإن كنت قد رجعت إلى العقود الأولى، التي سبقت هذه الفترة لكي أمكن القارئ من فهم الإطار الواسع للعلاقات بين المغرب، وأهم دول غرب أوروبا المتوسطية (إسبانيا – فرنسا).

- إشكالية الدراسة :

إن العلاقات المغربية مع كل من فرنسا وإسبانيا، في عصر الدولة العلوية الأول،قد تأرجحت بين السلم الحذر تارة والصدام تارة أخرى،الأمرالذي يدعوني إلى البحث في إشكالياتها وأبدي فيها تساؤلات ، تكوّن جوهر الإشكالية المراد دراستها في هذه المذكرة ، ومن ثمة يكون المنطلق من ذلك السؤال الذي يطرقه الكثير من الباحثين ، وهو **إلى أي مدى استطاع المغرب، في بداية الدولة العلوية،أن يوازن في علاقاته مع دول أوربا المتوسطية ، فرنسا وإسبانيا ؟ وماهي أسس تلك العلاقات سواء الايجابية منها أوالسلبية ؟ وكيف استثمر المغرب تلك العلاقات ؟ ولماذا لم يستطع المغرب أن يقوم بتحرير كامل ثغوره المحتلة؟.**

- الدراسات السابقة :

في حدود علمي، توجد دراسات غربية كثيرة، تناولت الموضوع من زوايا مختلفة ، إلا أنه يطغى عليها الرؤية الغربية للأحداث ، مما يستدعي إعادة قراءتها ، والنظر فيها ، أما الدراسات المغاربية فهي قليلة بالموازاة مع ما أنتجه الأروبيون ،رغم سعي المغرب لبناء مدرسة تاريخية حديثة ، إستطاعت أن تنجز دراسات تاريخية في مختلف المواضيع ومنها خاصية العلاقات.وإنّ موضوع العلاقات السياسية بين المغرب وكل من فرنسا وإسبانيا،في النصف الثاني من القرن السابع عشر،والربع الأول من القرن الثامن عشر،على أهميته، قد حظي بدراسات وافية،وموثقة باللغة العربية أو باللغة الأجنبية،ولكنها جاءت دراسات مركزة على بعض الجوانب المتعلقة بتلك العلاقات،كالقرصنة أو الدبلوماسية،وغيرها،كما لم تستوف الفترة كلها،إلا إذا استثنينا ماكتبه عبد الهادي التازي،في التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم[1]،الذي إستوفى الفترة في المجال الدبلوماسي، ودراسة زهراء إخوان،في أطروحتها للدكتوراه،المعنونة بالعلاقات المغربية الخارجية في القرن 11هـ/17م[2]،والتي جاءت مشمولة بمجموعة من الدول الأوروبية والدولة العثمانية،ودراسة محمد صالحي ،المغرب وإسبانيا خلال القرن السابع عشر[3]،ثم دراسة نوال بيير(Noel-Pierre) في:

les rapports de la France et du maroc,etude d'histoire diplomatique et de droit international,paris 1905.

- وما كتبه، جاك كايي (Jacques Caillé) تحت عنوان :

La représentation diplomatique de la France au maroc,paris 1951
Ambassades et missions marocaines en France,hespris-tamuda,1960, ,vol.01

- ثم ما كتبته ليلى مزيان:

Salé et ses corsairs 1666/1727,un port de course marocain au 17éme siecles,ed.univ-rouen havre ,2007.

---

(1) عبد الهادي التازي:**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**،مج09،مطبعة فضالة،المحمدية المغرب 1988 ، ص71.

(2) زهراء إخوان:**العلاقات المغربية الخارجية في القرن11الهجري17الميلادي،إشراف الدكتور محمد حجي،جامعة محمد الخامس**، أطروحة دكتوراه غير منشورة،1989-1990.

(3) محمد صالحي :**المغرب وإسبانيا خلال القرن السابع عشر**،ط1،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،بجامع محمد الخامس ،مطبع النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1997 .

ثم الدراسات المأخوذة عن شانتال دو لافرون،وبوايي، ومغاربة ،وآخرين من مقالات لها علاقة بالعلاقات في الفترة المحددة للدراسة،ورغم أهميتها فقد ركّزت على وصف تلك العلاقات من خلال الوثائق ،فوفرت مادّة تاريخيّة غنية،جعلتني أبحث في أغوار تلك العلاقات بين دول المغرب الإسلامي ودول الغرب المسيحي(فرنسا وإسبانيا) خلال العصر الحديث،ودور الجزائر في تلك العلاقات، فوجدت رؤى هامة في تلك المقالات، والدراسات، ومن ثمة تمكني من مباشرة رسالتي الجامعية التي أهدف إلى بلورتها،محاولا إدراك هذه الرؤية بموضوعية،لتلك الجوانب المتعلقة بالعلاقات المغربية الفرنسية الإسبانية في الفترة المحددة للدراسة،حاولت تبيان تلك العلاقات الدبلوماسية أو السلمية، والصدامية أو الحربية، في دراسة واحدة .

- المنهج المتبع في الدراسة :

اتبعت في هذه الدراسة المنهجين: التّاريخي الوصفي و المنهج التحليلي ؛ فاستعنت بالأول لتتبع وقائع هذا الحدث التاريخي والأوضاع التي سبقته ، ودراسة آثاره المختلفة، ولجأت إلى المنهج الثاني (التحليلي) لتوضيح أبعاد تلك الوقائع التاريخية في مجرى العلاقات الإنسانية ، وما ارتبط بها من تداعيات، لأتمكّن من الإجابة عن الإشكاليّة التي طرحتها ، والتّساؤلات التي أبديتها ، في فصول الدراسة للوصول الى النّتائج الّتي أصبو إليها.

حاولت: تحليل الوقائع التاريخية وتقديمها حسب المعطيات الفكرية من منظور عصري،ودراسة عوامل التغيير السياسي ، بالاعتماد على الوثائق ما أمكن ذلك ، لكي استخرج منها الاتجاهات الحقيقية المعبرة عن الوقائع ،وإلباسها بالمنهج التاريخي في جميع فصولها، واعتمدت على رصد المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع وجمع المادة .

- الخطة المعتمدة في الدراسة :

إعتمدت في موضوعي على خطة، اشتملت بابين وفصلا مدخليا،حاولت في **الفصل المدخلي** – وهو بمثابة تمهيد – تقديم نظرة تاريخية عن الأوضاع في المغرب الأقصى ودول غرب أوروبا المتوسطية فرنسا وإسبانيا، وعلاقات تلك الدول بالمغرب الأقصى قبل قيام الدولة العلوية،ثم بينت فيه مظاهر قيام الدولة العلوية ومنابتها وسياستها الداخلية في عهدي كل من المولى الرشيد وأخيه المولى إسماعيل.ثم درست علاقات المغرب مع الجزائر ذات الصلة بتلك العلاقات ، ودور هذه الدولة الفاعل في مسيرة العلاقات البينية في تلك الفترة السابقة للدولة العلوية.

أما **الباب الأول** : فقد خصصته لتلك العلاقات المتباينة بين **فرنسا والمغرب** ،وخاصة في المجال السياسي ، ضمن المجالين السلمي والتصادمي ، وما تخللته تلك العلاقات ، من مواضيع القرصنة والجهاد البحري،ومواضيع الأسرى من كل الأطراف، وردود الفعل الأروبية على ذلك ، وكذلك مواضيع التبادل الدبلوماسي في طرقه المتعددة ثم التبادل التجاري ، ودور الاتفاقيات والمعاهدات السياسية والتجارية في تلك العلاقات والدور الجزائري فيها.

وفي **الباب الثاني** : انتقلت إلى دراسة **علاقات المغرب الأقصى مع إسبانيا**، والتي(أي العلاقات) تأثرت بما يجري في الساحة الدولية بين الدولتين،فخصصت ذلك لدراسة العلاقات الصدامية بين الدولتين ، وبينت فيها تحرير الثغور المغربية ،ومسائل الجهاد البحري ، وقضايا الأسرى،وإشكالاتهم بين الدولتين،ثم عرجت على العلاقات السلمية ،من تبادل للسفارات،والتبادل التجاري الممزوج بتلك العلاقات السياسية، ثم دور الجزائر في كل ذلك.

وختمت المذكرة بخاتمة، ضمنتها أبرز النتائج التي توصلت إليها في البحث ، و أتبعت الخاتمة بملاحق خاصة ؛ تضمنت خرائط ونسخا لرسائل وصورا تخص مواضيع العلاقات بين هذه الدول ، ثم قائمة مفصلة ، شملت المصادر و المراجع المعتمدة ثم قائمة الفهارس.

– التعريف بأهم مصادر و مراجع الدراسة :

مصادر التّاريخ المتعلّقة بالعلاقات بين المغرب وأوروبا تختلف موضوعاتها ومادتها وأهميتها ، ففيها ما هو تاريخ سياسيّ ، ومنها ما هو اقتصادي وغير ذلك، كما أنّ فيها مراجع باللغة الأجنبية، و وثائق متنوّعة ، ومن جهة أخرى هناك حوادث عالجتها المصادر العربيّة وتكلّمت عنها، كالعلاقات السياسية للملوك العلويين، سواء ما تعلق بحروبهم مع أعدائهم ، أو في صراعاتهم الدّاخليّة، وهناك نقاط لم تستوف حقّها من التّدوين والتّأريخ ، كموضوع علاقات العلويين الخارجيّة،وخاصة عند المغاربة رغم أن الأوروبيين كتبوا الكثير في تلك العلاقات، وقد اقتصر المؤرخون المغاربة في ذلك على بعض الإشارات القليلة، المترامية هنا وهناك في ثنايا المصادر العربية.

وقد اعتمدت في هذا على مجموعة من المصادر عاصرت الدّولة العلوية، سواء الّتي ذكرت محاسنها، و انجازاتها وغضّت الطّرف عن مساوئها ، أو تلك الّتي وقفت موقف النّاقد المتبصّر لحوادث العلويين ، فبيّنت ما لهم وما عليهم،كما استفدت من بعض المراجع الأجنبيّة التي تناولت تاريخ العلاقات الفرنسية المغربية و الإسبانية المغربية ، والتي أفادتني كثيرا في الدراسة بأحداث

تلك العلاقات ،وخاصة تلك التي كتبت من قبل الأسرى أو القناصل،ومن بين هذه المصادر والمراجع اذكر:

أ –المصادر المعتمدة في المذكرة:

1– الوثائق المنشورة:

أ–الوثائق المغربية: كانت استفادتي ،بشكل كبير من المطبوعات،وخاصة تلك التي حملتها مطويات الكتب والمطبوعات المختلفة، ومن أهم تلك الكتب والمجلات التي رجعت إليها على سبيل المثال لا الحصر، مايلي:

– نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني :

لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري ، ولد يوم الجمعة 10رمضان عام 1058م الموافق لـ 29سبتمبر1648م وتوفي سنة 1118هـ/1773م، ترجم له عبد السلام بن سودة في كتابه إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع ،تحقيق محمد حجي ،ج1، ص 35 .له العشرات من المؤلفات ،قام بتحقيق كتابه نشر المثاني أحمد توفيق ومحمد حجي ونشره مع كتب أخرى في موسوعة أعلام المغرب،يسير الكتاب على نظام السنوات ابتداء من القرن 11هـ/17م، زيادة عن التراجم ،يزودنا ببعض المعلومات عن تاريخ المغرب، وكذا ترجمة للشخصيات المغربية المهمة في هذه الفترة.

– نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي :

للافراني ، محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله السوسي ثم المراكشي، الذي توفي عام1155هـ/1742م، تشمل على 81 مبحثا لأيام السعديين ، والباقي لتاريخ بدايات الدولة العلوية إلى عصر السلطان مولاي إسماعيل،وقد صححه هوداس ونشره سنة 1889م ،وقد أفادني في تتبع الأحداث السياسية التي وقعت بعد موت السلطان أحمد المنصور،وبدايات تكوين الدولة العلوية، فهذا الكتاب يقدم معلومات كثيرة عن أطوار نشاط الأسرة السعدية في المغرب الأقصى.

– التاريخ الدبلوماسي للمغرب :

لعبد الهادي التّازي في عشر مجلدات ، و قد اقتصرت على المجلد التاسع الذي خصصه للعلويين في سياستهم الخارجية، سواء مع جيرانهم الأتراك العثمانيين، أو مع الدول الأوروبية ، منها فرنسا، والبرتغال، واسبانيا، فهو عمل موسوعي كبير ، أفادني في الفصل الأول بإعطاء لمحة عن علاقات

العلويين مع أوروبا مع بداية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي إضافة إلى قيمة الوثائق المنشورة فيه .

- **كتاب تاريخ الضعيف الرباطي :**

لمحمد بن عبد السلام بن احمد الرباطي،كان حيا عام 1233هـ/1818م،المنشور تحت اسم،تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد المولى سليمان ، وخاصة الجزء الأول، منشورات دار الثقافة ، الدار البيضاء، 1988م، والذي اعتمدت من خلاله على أهم الوثائق التي صدرت من السلاطين العلويين الأوائل.

- **كتاب روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف :**

لمحمد الصغير اليفرني ،حققه عبد الوهاب بنمنصور،ط03،المطبعة الملكية ، الرباط ،سنة 2007م،والذي أفادني بكثير من الوثائق ،التي اعتمدها المحقق،في تقديمه للكتاب،مع اعتماده على الكثير من الصورالخاصة بملوك الدولة العلوية الأوائل،بالإضافة إلى نشره لبعض المعاهدات.

- **المترع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف:**

لمؤلفه مولاي عبد الرحمان ابن زيدان ،مؤرخ الدولة العلوية،وأحد أبنائها،تقديم وتحقيق،عبد الهادي التازي،الطبعة الأولى،بمطبعة إديال بالدار البيضاء بالمغرب،سنة 1993م،والذي استفدت منه،بشكل كبير في الوثائق المنشورة به،من رسائل،ومعاهدات،وغيرها.

- **تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى:**

لبديعة الخرازي،الطبعة الأولى،طبع بمطبعة المعارف الجديدة بالرباط سنة 2007م،وهو من الكتب الجديدة التي دخلت عالم المعرفة التاريخية،وفائدة الكتاب أنه يحمل الكثير من الوثائق الخاصة،بالمنظمات الدينية في المغرب في عهد المولى إسماعيل.

- **رحلة الوزير في افتكاك الأسير(1690م/1691م):**

تأليف الكاتب والسفير، محمد الغساني الأندلسي،أبو عبد محمد الوزير الغساني،والتي حققها نوري الجراح،ومن نشر دار السويدي للنشر والتوزيع،بأبو ظبي ،سنة2002م،وهي الطبعة الأولى.

ومن المجلات التي رجعت إليها ،واستفدت منها في كثير من الوثائق المنشورة بها مايلي:

- **مجلة معهد المخطوطات العربية:**

المجلد الثالث،الجزء الأول،الصادرة في ماي 1957م،وهي مجلة ثقافية تصدرها ،مؤسسة المخطوطات في جامعة الدول العربية،وتعنى بشؤون المخطوطات والوثائق العربية وثاريخها،وقد استفدت من وثيقة خاصة بالمغرب في العهد العلوي.

– مجلة البحث العلمي:

وقد اعتمدت فيها على العدان 4 و5، لسنة 1965م، وهي تصدر عن منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي بجامعة "محمد الخامس"بالرباط، ،وقد استفدت منها ببعض الوثائق المنشورة في هذين العددين.

– مجلة دعوة الحق المغربية:

وهي مجلة تعتني بالدراسات الإسلامية والثقافة والفكر،والتي تصدرها دائرة عموم الأوقاف بالمملكة المغربية،الرباط، وقد استفدت منها في كثير من الوثائق الخاصة بالدولة العلوية،المنشورة في كثير من أعدادها.

ب– الوثائق الأوروبية:

– المجموعة الوثائقية التاريخية الضخمة التي جمعها "الكونت هنري دوكاستري،وأخرون،وذلك في سلسلتين،تتعلق السلسلة الأولى بالأسرة السعدية،غطى في إطارها الفترة الممتدة من (1486م–1660م)،وهذه الفترة قد استفدت منها في تحليل الوقائع التاريخية التي حصلت بالمغرب،في الفترة الممتدة مابين(1603م–1659م)،والثانية والتي تتعلق بالأسرة العلوية الفيلالية،والتي تغطي الفترة الممتدة ما بين (1661م–1845م)،والتي استفدت منها بالشكل الكبير في توصيل الكثير من الوثائق والوقائع التاريخية،وهي تحت عنوان:

Correspondance des consuls de France a cadix"1666/1792)

Inventaire analytique de la sous-serie,AE/B/I/211 a235,du 1666 au 1728

وهي من نشر وتقديم : (Anne pétrotin-dumon وAnne mézin)

والتي استفدت منها بالكثير ،وخاصة في تلك الوثائق المهمة التي نشرتها في هذه الحزمة.

– كما استفدت بكثير من الوثائق من كتاب :

les correspondences des deys d'alger, avec la cour de France(1579/1833)

الجزء الأول،والذي غطى الفترة الممتدة مابين(1579م/1700م)،والذي ألفه "إيجين بلانتي"،بباريس سنة 1882م، وخاصة الوثائق المهمة التي نشرها عن العلاقات بين الداي شعبان والملك الفرنسي لويس الرابع عشر فيما يخص النزاع الجزائري المغربي.

– كما رجعت إلى كتاب الأسير "مويت":

Relation de la captivité du sieur Mouette,dans les royaumes de fez et de marocou il a demeuré pendant onze ans.

والذي صدر بباريس،إثر عودته من المغرب،وذلك في النصف الأول من القرن الثامن عشـــر،وقد استفدت منه بعدد كبير من الوثائق المهمة التي نشرها ضمن هذا الكتاب.

– وأعتمدت بشكل آخر ،على كتاب "روار دو كار" والمعنون تحت :

Les traités entre la France et le maroc,etude historique et juridique

والذي صدر في سنة 1998م من دار النشر"A.pedone"والذي نشر فيه الكثير مـــن الإتفاقيـــات الفرنسية المغربية.

2 – المصادر العربية:

إستفدت من عدد كبير من المصادر العربية، والفرنسية ،وتلك الكتب الـــتي ترجمـــت إلى اللغة الفرنسية من اللغات الأوروبية الأخرى.

ومن أهم المصادر العربية التي اعتمدتها في المذكرة نذكر مايلي:

– تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب:

لمحمد بن أحمد أبو القاسم الزيان ، ، تحقيق رشيد الزاوية،الطبعة الأولى ، طبع بمطبعة الأمنية،ب الرباط سنة 2008،وقد إستفدت منه في توثيق شجرة الملوك العلويين الذين حكموا المغرب.

– تاريخ الدّولة السّعديّة التاكمادراتية :

لمؤلّف مجهول والذّي قد يكون مكناسيّ الأصل ، أو ممّن سكنوا مكناس مدّة طويلة، ويرجّح أنّه من بقايا الوطّاسيّين ، وعلى هذا فالكتاب يزوّدنا بتفاصيل تاريخيّة ، كثيرا ما أهملها غيره ، وعلى معلومات وافية عن مجريات المعركة ، والحديث عن أعمال المنصور بموضوعيّة و حيّاد .

– نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني:

من تأليف محمد بن الطيب القادري ،تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق،من نشـــر دار المغـــرب الإسلامي 1417هـــ/1996م،وهي تسعة أجزاء لأهم الأحدات في المغرب في العهـــد الســـعدي وبدايات الفترة العلوية،وجاء بتراجم لأهم الشخصيات المغربية حسب تسلسل وفياتهم.

– الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب :

لأبي القاسم الزياني ،أمازيغي الأصل نزيل فاس،ولد في سنة 1147هـ وتوفي سنة1249هـ/1734م-1833م ،كان وزيرا ومؤرخا للدولة العلوية، له العديد من المؤلفات منها:كتابه الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب،، ترجمه للفرنسية،(Mougin et Humberger) ونشره (Roger le Tourneau) في مجلة الغرب الإسلامي والمتوسط ، آن بروفانس، عدد 23 ، 1977 .

3- المراجع العربية:

- الاستقصا لإخبار دول المغرب الأقصى:

للناصري ، أحمد بن خالد السلاوي المقيد حياته خلال 1315هـ/1897م، نشر للمرة الأولى بمبادرة دار الكتاب بالدار البيضاء ، وصدر في تسعة أجزاء ،منها السابع والثامن والتاسع تِؤرخ لتاريخ الدولة العلوية إلى مبايع السلطان مولاي عبد العزيز.

– السياسة والمجتمع في العصر السعدي :

لإبراهيم حركات يقدم نموذجا عن المجتمع المغربي في القرن السادس عشر، والسابع عشر و يتناول الحياة السّياسية و الاجتماعية ، و يعطي نبذة ، و يورد إحصائيات وتفاصيل عن بعض المظاهر الاجتماعية والاقتصادية للمغرب في الفترة السعدية المتأخرة.

– العلائق السياسية للدولة العلوية :

لابن زيدان عبد الرحمن المتوفى سنة 1365هـ/1945م،وهذا الكتاب الذي حققه عبد اللطيف الشاذلي،ونشرته المطبعة الملكية بالرباط سنة 1999م، وتناول دراسة العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وبعض الدول الأوروبية.

– سفراء تطوان على عهد الدولة العلوية :

لمحمد الحبيب الخراز ، الجزء الأول،ط1،مطبعة الخليج العربي،تطوان 2007، وأفادني في معرفة مظاهر الدبلوماسية في عهد السلطان مولاي إسماعيل،وخاصة مع فرنسا وإسبانيا.

– تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى:

لبديعة الخرازي ، تقديم وتعريب مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط 2007م، وتناول هذا الكتاب دراسة أهم المنظمات الدينية الإسبانية ونشاطها بالمغرب ، خاصة في العهد الإسماعيلي.

– الحركة العياشية كحلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م:

لعبد اللطيف الشاذلي ،وهي في الأصل رسالة أو أطروحة دكتوراه ناقشها المؤلف سنة 1975م،وهي من منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،الطبعة الأولى لسنة 1982م. وأفادتني بالحالة السياسية التي عاشها المغرب أثناء نشوء الدولة العلوية.

– **الصراع بين المغرب وأسبانيا خلال القرنين 16م/17م من خلال وثيقة تتعلق بالجهاد البحري والأسرى ثم العلوج** : لشكري عبد الرحيم ، الرباط 1997م، وأفادتني بذلك الصراع والتصادم بين المغرب وإسبانيا في الفترة موضوع البحث.

– **المغرب وأوربا مابين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)**:

قدوري عبد المجيد ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 2000م، ويبرز هذا المرجع المسائل الحضارية بين المغرب وأوربا، وخاصة التطور الذي حدث في أوروبا وتأخر المغرب .

4- المصادر والمراجع الأجنبية:

– المصادر الأجنبية:

Castries (Henries de)
Les sources inédites de l' histoire du Maroc.

تمثل هذه السلسلة واحدة من أهم المصادر التي احتوت على الوثائق المختلفة والقيمة في تاريخ العلاقات المغربية الأوروبية،مثل المراسلات والتقارير وغيرها،وقد استفدت من :

– الوثائق المحفوظة في فرنسا :

السلسلة السعدية : الجزء الأول والثاني والثالث ،ثم السلسلة الفيلالية والتي جاء الجزء الأول منها متعلقا بالفترة الممتدة بين 1530م الى 1660م ،ثم الجزء الثاني والذي غطى الفترة الممتدة مابين 1578م الى غاية 1614م .

السلسلة الفيلالية: والتي جاء الجزء الأول،والذي عالج الفترة الممتدة مابين 1661م إلى 1682م،وتلاه الجزء الثاني والذي يغطي الفترة الممتدة ما بين 1659م إلى 1686م، والجزء الثالث الذي يعنى بالفترة من 1686م إلى 1693م ،ثم نشر الرابع الذي تناول الفترة مابين 1693م –1698م والخامس من 1698م– 1699م،ثم السادس من 1700م – 1718م، حيث أفادتني بالكثير من جزئيات تلك العلاقات بين المغرب وكل من فرنسا وإسانيا في الفترة موضوع البحث،والتي تضمنت الكثير من الوثائق المختلفة مثل المراسلات وغيرها.

Castries (Henry de):
Agent et voyageurs français au Maroc:1530-1660.paris.1911

يبين الكاتب اهتمام فرنسا بالمغرب إبتداء من سنة 1627م ،وقد أفادني هذا الكتاب فيما يخص علاقة التجار الفرنسيين بالمغرب، ومسائل الدبلوماسية بينهما منذ بداية العقد الثاني من القرن السابع عشر.

ثم كتاب:

De la faye jean,B,Denis Mackar**: relation en forme d journal du voyage pour la rédemption des captifs aux royaume de maroc et alger,pendant les annés 1723,1724,1725,**ed sevestre,paris 1726.

فهذا المصدر هو سرد لعمليات تحرير الأسرى، ويقدم معلومات قيمة عن وقائعها.

أما كتاب:

(F) Bernard le Roy: **relation de ce qui sést passé dans les trois voyages que les religieux de l'ordre de notre dame de la merci ont faits dans les etats du roy de maroc pour la redemption des captifs en 1704,1708,1712**,coustelier,paris 1724.

فقد أفادني في تتبع وقائع تحرير الأسرى الفرنسيين في المغرب.

وبخصوص كتاب الأب بيسنو:

P.(Busnot):**Relation de ce qui cést passé dans les trois voyages que les religieux de notre d'ame de la merci on fait dans les etats du roi du maroc pour la redemption des captifs en 1704,1708,1712**, paris 1724.

فقد إستفدت منه في مظاهر رحلاته إلى المغرب خلال 1704م و 1708م و 1712م، لإطلاق سراح الأسرى الأوروبيين بالمغرب.

– المراجع الأجنبية:

العلاقات المتصادمة ولاسيما ،إشكالية القرصنة ،ثم المبعوثين التجار وعلاقاتهم الدبلوماسية.

Penz (Charles):
Les captifs français au Maroc au xvii siècles.
Publications de .I.H.EM. Rabat.1944.

يشير الكتاب إلى مسالة الأسرى الفرنسيين في المغرب وكيفية وقوعهم في الأسر ، والبعثات الفرنسية التي وجهت إلى المغرب لافتدائهم.

Charles Louis : **les jésuites dans les Etats barbaresques Alger et Maroc.**

وهو كتاب يتناول اليسوعيين (رجال الدين المسيحي) في الدول البربرية، الجزائر والمغرب

واستفدت منه عندما تطرقت إلى مدى تأثير الأساقفة على حياة الملك البرتغالي سيبستيان، كما تناول الكتاب مجريات معركة وادي المخازن ؛حيث خصص لها المؤلف فصلا كاملا، مستعملا لفظ الكارثة كثيرا.

كما استفدت من مراجع عديدة ومقالات ودراسات كثيرة سأضعها وفق ترتيبها في قائمة المصادر والمراجع في آخر هذه الدراسة .

– الصّعوبات المعترضة:

– أول الصّعوبات الّتي واجهتني خلال إنجاز هذه الدراسة هو جمع المادة العلمية من مصادرها المتفرقة ، والكثيرة،ولذلك كنت ألتجئ إلى ما يهم تاريخ العصر العلوي الأول ،وعلاقات المغرب بالدول الأوروبية في الفترة السابقة واللاحقة لذلك العصر ،وكذلك في مضمار تلك العلاقات في الفترة نفسها.

– عدم تمكني من الحصول على بعض المصادر والمراجع المهمة، رغم الجهد المتاح الذي بذلته إذ لو تمكنت من هذه المصادر والمراجع لكانت إفادتي أكثر ؛ ككتاب تاريخ الدولة العلوية للحاج عبد الكريم بن موسى ،الذي كان حيا عام 1153هـ /1740م يتناول تاريخ الدولة العلوية من بدايتها إلى منتصف رجب 1153هـ،وقد حققته الأستاذة آسية بنعدادة، ومرجع العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا ، لأحمد الأزمي،وكتاب البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف ، القسم 01، تحقيق رشيد الزاوية .

وبما أنني اعتمدت بشكل كبير على المصادر والمراجع باللغة الفرنسية، فقد واجهتني عوائق تعريب وترجمة الكثير من الفقرات ،التي عدت إليها من تلك الوثائق.

– كما تعذرت عليّ الاستفادة من بعض المصادر لكونها مكتوبة باللّغة الإسبانيّة ، فاقتصرت على قراءة ترجمتها باللّغة الفرنسيّة .

– و من الصعوبات الأخرى عامل ضيق الوقت الذي زاحمني مع كثرة الأعمال و الواجبات اليومية.

ويجب أن أنبه على أنني عند الإحالة على الكتب الأجنبية،سأكتبها بلغتها الأصلية لأول مرة،وإذا ما أشرت إليها مرة أخرى فإنني أذكرها معربة،مع الإقتصار على اسم المؤلف والكتاب،والجزء إن وجد،مع التأكيد على كتابة، مؤلف:(les sources inedites de l'histoire du maroc) مختصرا كالتالي:م.م.ت.م،مع ذكر السلسلة،ومركز الأرشيف(فرنسا،إنكلترا،إسبانيا،البرتغال،هولندا،إلخ..)

ثم ذكر المجلد ورقمه.

وقد بدأت بالعلاقات السلمية في الفصل الأول من الباب الأول كأصل للعلاقات بين المغـــرب وفرنسا لتقدمها على العلاقات العدائية، والتي إعتمدتها في الفصل الثاني لكونهـــا اســـتثناءا. أمـــا اعتمادي على العلاقات العدائية في الفصل الأول من الباب الثاني،لأنها الأصل في العلاقـــات بـــين المغرب وإسبانيا،وكثرة المجابهات العدائية بينهم، الأمر الذي يوجب ذكره في البدايـــة، حيـــث أن السلام بينهما كان ضعيفا في هذه الفترة.

وفي ختام هذه المقدمة ، يطيب لي أن أسجل بالغ شكري،وعظيم امتناني لأستاذي المشـــرف الفاضل الأستاذ الدكتور:عمار بن خروف لما غمرني به من اهتمـــام منـــذ نجـــاحي في مســـابقة الماجيستير،وتشجيعي على البحث وطول نفسه في درب العلم،مما كان له أعظم الأثر في انجاز هذه المذكرة لنيل درجة الماجيستير ،بتوفيق من الله تعالى،فله الشكر والتقدير وجزاه الله عني خير الجزاء.

ولا يسعني في الأخير إلاّ أن أتقدّم بالشّكر الجزيل،إلى من وقف بجانبي طول هذه المدة،وأمدني بوقته وراحته،وقلبه الكبير،في تلك الأيام العلمية التي مرت في هذا المركـــز الجامعي،فكـــان نعـــم الأستاذ والأخ، والذي أمدني بالكثير في إعداد و إنجاز هذا العمل وأخصّ بالذّكر أستاذي الدّكتور أبو سليم صالح الّذي لم يأل جهدا في إرشادي ونصحي، وعلى ما أحاطني به من رعاية و اهتمام وما كان له من فضل على هذه الدراسة. فجزاه الله عني كل خير .

وأخيرا فإن أصبت في شيء من هذه الدراسة فبتوفيق من المولى عز و جل و عونه ، و إن كان غير ذلك ، فحسبي أنني اجتهدت و حاولت ، آملا أن أستفيد مـــن توجيهـــات أســـاتذتنا الفضلاء الذين وكل إليهم عملي للتقويم و المناقشة و التصحيح . و الله الموفق ، و هو ولي كـــل خير و سداد .

الطالب : بن قايد عمر

غرداية في : 20سبتمبر 2011

الفصل المدخلي

لمحة عن أوضاع المغرب وفرنسا وإسبانيا وعلاقته معهما قبل سنة 1659م

المبحث الأول:

- **لمحة عن أوضاع المغرب الأقصى قبل 1659م.**

1- التراع على الملك وضعف الدولة السعدية.

2- التفكك والتجزؤ.

3- تجدد الغزو الأجنبي.

4- تردي الوضع الاقتصادي والاجتماعي.

5- ظهور الدولة العلوية وسياستها الداخلية.

المبحث الثاني:الأوضاع العامة في فرنسا وإسبانيا قبل 1659م.

أ- الأوضاع العامة في فرنسا قبل1659م.

1- ظهور عائلة البوربون و بداية الحكم المطلق الملكية المطلقة.

2- إنهاء الحروب الدينية.

3- مجابهة أوروبا.

4- الاضطرابات الداخلية.

5- النهوض بالبحرية.

6- الحالة الاقتصادية والاجتماعية.

ب- أوضاع إسبانيا قبل سنة 1659م.

1-تراجع الدور الاسباني في العالم وضعف النظام الملكي وفساده.

2- حروب إسبانيا في أوروبا.

3- الأزمات والاضطرابات الداخلية.

4- الأزمة الاقتصادية والاجتماعية.

المبحث الثالث:علاقات المغرب الأقصى مع فرنسا وإسبانيا قبل 1659م.

أ – علاقات المغرب الأقصى السياسية مع فرنسا قبيل سنة 1659 م.

ب – **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع إسبانيا قبيل سنة 1959م.**

تمهيد:

في إطار التغيرات التي طرأت على العلاقات الدولية في بداية القرن السابع عشرالميلادي، كان الصراع سمة بين الدول الأوروبية، على المصالح الإستراتيجية القومية لكل منها، فاشـــتدّ التنـــافس واحتدم ، فظهر نتيجة لذلك تباين في ميزان القوى، وبرزت مستجدات سياســـية علـــى الواقـــع الأوروبي منذ نهاية القرن السادس عشر الميلادي، واستمر حتى مطلع القرن السابع عشر الميلادي ، وهي الأزمة السياسية والاقتصادية في إسبانيا ، واستمرار الثورات في الأراضي المنخفضـــة،وبروز بريطانيا كقوة أوروبية مجابهة لها ، فظلت لعقود من الزمن تتربص لها الفرص للعمل على إضعافها. وبالتالي فتح لها المجال للعب الأدوار الجديدة في الكشوف الجغرافية ، والهيمنة على العالم الجديـــد والقديم.

وضمن هذا الصراع ، ظل المغرب الذي حكمته الدولة السعدية بقيادة السلطان أحمد المنصور الذهبي منذ معركة وادي المخازن سنة 1578م ، متمسكة ببقائها ضمن مجالها الحيوي والجغرافي ، وعملت على ربط علاقات ودية ، سياسية وتجارية مع كل من بريطانيا وهولندا ، ثم فرنسا، وحتى مع إسبانيا في إطار صراعها مع الدولة العثمانية وممثليها في الجزائر،وامتدت سياسة السعديين حتى وفاة أحمد المنصورسنة1012هـــ/ 1603م ، حيث وقفوا ضد كل محاولات الضم والإحتواء التي أبدتها الدولة العثمانية في محاولة للسيطرة على الجناح الغربي لدول شمال إفريقيا بعدما دان لها الجناح الشرقي والأوسط.

وأمام هذا التباين الواضح في المصالح بين هذه الدول ، سجلت العقود الأولى للقرن السابع عشر الميلادي ، بعض التحولات على الأراضي المغربية، والتي مست البنية الإستراتيجية والأمنية التي هزت مسار هذا البلد ، ودخلت أوروبا في هذه الفترة ضمن حروب دموية، وأزمات سياسية واقتصادية داخلية، أدت في الأخير إلى بروز تأثيرات في مسيرتها الحضارية ، ورغم ذلك ظلت هذه الأخيرة تباشر تلك العلاقات مع الأوضاع الجديدة في المغرب،بشتى الأشكال في الفترة نفسها،وهو الأمر الذي يؤدي بنا إلى التساؤل عن أوضاع المغرب في هذه الفترة ، وأوضاع كل من الدول الأوروبية المتوسطية المتمثلة في فرنسا وإسبانيا ، وما مدى مساهمة علاقات تلك الدول مع الدولة السعدية في أوقاتها الحرجة التي مرت بها ،وبروز وسيطرة الدولة الناشئة الجديدة المتمثلة في الدولة العلوية التي بدأت تحاول أخد زمام المبادرة منذ سنة 1659م.

كان المغرب يعيش أزمة خانقة في كل الميادين ،نتيجة الضعف الذي أصاب هذا البلد منذ وفاة السلطان أحمد المنصور. فماهي تداعياتها على المغرب الأقصى وعلاقة ذلك مع كل من فرنسا وإسبانيا في هذه الفترة الحرجة من تاريخ المغرب؟

المبحث الأوّل:

لمحة عن أوضاع المغرب الأقصى قبل 1659م

عرف المغرب الأقصى خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م ، وإلى ما قبل ظهورالدولة العلوية سنة 1069هـ/1659م ، أزمات كبيرة من أبرز ملامحها:

- النزاع على الملك وضعف الدولة السعدية.
- التفكك والتجزؤ.
- تجدد الغزو الأجنبي.
- التدهور الاقتصادي والاجتماعي.
- ظهور الدولة العلوية وسياستها الداخلية.

أولا- النزاع على الملك وضعف الدولة السعدية:

بعد وفاة المنصور دخل المغرب نفقا مظلما، حيث تنازع على الملك ، ثلاثة من أبنائه، وهم "زيدان "الذي بايعه أهل فاس، و"أبوفارس"الذي بويع بمراكش،و"محمد الشيخ المامون" الذي أطلقه هذا الأخير من السجن ليقوم بمناصرته في مواجهة أخيهما زيدان ،في موقعة(الحواتة) عند وادي أم الربيع [1]. فأستطاع المأمون أن يتغلب على زيدان ويستولي على فاس سنة 1015هـ/1607م، بينما يلتجئ زيدان إلى تلمسان ليتمكن بعد فترة من دخول مراكش بعد ذلك، وهوآخر ملك سعدي أحتفظ بسيادته على قسم كبير من المغرب[2] .

أدى ذلك إلى قيام محمد الشيخ المأمون بدعوة أهل فاس إلى بيعته ، ثم إندفاعه إلى السيطرة على مراكش بواسطة جيش تحت قيادة ابنه عبد الله [3]، ليستولي عليها، ويقتل الكثير من قادتها ، وأطلق جنده للسلب والنهب ، الأمر الذي أدى إلى ثورة السكان ضده ،مفضلين مبايعة زيدان مكانه، لكن وصول نجدة من فاس أنقدت عبد الله بن الشيخ ،الذي تمكن من هزيمة عمه زيدان،بينما وقف أهل مراكش ضده للمرة الثانية ،مما أدى إلى تقهقره ،فتمكن زيدان من الدخول

---

(1) إبراهيم حركات : **السياسة والمجتمع في العصر السعدي** ،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء 1987 ، **ص**91 .

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري ، 9ج، دار الكتاب، ، الدار البيضاء ، 1955، ج6 ، ص04.

(3) هنري دوكاستري:م.م.ت.م Henry de castry**: les sources inédites de L' histoire du Maroc** ,1'ere série dynastie saadienne , Archives bibliothèques de holland , T1 , éditeur Ernest le roux paris1909,p220.

إلى مراكش في سنة 1016هـ/1606م ،بعدما هزم ابن أخيه في معركة "أبي الرقراق" ،فلم يستطع زيدان رغم النصر من أن يستولي على مدينة فاس ،التي كانت موضع طمع لأبي فارس في محاولة للإستلاء عليها في سنة1018هـ/1609م ليتم إغتياله من طرف عبد الله بن الشيخ ،في الوقت الذي التجأ فيه محمد الشيخ إلى الأسبان ، أما زيدان فقد يئس من بسط نفوذه على سائر الأقاليم ،وركز جهده على مراكش[1].

وتجدر الإشارة إلى أن "محمد الشيخ" ، كان قد فاوض الإسبان الذي بقي عندهم سنتين ، للإستنجاد بهما في حروبه الداخلية [2]، مقابل تسليمهم مدينة العرائش الذي تمّ سنة 1610م ، ثم أستولى على مدينة تطوان سنة 1019هـ/1610م، ليغتال بها سنة 1022هـ/1613م،تلا ذلك طرد ابنه عبد الله من فاس سنة 1020هـ/1611م، ليحاول العودة إليها ،من فترة إلى أخرى، إلى أن توفي في سنة 1033هـ/1623م .

وكانت مدينة فاس قد تعاقب عليها ،كل من زيدان ومحمد الشيخ وعبد الله بن الشيخ ، ثم محمد زغودة ابن المأمون وعبد الملك بن الشيخ(1033هـ-1036هـ/1623م-1626م)الذي كان مجرد أمير داخل فاس ، ثم خلفه أحمد إبن زيدان (1627م-1628م) الذي قام بقتل ابن عمه "محمد زغودة"، أما فيما يتعلق بمراكش ودولتها، فبعد وفاة زيدان سنة 1037هـ/1628م تمت مبايعة "أبو مروان عبد الملك بن زيدان" سنة 1037هـ/1627م ، والذي ثار عليه أخواه ،أحمد بن زيدان الذي نفاه إلى فاس [3].

أما الوليد بن زيدان (1040هـ-1045هـ/1630م-1635م)فقد أوعز إلى الأعلاج[4] بإغتيال أخيه ،وهو المصير نفسه الذي تلقاه من طرفهم سنة 1045هـ/1635م، ثم محمد الشيخ الأصغر بن

---

(1) إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص92 .

(2) مجهول: **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**،تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة،ط1،دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش 1994 ، ص104 .

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مرجع سابق ، ج 6 ، ص 82 .

(4) الأعلاج أو العلوج:وهم من العبيد الأوروبيين من صقالبة أو سلاف-رقيق أبيض-،أو من العبيد الأوروبيين المجلوبين بالشراء،المعروفين بإسم البلديين،أو من النصارى الذين عملوا جندا عند المسلمين،وهم ممن عرفوا بالمعاهدين،وكانوا يعرفون أيضا بالعلوج،ينظر: Deverdun(G):Marrakech, des Origines à 1912,ed.technique nord-Africaines,Rabat,1966,t01,p288.

زيدان (1045هـ/1064هـ-1635م/1653م)ثم أحمد العباس بن محمد (1654م-1659م) الذي قتل من طرف أخواله الشابانات[1].

ثانيا- التفكك والتجزؤ:

عرف المغرب مع بداية القرن 11هـ /17م ، حروبا داخلية عبارة عن ثورات شعبية ذات صبغة محلية ، أو حركات ثورية صوفية ،قادها رجال صوفيون كالعياشي وأبي محلي ويحي الحاحي وأبي حسون السملالي ،وأغلب هذه الحركات كان منطلقها "سوس" والنواحي الجنوبية بوجه عام[2] فكانت الحركة العياشية 1604م/1641م،بقيادة زعيمها محمد بن أحمد العياشي[3]، الذي تزعم هذه حركة الجهادية ضد الأجانب الأيبيريين[4]. وتلا ذلك جمهورية "أبي رقراق أو "سلا" 1023هـ/1614م ، التي نشأت منذ طرد الأسبان للموريسكيين إلى البلاد الإسلامية طردا نهائيا سنة 1609م[5]. ثم حركة الزاوية الدلائية ، التي كان على رأسها "محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي"[6] وعلى رأس جيش الدلاء، فظهرت رغبة محمد الحاج للسيطرة على الأمر، وقد بدأت القبائل تتطلع إليه مؤدية ،الزكاة والأعشار ،فامتلأت الزاوية بالوفود وتضاعف فيها عدد الأتباع والجنود[7].

---

(1) أرنست مرسيي:تاريخ إفريقيا البربرية من القديم إلى الغزو الفرنسي.... Ernest Mercier :**H istoire de l'afrique septentionale (Berberie)depuis les temps recule jusqua la conquéte francais**,4eme partie edition elibon ,paris 2005,p257.

حيث جاءت بعده إمارة الشابانات تحت حكم كروم بن أبي بكر، وبذلك انتهت سلالة السعديين التي حكمت المغرب لمدة 140 سنة ، أنظر نفسه.

(2) إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص105.

(3) هوأبوعبد الله محمد بن احمد الملكي الزياني المعروف بالعياشيي،أصله من ناحية سلا ولد سنة 980هـ /1573م ، نذر نفسه لجهاد النصارى في الثغور المغربية المحتلة ، أختلف في سبب تسميته بالعياشي فمنهم من قال : نسبة إلى قبيلة آيت عياش،ومنهم من قال : نسبة لمعركة عياشة التي انتصر فيها ،قتل نحو 1641م للمزيد من الإطلاع أ نظر : إبراهيم حركات : **جمهورية أبي رقراق**، في مجلة دعوة الحق المغربية ، تصدرها وزارة عموم الأوقاف ، المغرب ، جانفي 1965 ، عدد3، ص 85 .

(4) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مرجع سابق ، ج 6 ، ص 88.

(5) إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص 118.

(6) ولد محمد الحاج الدلائي في مدينة الدلاء عام 997هـ/ 1588م ، مات مسموما ، تزعم الحركة الدلائية ضد السعديين الذين رأى فيهم أنهم لم يعودوا يصلحون لحكم المغرب الأقصى ، للمزيد من الإطلاع أنظر : محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ، تحقيق محمد حجي،ط1،03ج، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،ج03،ص1070.

(7) محمد حجي:**الدور السياسي للزاوية الدلائية** ، مقال في مجلة دعوة الحق المغربية ، العدد 4 ، فيفري 1965م ، ص 93.

كان العياشي يعطي الدلائيين من غنائم الحرب إعترافا منه بالجميل[1]. فالعلاقة به قامت على أساس متين من الإخلاص والوفاء ،[2] والتحالف ضد بقايا السعديين[3] ، ثم حملتهم على الحياينة [4] ،فلولا الدلائيون ما أستطاع العياشي أن يقضي على كثير من الفتن [5]، إلى أن حل التوتر في العلاقات بينهما سنة 1050هـ/ 1640م، ووفاة العياشي جراء ذلك[6].

أما ثورة الخضر غيلان على الدلائيين الذي أنقضّ على مدينة القصر الكبير ،وأستولى عليها وقتل فيها "علي بن أحمد" الذي كان قد أغتال العياشي، وبدأ يغير على المدن والقبائل الخاضعة للدلائيين، فأقلق ذلك بال محمد الحاج الدلائي الذي أخذ يتهيأ لملاقاته في معركة حاسمة، وفي شهر رمضان خرج الحاج محمد الدلائي على رأس جيش قوامه ثمانون ألف مقاتل ، وبمكان يسمى"وادي بوحريرة " دارت بينها معركة شديدة كانت الخسارة فيها للدلائيين [7].

وقد نافس الدلائيون أبناء الشريف بن علي (جد الملوك العلويين) [8]،إلى أن جاء السلطان الرشيد ، وأستولى على المغرب الشرقي، ومدينتي فاس ومكناس، وفي محاولة من محمد الحاج الدلائي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، خرج على رأس جند من البربر لمقابلة الشريف الرشيد، وألتقى الجمعان في معركتين، هما نهر بومزرورة (أحد روافد وادي فاس) و سهل (بطن الرمان) وكانت فاصلة بين العلويين والدلائيين ليتم القضاء نهائيا على الزاوية الدلائية .

أما عائلة النقسيس الذين قاموا بالجهاد ضد البرتغاليين ،والعمل للتخلص من وجودهم فقد واجهوا في ذلك عدة صعوبات [9]، فجعلوا رباطا قرب المستعمرة على الدوام ،يرابط فيه المجاهدون بقيادة مقدم العائلة، وهو رئيس الحركة ،فقام أبناء النقسيس بدور كبير في الجهاد ضد

---

(1) محمد حجي، محمد حجي:**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**،ط1،المطبعة الوطنية،الرباط1964،ص 149 .

(2) أ نظر : الدعاء كاملا في كتاب الناصري : مرجع سابق ، ج 6 ، ص 91 .

(3) محمد حجي : مرجع سابق ، ص 154 .

(4) قبيلة عربية في شمال شرق فاس، مستقرة بين نهري سبو وورغة أ نظر : محمد حجي : مرجع سابق ، نفسه.

(5) نفسه ، ص 154 .

(6) نفسه ، ص 155، 156 .

(7) نفسه ، ص 217 .

(8) نفسه ، ص231.

(9) دو كاستري ،م.م.ت.م، بريطانيا ، مج 02، ص349، ثم أنظر عبد اللطيف الشاذلي: **الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17**، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء 1982،ص62.

الأجانب، حيث عرفت هذه العائلة بنشاطها الجهادي، حتى أيام أحمد المنصور وأبو محلي[1]، ككل القوى الأخرى مثل عائلة غيلان بقيادة علي غيلان [2]،وأبو حسون السملالي في الجنوب.[3]

أما عائلة "أولاد أبي الليف" التي تقطن منطقة الهبط ،فقد أستشهد مقدمها محمد في القتال، ولّما صالح "المأمون السعدي" النصارى وسلم لهم ثغر العرايش قام أحد أفراد أسرة أبي الليف بإغتياله. [4]

وفيما يخص الحركة العلوية التي أستقر "المولى الحسن" ، الجد الأول للعلويين بسجلماسة، كان الشرفاء العلويون يحظون بعناية السلطات الحاكمة أنداك كالمرينيين والوطاسيين ، وأزدادت مكانتهم زمن حكم أبناء عمومتهم السعديين ، وبمرور الزمن تمكن العلويون من بناء أنفسهم وإشتداد أمرهم وخاصة عندما ضعف أمر الدولة السعدية بعد وفاة أحمد المنصور.[5]

أصبحت سجلماسة موضع إهتمام الدلائيين والسوسيين، وملتقى نفوذهم غير أن المولى الشريف العلوي ،كانت له المكانة الأولى فيها مع أن القائد السوسي (بودميعة) [6] سرعان ما أغتنم فرصة نزاع داخلي، حصل بين العلويين وجيرانهم الزبيريين، فتدخل في سجلماسة محاولا إخضاعها لنفوذه، وألقى القبض على المولى الشريف ،ونقله أسيرا إلى مدينة (إليغ عاصمة إقليم السوس) .

هذا التدخل في سجلماسة أثار الدلائيين واستنكر رئيسهم محمد بن أبي بكر الذي ألح على بودميعة على إطلاق سراح الشريف، وأمام إصرار" بودميعة" على موقفه الرافض لإطلاق الشريف العلوي، هدد الدلائيون باستعمال القوة إن لزم الأمر، وأخذ أهل سجلماسة ينظمون أمرهم لمقاومة

---

(1) أبو العباس بن خالد الناصري: مرجع سابق،ج6 ، ص30.

(2) نفسه ص35 ، 36.

(3) عبد اللطيف الشاذلي: المرجع السابق ، ص67.

(4) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مرجع سابق ، ج 6 ، ص 120 .

(5) عبد كريم كريم : **المغرب في عهد الدولة السعدية** ، ط2، شركة الطبع والنشر، الدارالبيضاء 1978 ، ص331 .

(6) هو نفسه أبو حسون السملالي،المعروف بإسم علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن موسى السملالي،سمي في الوثائق المسيحية،بمرابط سوس،وأميرها،عاصمته إليغ،عاش بين1022هـ/1613م إلى 1070هـ/1660م،أنظر عنه:محمد حجي:المرجع السابق،ص138.

بودميعة، واستطاع أهل سجلماسة عام 1050هـ/ 1640م مبايعة المولى محمد بن الشريف أميرا، فأبتدات بذلك الصفحات الأولى من تاريخ العلويين.[1]

ثالثا–تجدد الغزو الأجنبي:

ما أن شعرت الدول الأوروبية بضعف المغرب ، حتى بادروا بأنظارهم إليه[2]،حيث نجد إسبانيا التي فاوضت أحمد المنصور على تسليم مدينة العرائش لسنوات طويلة، فقد كان الملك الإسباني فيليب الثاني (1560م–1598م) يرى في المغرب حليفاً إستراتيجياً، يتطلع بشغف كبير إلى إحتلال مرسى العرائش الذي كان يعتبره يساوي إفريقيا بأكملها[3].

كان فليب الثاني يفضل القنوات الدبلوماسية عبر الأب مرين (Padre Marin) و"بيرو بنيغاش" (Pero Vanegas) ليتفاوض مع أحمد المنصور، وأنطونيو دا شالدانيا (Antonio de Saldanha) ، وإلى حدود سنة 1602م، إستمر الإسبان في اتخاذ نوع من الحذر والإحتراس اتجاه المغرب،وستسلم العرائش للإسبانيين كما يعرف الجميع، ولكن لن يكون أحمد المنصور هو المسلم ولا فليب الثاني هو المسلم إليه[4].

بل سيتنازل عنها إبنه محمد الشيخ المأمون "لفليب الثالث ابن فليب الثاني"في مقابل 200 ألف أوقية و6000 بندقية، وذلك سنة 1610م بعد مفارضات طويلة وعسيرة توسط فيها المغامر الجنوي جينتينو مورتارا (Gianettino Mortara) [5]، ثم توالت المخططات الاسبانية لإحتلال كل من المعمورة يوم 29 جمادي الأول سنة 1023هـ/06 أوت 1614م وأطلقوا عليها إسم (San Miguel de ltramar) و سلا بداية من 1619م، ثم فضالة التي أراد الهولنديون إقامة حصن فيها.

حاولت هولندا أن تضع يدها على المعمورة، وخاصة على موقع (Aier) أو– أيير وهو مكان غير بعيد عن المدينة – الذي تطلعت فرنسا كذلك في إقامة ميناء عليه لصيد المرجان ،سنة 1619م بقيادة كلود دي ماس[6].

---

(1) محمد حجي،المرجع السابق ، ص ص 155 ، 156.

(2) عبد اللطيف الشاذلي: المرجع السابق ،ص15 .

(3) أنظر عبد الكريم كريم :المرجع السابق،ص118 .

(4) عبد اللطيف الشاذلي: المرجع السابق،ص24.

(5) أنظر دي كاستري: المصادر المغفلة لتاريخ المغرب، السلسلة الثانية، الأراضي المنخفضة،ج01 ، ص28، ثم أنظر الحسين بوزينب:**من العرائش الى فضالة أربعة عقود ونصف من الإستراتيجية الاسبانية في احتلال مراسي مغربية** (1578م–1624م) في مجلة التاريخ العربي،العدد13،الإمارات العربية المتحدة،2000.

(6) دوكاستري :م.م.ت.م:السلسلة الاولى،فرنسا،مج 01 ، ص56..

رابعا– تردي الوضع الاقتصادي والاجتماعي :

عرف المغرب موازاة للاضطرابات السياسة، تعاقب فترات من الأوبئة والجفاف، كان من نتيجتها تضرر قطاعاته الاقتصادية، وقد كان بعضها، يشكل موردا رئيسيا لخزينة الدولة مثل السكر إنتاجا وصناعة،وذلك بسبب الحروب بين أبناء المنصور ،وبينهم وبين المتمردين عليهم ،كما أسهمت الحروب والأوبئة،فتضررت مزارعه وخربت معاصره وتراجع إنتاجه بالمغرب،كما أسهمت المنافسة الأجنبية في إنتاجه وتراجع محصوله، كما انخفضت موارد القوافل الصحراوية من الذهب بسبب تراجع النفوذ السعدي في السودان، وعن منطقة "التوات"، المركز الأساسي للقوافل القادمة من السودان.وبذلك تحول جزء هام من تجارة القوافل نحو الولايات العثمانية،وأتجه جزء مهم من تجارة السودان لصالح الأوربيين المتمركزين بالسواحل الإفريقية[1].

و في أواخر أيام المنصور الذهبي، إنتشر بالمغرب مرض الطاعون[2]، الذي قضى على الكثير من السكان ،وكان إحتلال الموانئ قد ألحق أضرارا كبيرة بالمغاربة، مما أحدث تدهورا خطيرا في معيشة السكان ،وبخاصة مربي الماشية .

قد أدى ذلك إلى الندرة في المواد الاستهلاكية،والى الإرتفاع الفاحش في أسعارها، و لم تمض بضع سنوات على وفاة المنصور حتى تدهور مركز المغرب الاقتصادي بسبب الحروب الأهلية من جهة، وبسبب تحول طرق التجارة الصحراوية الأفريقية ،وقلة تدفق الذهب من جهة أخرى،فقد لوحظ أنه قبل سنة 1603م، كانت هناك قافلة سنوية تجلب إلى مراكش ضرائب السودان، ونظرا لإضطراب الأحوال في السودان ،وفساد الجند ومقاومة السودانيين ،لم يعد يصل إلى المغرب إلا قافلة واحدة كل ثلاث سنوات والتي لم يتأكد وصولها سالمة في أغلب الأحيان[3].

لقد أدت الفتن في العشرينيات من القرن 11هـ / 17م إلى حصد الآلاف من سكان المغرب ،بسبب الفتن المختلفة واللاأمن واللاإستقرار والكوارث الطبيعية وانتشار الأمراض الفتاكة، وتفشي الوباء القاتل(الطاعون الأسود) ،وبلوغ الجوع ذروته في هذه الفترة[4]. فقد كادت

---

(1) دوكاستري :م.م.ت.م ، الأراضي المنخفضة ، مج 1، ص624.

(2) محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني : **نزهة الحادي بأخبار القرن الحادي** ،تحقيق هوداس،مطبعة أرنست لورو،باريس 1889،ص20.

(3) محمود علي عامر ومحمد خير فارس : **تاريخ المغرب العربي الحديث** (المغرب الأقصى ، ليبيا) منشورات دار دمشق، دمشق 1999، ص 71.

(4) محمد الصغير الأفراني: مصدر سابق ، ص 20.

الأوبئة والمجاعات أن تكون متصلة من مطلع القرن 11هـ/ 17م حتى نهاية العقد السادس من القرن السابع عشر الميلادي ونذكر الوباء الطويل الذي بدأ من سنة 1006هـ/ 1598م وأستمر حتى سنة 1016هـ/ 1607م ، فذهب من ويلاته خلق كثير، من مختلف الفئات الإجتماعية بما في ذلك السلطان أحمد المنصور سنة 1603م[1]. ثم المجاعة والوباء في أعوام 1611م/ 1614م ، والطاعون الذي أصاب المغرب وكل شمال إفريقيا سنوات 1621م / 1623م ، والذي إستمر متقطعا إلى سنة 1636م ليظهر من جديد سنة 1651م[2].

كما تميزت هذه الفترة بوفادة عدد كبير من الموريسكيين على المغرب ، فهذا البلد قد أستقبل منهم من ستين إلى ثمانين ألفا في سنوات 1018هـ/ 1609م وما بعدها ،أضف إلى ذلك إنتشار فئات العلوج الذين أدخلوا اللغة الإسبانية [3].

ورغم تردي المسارات المختلفة في هذه الفترة بما في ذلك المسار الثقافي والفكري ، كانت هناك حركة أدبية وفكرية و ثقافية ، تمثلت في ما قام به أبناء المنصور من جمع للكتب وإتقان للغات الأجنبية ، وانتشار التعليم في الزوايا، فهذا "أفوقاي" الذي أدرك من حياة المنصور الخمس سنوان الأخيرة ، قد ذكر أن لديه مكتبة تحتوي على إثنين وثلاثين ألف كتاب في مختلف صنوف العلم[4]. وبرز في هذه الفترة الكثير من الأعلام كالفقيه "عبد الواحد بن عاشر"[5]والطبيب "أبو القاسم الغول الفشتالي" [6].

ولا شك هذه الأوضاع جميعها، كانت تبين بصدق التحولات ، التي طرأت على المغرب مباشرة بعد دخولالحادي عشر الهجري / القرن السابع عشر الميلادي ، والتي أهلت هذا البلد

---

(1) عمار بن خروف : **ملامح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين** ، في مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر ، عدد 3 ، 1987، ص ص 67، 91.

(2) نفسه .

(3) محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ، تحقيق محمد حجي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1996، ج1 ، ص1070.

وانظر كذلك إبراهيم حركات : **المغرب عبر التاريخ من بداية إلى نهاية السعديين**،3ج، دار الرشاد الحديثة ، دار البيضاء ، المغرب 1978،ج 03، ص 415.

(4) أحمد بن قاسم الحجري أفوقاي : **رحلة أفوقاي ، مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب 1611م / 1613م** ، تحقيق محمد رزوق ، ط1 ، السويدي للنشر التوزيع ، أبوظبي ، دت ، ص 106.

(5) محمد حجي : **موسوعة أعلام المغرب** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1997، ج 3 ، ص 1287.

(6) ابراهيم حركات : مرجع سابق ، ص 468.

للدخول في مسار جديد من العلاقات الدولية وخاصة الدول الأوروبية ممثلة في دولتي إسبانيا وفرنسا.

خامسا – ظهور الدولة العلوية وسياستها الداخلية:

كان المغرب في المائة الأولى من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، أشبه حالا بملوك الطوائف ، فقد ظهرت فيه عدة إمارات ، وزعامات متصارعة فيما بينها ،حيث أخفقوا في محاولاتهم لتوحيد المغرب وتزعمه ، وكتب القدر للملوك العلويين ،الذين حكموا المغرب ثلاثة قرون ونصف ،أن يقع على كاهلهم ،إرساء حكم قوي ودائم ، بدون عصبة دينية أوقبلية يعتمدون عليها خلاف الدافع الذي حدث مع الأسر السابقة للسعي للحكم ، وإنما كان هدف العلويين سياسيا ،يتمثل في توحيد البلاد ، فمن هؤلاء العلويون ؟ وما هي جهودهم في بناء دولتهم ؟

الدارس لتاريخ المغرب الأقصى ، يجد تشابها كبيرا في تاريخ الدولتين المغربيتين (السعدية والعلوية) وخاصة في الأصل الشريف ،فالدولة السعدية قامت على فكرة الجهاد ضد الأيبيريين المحتلين للثغور، أما الدولة العلوية فظهرت كقوة إقليمية تناضل ضد القوى المحلية والصوفية المحيطة بها .

أ – نسب الأسرة العلوية :

يرجع نسب العلويين إلى سلالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان أول من ادعى الأحقية بتولي الأمر في المغرب ،هو محمد بن الشريف بن علي الشريف السجلماسي[1]. ويعرفون كذلك بالشرفاء السجلماسيين ، سكنوا منطقة تافيلالت ، جنوب جبال الأطلس في المغرب وفي عهد الوطاسيين ، ظل نشاطهم مقتصرا على واحة تافيلالت حتى عصر الفوضى بعد وفاة أحمد المنصور، حيث كانت واحتهم مطمعا للدلائيين والسملاليين ، ولمواجهة ذلك بايع أهلها مولاي علي الشريف أميرا على المنطقة)2(.

---

(1) أبو العباس بن خالد الناصري:المرجع السابق ، ج7 ، ص ص 03، 04، 05. وأنظر كذلك محمد بن عبد السلام الرباطي:**تاريخ الضعيف الرباطي**،تحقيق محمد البوزيدي ، ط02 ،ج01،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء،المغرب2007،ص 93. وأنظر عن نسب هذه الأسرة كذلك ، محمد بن الطيب القادري: المرجع السابق ،ج03، ص 1057.

)2(محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 78.

كان المغرب آنذاك مقسما بين الدلائيين في الأطلس المتوسط ، الذين احتلوا فاس والوسط وأبي حسون الذي كان يحكم منطقة السوس والأطلس الكبير ، والخضر غيلان الذي كان في الشمال والسعديين و الشبانات في مراكش وضواحيها[1].

ب– بدايات ظهور العلويين :

أدّى الصراع بين الدلائيين والسملاليين للسيطرة على تافيلالت، إلى قيام أبي حسون باعتقال المولى الشريف وإيداعه السجن[2].وقام ابنه "مولاي محمد" بإنقاذه وتنازل له على الإمارة حيث نصب خلفا له سنة 1050هـ/ 1640م ،كان هذا إيذانا ببدء دولة العلويين الشرفاء[3]. فتحولت الأنظار إلى الملك الجديد محمد الشريف ، الذي نجح في طرد السملاليين من سجلماسة ، وأستولى على درعة ، ثم اصطدامه بقوات أبي عبد الله محمد الحاج الدلائي في 1056هـ /1646م في وقعة (القاعة) التي انتهت بالصلح، و توجه الشريف ناحية وجدة وتلمسان سنة 1059هـ/ 1650م ،ثم محاولته الدخول إلى فاس في نفس السنة[4].

وبعد وفاة مولاي الشريف بن علي سنة 1069هـ/ 1659م [5].خرج أخوه مولاي الرشيد عن بيعة أخيه وعلى إثرها غادر تافيلالت ، وبدأ جولته في المدن والأقطار المغربية والقبائل في الجنوب والوسط والشمال ،حيث ذهب إلى وادي تدغة ،ودمنات ، وزار الزاوية الدلائية ودخل فاس ، ثم وصل به المقام عند دار "أبي مشعل" التي هجم عليها وأستولى على مدخراتها وبذلك وجد المال الوافر لبناء جيش قوي جمعه من قبائل الشراقة، بين الحدود المغربية الجزائرية ، وبويع في بلاد أنكاد والظهرة وتافرطة ومسول و زناتة والقبلة ودار ابن مشعل وكارت والريف ، وأندفع محمد الشريف إلى مجابهة أخيه، وألتقى الجمعان في معركة، أدت إلى مقتل "مولاي محمد"

---

(1) للمزيد من الإطلاع على أحوال المغرب أنظر ب.أ. أرتموت :ضمن المؤلف الجماعي، **تاريخ إفريقيا العام** ، 10 ج،ط02، بقلم محمد الفاسي ، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت 1990 ، ج 03 ،ص 241.

(2) أبو العباس بن خالد الناصري:المرجع السابق، ج 7 ، ص ص 8– 11.

(3) الضعيف الرباطي :مرجع سابق، ص97. وأنظر كذلك شوقي عطا الله الجمل : **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب) ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1977، ص 209. وأنظر محمد بن الطيب القادريك: نشر المثاني ، ص 1485.

(4) الضعيف الرباطي : المرجع السابق ، ص 98.

(5) محمد بن الطيب القادري : المرجع السابق ، ص 1485.

يوم الجمعة 02 من محرم 1075هـ/25 جويلية1664م ، ثم واصل الرشيد السيطرة على سجلماسة ونزل تازا [1].

ج- الدولة العلوية في عهد المولى الرشيد 1075هـ-1082هـ/1664 م -1672م:

بعد وفاة محمد الشريف بويع أخوه الرشيد ،وضمّ إليه جند أخيه ، فتقوى أمره وتقدم إلى تازا وملكها[2].ثم أستولى على سجلماسة التي كان زعيمها ابن أخيه المتوفي محمد الصغير ، وحاصر فاس سنة 1076هـ /1665م ودخلها في أوائل ذي الحجة من سنة 1075هـ ، وتمت مبايعته بها[3]، ثمّ غزا أحواز مكناسة ،وتمكن من الدلائيين عام 1079هـ/ 1668م[4]، ثم توجه إلى مراكش وسيطر عليها سنة 1081هـ،وتوجه بلاد السوس وقضى على ما تبقى من نفوذ السملاليين وبذلك حقق جزءا من وحدة المغرب السياسية، وخضعت له بذلك معظم بلاد المغرب[5] .

شكل الرشيد جيشا من قبائل الشراقة[6]، ومن أهل الريف ،ومن بعض القبائل الأمازيغية بالإضافة إلى بعض الأسرى المسيحيين ،الذين استعملهم في المدفعية حيث بلغ جيشه ثمانية ألاف(8000) فارس وإثنين وثلاثين ألف (32000) من المشاة .

وقد قام بعدة منجزات عمرانية منها إنشاء مدرسة الصفار بفاس ، وضرب العملة باسمه ، وأهتم بالثقافة والعلم والطب وأنتعشت في عهده الحركة الاقتصادية والاجتماعية، وبنى مدرسة في مراكش وشيّد الجامع الأخضر بها، ومدّ الجسور (القناطر) وأقام الأسوار .

وقد توفي المولى الرشيد على إثر حادث أصيب منه بجرح عميق وذلك عام1082هـ /1672مـ وهو يقوم بجولة في وسط بستان ،وفي احد الاماكن أعترضه،غصن حاد توفي من جرائه ،ورحل و لم يدرك طموحاته التي عوّل عليها في توحيد المغرب،الأمر الذي تولاه أخوه المولى إسماعيل.

د- المولى إسماعيل وإعادة بناء الدولة المغربية 1056هـ-1139هـ/ 1672م-1727م:

---

(1) أبو العباس بن خالد الناصري: الإستقصا،المرجع السابق ، ج7 ، ص 29. وكذلك أنظر محمد بن الطيب القادري: المرجع السابق ،ج 03، ص 1528.

(2) عبد الرحمان بن زيدان : **الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة** ، المطبعة الاقتصادية ، الربـاط 1973، ص 11.

(3) محمد بن الطيب القادري: المرجع السابق،ص 1546.

(4) شوقي عطاالله الجمل :المرجع السابق ، ص 212.

(5) الأفراني : المرجع السابق ، ص 304. وللمزيد انظر كذلك ابن زيدان : مرجع سابق ، ص 183.

(6) الشراقة لفظ أطلق على عرب وادي المغرب الشرقي وللمزيد من الإطلاع انظر الناصري :المرجع السابق ،ج 07،ص 41.

هو المولى إسماعيل بن محمد الشريف ، ثالث مؤسسي الدولة العلوية في المغرب وثاني سلاطينهم وأبرز ملوكهم وصدر دولتهم ،كان عاملا في زمن أخيه على منطقة مكناسة ، ولما توفي الرشيد سنة 1672م بايعه علماؤها من بين أربعة وثمانين ابنا للمولى علي بن الشريف[1].كان المولى إسماعيل أسمر البشرة حيث ذكر المؤرخون الغربيون أن أمه سودانية ، عرف بتدينه وبحضوره للمناسبات الدينية، وصفه الغربيون بأنه فظيع ذوقوة ، قاسي نحو أعدائه، رؤوف ومشفق تجاه بعض الناس وكان محبا للفروسية وركوب الخيل ، أخمد الثورة التي نشبت ضد أخيه الرشيد في تازا[2] .

وقد نازعه أخوه المولى الحران على الملك وأنتصرعليه في 07صفر 1083هـ/03جوان1672 وواجه أحمد بن محرز والخضر غيلان والمولى هاشم، وقضى على كل الثورات في عهده، بواسطة المكر والدهاء ،وقد واجه المولى إسماعيل بعد بسط سلطته على المغرب، جملة من الأزمات الداخلية والخارجية،استطاع أن ينجح في حلها، ففي الداخل فرض الدولة المركزية ،وأزال الزعامات القبلية والدينية (الصوفية خاصة) والسياسية، وقضى على نفوذهما وأضعف القبائل النزاعة إلى الإنفصال.

أما المهمة الثانية فهي تحقيقه النمو الإقتصادي، بتشجيع القبائل على التحول للزراعة والرعي وتربية الحيوانات، وأعتنى بالمواصلات والري، وأستفاد بالخبرة الأجنبية ،وعمد على النهوض بالأمن في المغرب، ليبدأ بتجريد القبائل من السلاح،وانشأ جيشا من العبيد سماه جيش "عبيد بخارى" من أبناء العبيد الذين جلبهم السلطان أحمد المنصور إلى المغرب[3]، وكانت مهمة هذا الجيش الذي بلغ حوالي مائة وخمسين ألف (150000)جندي ،لحفظ الأمن في المناطق المتوترة

---

(1) يجين بلانتي:مولاي إسماعيل والأميرة دي كونتي. ... Eugéne Plantet:**Moulay ismail Empereur du Maroc et la princesse de Conti**,paris1883,p02.

وأنظر كذلك جلال يحي: **المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب** ، ط1 المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية ، 1983،ص22.

(2) Sieur g.Mouette:**histoire des conquétes de moulay Archy connu sous le nom de roy de tafilelt,et de moulay ismail ou semein son frére,et son successeur a présent regnant**,paris1683,p443.

وأنظر: (P) Busnot:**relation de ce qui cést passé dans les trois voyages que les religieux de notre dame de la merci ont fait dans les etats du roi du maroc,pour la redemption des captifs en 1704,1708,et 1712**,paris1724,p69. .

(3) محمد السايح : **المولى إسماعيل العلوي** ، في مجلة دعوة الحق ، الرباط 1959، عدد 2، ص ص 27-32.

وفي ملتقى الطرق ،وبجوار القبائل المتمردة، حيث انشأ لهم الحصون والقلاع ، وأقام حاميات في كل حامية بها من مائة (100) إلى خمسمائة (500) جندي .

ثم نظم جيش الوداية المكون من القبائل، يتألف من ثلاثة فرق ،منها فرقة أهل السوس وفرقة المغافرة، وفرقة الوداية، وكانت لهذه الفرق حصونا بلغت حوالي 76حصنا[1].

بنى المولى إسماعيل مدينة مكناسة من جديد، وجعلها مقرا لملكه[2]. وتحت سماء الأمن والطمأنينة زاد الرخاء الإقتصادي،ونهضت الثقافة وبنيت المدارس وعمرت المساجد وعادت الزوايا لنشر العلم ،بالرغم من أن في عهده كثرت الغرامات، وأعمال السخرة ،وتردت في عهده العلاقات التجارية الداخلية ، والخارجية ، وقاوم القرصنة وأستعاد معظم الموانئ المغربية ،وحاصر مرتين مدينتي مليلية وسبتة [3].

(1) عبد الله الجراري : **أبو النصر المولى إسماعيل** في مجلة دعوة الحق ، الرباط 1967، عدد 4، ص ص 131-133.

(2) أبو القاسم الزياني : **الترجمان المعرب في دول المشرق والمغرب** ،مط الجمهورية،باريس1886، ص 15.

(3) عبد الجواد السقاط : **من تاريخ الحركة الثقافية في عهد المولى إسماعيل** ، في مجلة دعوة الحق ، الرباط 1986، عدد 258، ص ص 42-49.

المبحث الثاني

الأوضاع العامة في فرنسا وإسبانيا قبيل سنة 1659م

بحلول القرن السابع عشر الميلادي في أوروبا، بدأت تلوح في أفق الحياة السياسية في فرنسا وإسبانيا بوادر التغيير، التي تجلت على نطاق واسع في تلك الأحداث، التي شملت معظم ميادين الحياة العامة والخاصة ،وأهلت فرنسا إلى أن تتبوأ مركزا قياديا في القارة،وعلى عكس ذلك نرى تقهقرا واضحا في أوضاع إسبانيا،وسنرى ذلك من خلال النقاط التالية :

01- الأوضاع العامة في فرنسا قبيل سنة 1659م:

* ظهور عائلة البوربون وبداية الحكم المطلق.
* إنهاء الحروب الدينية .
* مجابهة أوروبا .
*الاضطرابات الداخلية .
* النهوض بالبحرية .
* الحالة الاقتصادية والاجتماعية .

أ – ظهور عائلة البوربون وبداية الحكم المطلق :

تمّ اغتيال الملك الفرنسي هنري الثالث بتاريخ 02أوت 1589م، وعلى إثر الحروب الدينية من الهجنوت والكاثوليك ، كان هنري الرابع يومئد حاكما لمقاطعة (نافار) الواقعة على حدود فرنسا الجنوبية ،وكانت تنسب إلى فرع من فروع العائلة المالكة (الفالوا) وتعرف بعائلة البوربون التي كانت تعتنق المذهب البروتستانتي ،وعلى خلفية النزاع على الحكم، أصبح هنري الرابع ملكا على فرنسا، ورأى أن من مصلحتها أن يعتنق الكاثوليكية ،دين الأغلبية وطالب بالرجوع إلى الكنيسة سنة 1593م [1] .عمل هنري الرابع على إبرام سلام مع إسبانيا عرف بسلام (فرفنPaix de Vervins) سنة 1598. و"براءة نانت" [2] الشهيرة في نفس العام والتي انتهى بها الصراع في فرنسا، وفي سنه 1600م تزوج من "ماري دوميدتشي" التي أنجبت له الملك المستقبلي "لويس الثالث عشر" كما قام بإبرام معاهدة مع (دوق سافوا) سنة 1601م ، حيث حصلت فرنسا

---

(1) جفري براون : **تاريخ أوروبا الحديث** ، تعريب علي المرزوقي ،ط1،الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان 2006،ص 21.

(2) Edit de Nante أنظر في ذلك Pierre Soulier et Pierre Bernard : **L'xplication de L édit de nante** , edition Antoiné dezallier ,Paris 1683. p 208.

بذلك على منطقتي (بيجي و لابروس) و أجبر على تكريس "نظام البوليت"سنة 1604م[1] ، وقد أغتيل الملك هنري الرابع سنة 1610م وتولى بعده ابنه الصغير ، الذي وضع تحت وصاية أمه والذي عرف فيما بعد "بلويس الثالث عشر" .

ب- إنهاء الحروب الدينية :

على إثر انتشار المد التبشيري البروتستانتي ،واعتناق العائلات الكبرى لهذا المذهب وظهور الرابطة (La ligue) ،التي تزعمتها إحدى أسر مقاطعة "جيز" [2].

وقد دافعت عن البروتستانت الكثير من العائلات المالكة ،فقد أصدرت الملكة الأم الوصية على العرش مرسوما عام 1562م ، يبيح للبروتستانت العبادة بعيدا عن المدن الكبرى، وتحقق جراء ذلك سلم أليس (Paix d àlés) [3]، الذي عقد في 28جوان 1629م،ثم سلم Montpellier [4]،في 19 نوفمبر1622م. ولم يستمر هذا السلم طويلا، فقد أعتنق "هنري الرابع" الكاثوليكية سنة 1593م ،مما اضطر البابا إلى رفع الحرمان الكنسي عليه، والإعتراف به حيث أصدر هنري براءة "نانت" سنة 1598م، التي أنهت الصراع الديني في فرنسا مؤقتا والذي تجدد بعد اغتياله، واعتلاء ابنه العرش تحت وصاية أمه "ماري دوميدتشي" .

في هذه الفترة برز الوزير الكاردينال "روشيليو" سنة 1624م، الذي رفض اقتسام السلطة مع الهجنوت وصمم على تدمير ما تبقى منهم،لكنه عاد وآثر أن يفاوضهم ويوقع معهم معاهدة "لاروشيل" سنة 1626م ،والتي جددت معاهدة "مونبيليه" ثم جره ذلك إلى حصار موقعهم في "لاروشيل" الذي دام ثلاثة أشهر ،حيث استسلموا له في سنة 1629 م ،وترك لهم الحرية الدينية والمدنية والقضائية ،التي خولتها لهم براءة "نانت " ولكنه حرمهم من امتيازاتهم السياسية كعقد المجالس السياسية ،والعسكرية، وبقي الحال كما عليه حتى جاءت براءة (Fontaine Bleau) [5]،في

---

(1) "البوليت"La poulette: رسم سنوي يدفعه موظفو العدالة والمالية،إلى ملك فرنسا،لتأمين نقل وظائفهم لأبنائهم،أنظر:
Michel Cassan,Robert Muchenbled et autres:**le16é et 17é siécles,H istoire moderne**,paris1955,p205.

(2) شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق:**تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة**،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،القاهرة 2000،ص59.

(3) Gilles Deregnaucourt,didier poton**:la vie religieuse en France au 16éme et17éme siecles**,ed ophrys, paris1994,p63.

(4) Phillippe Corbiére: **Histoire de l'Eglise réformé de Montpelier depuis son origine jusqu'à nos jours**,paris 1861,p161.

5) (Ives MarieBercé: **louis xiv,le cavalier bleu**, paris 2005, p69,70

عهد لويس الرابع عشر بتاريخ 1685م، التي ألغت سلام أليس (Paix d'Alés) وسلم (Montpellier) في سنة 30 أفريل 1622م .

ج – مجابهة أوروبا :

في بداية القرن السابع عشر الميلادي كانت في أوروبا دولتان كبيرتان هما فرنسا والنمسا، فقد أجبرت فرنسا في عهد ملكها "هنري الرابع" النمسا، على السلام وفق معاهدة "فرفن" سنة 1598م، والتي بواسطتها عززت حدودها الشرقية بتخلي "دوق سافوا" عن عدة أقاليم مثل "البرس " و"يوجيه" و"جكس" وأستفادت من عدة إمتيازات بعد معاهدة ليون سنة 1601م[1] .

إتجهت فرنسا بعد ذلك إلى إكتشاف مستعمرات جديدة، من بينها أراضي كندا بواسطة أحد رجالها المسمى شامبلين (Champlain) سنة 1608م،ثم تواجدها في جزر الكاريبي، ووسط أمريكا، أما في أوروبا فقد حصلت فرنسا على إثر معاهدة "موتسوف" سنة 1626م منطقة "الفاليتلين" ثم إنتصرت على دوق "سافوا " سنة 1629م ،وإنتزاعها لمنطقة بينيرول(Pignerol)في شمال إيطاليا،ثم إعتراف إسبانيا بمرشح فرنسا،على منطقة"مانتو "سنة1631م، وتوقيعها حلف مع "ماكسيميليان" سنة 1631م لمدة ثماني سنوات، وتأييدها "لجوستاف أدولف" بالتدخل في ألمانيا في 04جويلية سنة 1630م [2] .

بعدما تدخلت السويد، إلى جانب فرنسا في حرب الثلاثين سنة، وقعت معركة "لوتزن" في 16نوفمبر 1632م، ومعركة "نورد ليتز" في 06 سبتمبر 1634م،هذه المعارك التي أدت إلى تقهقر أمراء البروتستانت،الأمر الذي أدى بهم إلى عقد صلح مع إمبراطور النمسا في 03ماي1630م، عرف بصلح "براغ"،والذي سرّع دخول فرنسا المباشر في هذه الحرب، أقيل على إثرها دوق" ميمورنسي"،ثم تحالفت مع الأقاليم المتحدة[3]،وكان رد الأمبراطورية المقدسة هو إعلان الحرب على فيليب الرابع ملك فرنسا سنة 1635م، والتي إمتدت لمدة ثلاثة عشر عاما (1635م– 1648م) دارت رحاها في جبال "البرينيه" والحدود الشرقية والشمالية لفرنسا ، الأمر الذي نتج عنها صلح "البيرينيه"، الذي أعطى لفرنسا مقاطعة "فرانش كونتيه"، ثم تعزيز حدودها مع الأراضي المنخفضة و الألزاس على الحدود الألمانية.

---

(1) نور الدين حاطوم :**تاريخ القرن السابع عشر في أوروبة**،ط1،دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،دمشق1986، ص 09.

(2) جفري براون : المرجع السابق ، ص 254.

(3) نفسه ، ص ص 260، 261.

أدت موقعة لاكروا (Rocroi) بتاريخ 19ماي 1643م[1]،إلى إنتصار الفرنسيين على الأسبان، هذا النصر فتح المجال للسويديين لغزو "بافاريا" ،وحصار "ميونيخ" ثم الإستلاء على "براغ" ،الأمر الذي أرغم الإمبراطور النمساوي على الجنوح إلى الصلح في معاهدة "وستفاليا" سنة 1648م[2]، و خلال ذلك تمكنت فرنسا بالتعاون مع إنكلترا من طرد الإسبان من ميناء "دنكرك"،وأخيرا جاء صلح "البرانس" في 07 نوفمبر 1659م[3] ليكتمل النصر نهائيا لفرنسا .

د – الاضطرابات الداخلية :

إثر موت "هنري الرابع" المفاجئ في سنة 1610م، مغتالا من طرف أحد المتعصبين في 14 مارس 1610م، تولت زوجته "ماريا دي ميديتشي" الوصاية على العرش بسبب صغر ابنها (لويس الثالث عشر) وريث العرش، هذا الأمر أدخل فرنسا في فوضى جديدة،تأصلت جذورها في الصراع بين طبقة رجال "الإكليروس" مع الدولة وصراع الملك مع أمه، ودخول طائفة جديدة إلى هذا الصراع هي طائفة الطبقة الثالثة(Tiers Etat) [4].

طلب النبلاء بإسترداد سيادتهم الإقطاعية القديمة،لكنهم جوبهوا بقوة ثالثة هي الكتلة الشعبية المجردة من النبلاء،والطبقات الوسطى، فطلب هؤلاء التحقيق في المنح والمعاشات التي يتلقاها النبلاء من خزانة الدولة، ونادوا بأن يخضع الجميع ،حتى رجال الدين للقوانين والمحاكم، وكان ذلك مابين سنتي 1614م /1615م .

بقيت الوصاية على العرش من سنة 1610م / 1617م،حيث ظهر الفساد في القصر، مما أدى إلى تحرك الطوائف وحكام الأقاليم مثل "دوق كوندي" و "دوق سوسون" و"أنغوليم" و"فاندوم" و"وفي"ر و"قير"،والعائلات الكبرى، ففاوضتهم الملكة في 15 مارس 1614م، ووعدتهم بتحقيق مطالبهم، منها إلغاء ضريبة القامة (La Taille) ، ثم تدخل طرف ثالث ،نادى بإلغاء نظام "البوليت"، فتطور الصراع بين لويس الثالث عشر، وأمه الملكة بداية من سنة 1617م، مما دفع "بريشيليو " إلى التدخل ، وأمام إزدياد ثورات الطبقات الشعبية في الأقاليم مابين سنوات (1623م

---

(1) برنارد جينا: روكروا 1643م الحقيقة والرؤية الأخرى لمعركة أسطورية ...

Bernard Gena et patrice petit etante **:Rocroy 1643, verités et controverses sur une Bataille de Legende** , office de tourisme de Nord –Ouest ardennes ,2007,p48

(2) François combes : **Histoire generale de la diplomatie européenne, Histoire de la formation de L équilibre europeéne par les traites de westphalé et des pyréneés** , imp, de w . Remquet , paris 1884, pp 198 - 216 - 343.

(3) برنارد جينا : المرجع السابق ، ص265.

(4) نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص 245.

إلى 1629م) ،إستعمل ريشيليو نظام المؤسسات الإدارية للدولة،وأستعان بالموظفين والنظار والمفتشين وكان يعلم بأن هذه الثورات مدعومة من طرف البرجوازيين، فسايرها حتى توفي في 04ديسمبر1642م، ومن بعده مات لويس الثالث عشر في 14 ماي 1643م[1].

ومن أخطر إضطرابات فرنسا ثورة الفروند (La Fronde)، وهي ترمز إلى سلاح رمي يتألف من قطعة جلد تربط بسيرين من الجلد أو الصوف ، أما مفهومها السياسي فهي تلك الإضطرابات التي جرت بفرنسا في سنوات 1648م / 1653م، نتيجة إستياء الطبقات النبيلة وأعضاء البرلمان و الإكليروس من سياسة "روشيليو" المركزية ومحاولتهم إستعادة إمتيازاتهم[2].

هـــ – النهوض بالبحرية :

حتى مطلع القرن السابع عشر الميلادي لم تكن البحرية الفرنسية ذات اعتبار يذكر، حيث قام هنري الرابع بالرفع من شانها بالرغم من وصول الكاردينال "ريشيليو" إلى السلطة، وسعى جاهدا إلى تطوير البحرية ،وتقوية قطعها ، ومع ذلك ظلت غير قادرة على احتواء التنافس الدولي أنذاك، فلم يتجاوز عدد سفنها الواحد والعشرين سفينة[3].

تمكن ريشيليو من كسب ثقة الملك لويس الثالث عشر ،فاستطاع أن يدفع بهذه البحرية إلى الأمام، حيث أفاد المؤرخون الفرنسيون أنه بعد وفاته كان عدد الأسطول الفرنسي حوالي 63 (ثلاثة وستين) قطعة ،بالإضافة إلى 22 (إثنين وعشرين) بارجة"قاليرة"متطورة ومحكمة الصنع والتجهيز.[4] بلغت التكاليف المالية لهذه الإصلاحات، ملايين الفرنكات سنويا،وبوفاة هذا الكاردينال تقلصت هذه الإصلاحات وضعفت، ثم نهضت في عهد لويس الرابع عشر، بواسطة وزيره "كولبير" وأحتوت على العشرات من العمارات البحرية.[5]

وفي سنة 1661م، بلغت البحرية الفرنسية كامل قوتها في عهد الوزير الأول " مازران " وهذا بغية التصدي للقرصنة ومجابهة أعداء فرنسا في البحار والتمكين للتجارة وحمايتها [6]. و

---

(1) نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص ص 248،249.

2) (Louis Clair de beau poril saint-aulane:**Histoire de la Fronde**,vol 1,paris182 وأنظر كذلك Jules Michelet: **Richelieu et la fronde**, channerot ed, paris 1858,p18-45

3) (Masson(p):**les galéres de France,marseille,port de guerre(1481/1781)**,Edition Hachette,paris1938,p104.

4) (Meman(R):**Le Materiel de la marine de guerre sous louis xiv,1690/1690**,Hachette,paris1936, p 03.

(5) Eugène Sue **: Histoire de la marine francaises**,vol 01,ed.A.everat,paris 1836,p13.

(6) Alfred Donéaud : **Histoire de la Marine francaise , des origines, à la fin du XIX** siecle, Editins L' ancre DE Marine , saint Malo , 2002,p 56.

إختلافا للقوى الأوروبية مثل إنكلترا وإسبانيا ، المحاطين بثلاثة جهات بحرية فإن فرنسا لم تلعب دورا مهما في تاريخ البحرية حتى زمن لويس الثالث عشر، بالرغم من سياسة ومشاريع غزو المناطق البعيدة ،كما حدث بالنسبة لكندا،وأرخبيل الباهاماس في أمريكا في نهاية القرن 16 وبداية القرن 17م.

كانت سياسة الملوك الفرنسيين هي البقاء داخل فرنسا ، وتركوا البحر بالرغم من أهميته الإستراتيجية ، حتى جاء "روشيليو"الذي أمر ببناء البحرية الفرنسية، سواء العسكرية منها أو التجارية، و تقوية قطعها وزاد في قوتها أكثر مجيئ "مازاران"[1] و"كولبير" بفضل سياستها الإصلاحية.

و– الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

تتفق جل المصادر والمراجع الأوروبية، على أن الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية، بفرنسا في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، كانت مضطربة نتيجة للأوضاع السياسية الداخلية والإجتماعية[2]،والتي تداخلت فيها تلك الأبعاد بفعل تسلط كبار ملاك الأراضي على القطاعات الزراعية،وكثرة النزاعات الداخلية،والزيادة في الضرائب،ثم هجرة سكان الريف نحو المدن.الأمر الذي أثر على بنيانها العام،وعكس نظاما جديدا للمجتمع الفرنسي هو التهيأ للدخول إلى النظام الرأسمالي،والخروج من بقايا موروثات أنظمة الإقطاع.

– الأوضاع الاقتصادية:

رغم الإصلاحات التي جاء بها هنري الرابع، غداة إنهاءه الحروب الدينية، و إصداره لبراءة نانت سنة 1598م ، زاد على إثرها الناتج الزراعي، وإزدهرت الصناعة المحلية، وانتشرت الحرف في المدن والأسواق،إلا أنه بعد وفاته تدهورت الأوضاع الإقتصادية، نتيجة للتفاعل القوي للاضطرابات، والزيادة في الضرائب على الطبقات المتوسطة، حيث كانت طبقة النبلاء تمتلك[3] لوحدها حوالي خمس الأراضي الصالحة للزراعة، ومعفاة من ضريبة (La taille)، ومن نظام السخرة الملكية، وزاد ذلك أن فرض عليهم ضريبة الرؤوس، والدخل ،في بداية عهد لويس الرابع عشر،مع العلم أن أكثر من 80% من سكان فرنسا يعيشون على الزراعة، ويعملون فيها بالأجرة،

---

(1) هو :Armand jean de plessis,cardinal-duc de rochilieu et de fronsac.رجل دين ودولة عاش مابين 1585م إلى 1642م.أنظر عنه: Jean Leclerc: **la vie du Cardinal de Richelieu** ,paris 1694 ,p p 05.20.

(2) نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص ص255 – 257.

(3) عبد العظيم رمضان : **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ج 1، ص 287.

أو يستأجرونها من أصحابها ، كما كانت الكنيسة تملك حوالي 10% من تلك الأراضي المعفاة من الضرائب[1].

تميزت هذه الفترة بتحرير التجارة، وانتشرت بين الفلاحين ،وزادت المطاحن، واستخدمت الأنهار للنقل، وانتشرت الصناعات الغذائية، وقطع الأخشاب ،وصناعة الجلود والورق التي دخلت من المغرب والأنتيل ،ثم صناعة الزجاج والكريستال، وإستخراج الفحم الحجري[2]. إلا أنه بالرغم من التقدم الذي ناله هذا المجال ،بقي منكمشا بسبب زيادة الأسعار والضرائب .

وبمجيئ "كولبير"(Jean Baptiste Colbert) –رجل الإقتصاد القوي– قام بتغيير إقتصاد فرنسا وخلصه من جمود الإقطاع إلى نظام موحد، وركّز على الزراعة والصناعة والتجارة، وأقام مركزية النظام الملكي "المركنتلي"، ثم أنشأ الزراعات النموذجية، وأعفى الفلاحين الذين يستصلحون الأراضي الجديدة من الضرائب، وجلب الصناع المهرة من الخارج، كصناع الزجاج من البندقية، والحديد من السويد والأقمشة من هولندا، وزرع التوت لإنتاج الحرير، وأيد صناعة السفن ونظم الطوائف الحرفية ،الذي بدأت تشكل بفعل نمو الهجرة إلى المدن،وإنتشارالرأسمالية التجارية.[3]

– الأوضاع الإجتماعية :

تميز المجتمع الفرنسي، في النصف الأول من القرن السابع عشر، بكثرة عدد سكانه البالغ ما بين 15 و18 مليون نسمة[4]. حيث يؤكد المؤرخون بأنه لولا الحروب والمجاعات والأمراض وإرتفاع نسبة الوفيات بين الأطفال، لتضاعف سكان فرنسا كل عشرين سنة[5]. وكان المجتمع مقسم إلى طبقات على رأسها العائلة المالكة، ثم رجال الدين الإكليروس، والنبلاء والدوقيات، ثم طبقات البرجوازية التجارية والإدارية، ثم طبقة أعضاء المجلس الاستشاري، والبورجوازية المالية،

---

(1) هنري بيرين : **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** (**الحياة الاجتماعية والاقتصادية**) ، تعريب وتحقيق عطية القوصي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1996، ص ص 181– 194.

(2) بول ديلسال:فرنسا الصناعية في القرون 16و17و18 ..... Paul Delsalle **: La France industrielle aux xVIe, XVIIe, XVIIIe , siécle , paris,1993 ,** pp12 ,16 , 17.

(3) نفسه،ص ص23– 35.

(4) هنري بنيويت:سكان فرنسا في القرن 16و17و18م..... Benoit Gargot : **la population francaises au 16émes,17émes ,18émes siécles**,ed.ophyris,paris1988,p11.

(5) نفسه،ص12.

والبرجوازية المالكة للأرضي والأملاك العقارية، ثم طبقة المحكومين المتمثلة في الشعب بالأرياف وأصحاب الزراعة ،والحرف ،وأخيرا سكان المدن والبورجوازية الصغيرة[1].

ضربت المجاعة الشعب الفرنسي في الفترة ما بين سنوات 1617م إلى 1621، ثم من سنة 1622م إلى 1625م،و 1626م ،وقد ضربها الطاعون سنوات 1629م ، 1631م و 1636م و 1639م حيث بلغ إنتشاره في بعض المناطق إلى 30% ، وأدت هذه الوضعية إلى إنكماش إجتماعي في كل المجالات خاصة في الأرياف[2].

علما أن الحروب وحدها قد دمرت حوالي200 قرية في منطقة الألزاس، و150 قرية في لوران بين سنوات 1635م و1667 م، هذه الظروف المزية أثرت على الإنتاج الثقافي والأدبي في البلاد مع مطلع النصف الثاني من القرن السابع عشر،الذي عرفت فيه فرنسا نوعا من التذبذب واللإستقرار في جميع الميادين.

2- أوضاع إسبانيا قبل سنة 1659م :

يشير جلّ المؤرخين إلى أن القرن 16 م هو قرن إسبانيا ، لما تمتعت به من قوة ،فقد كانت من أعظم الأمبراطورايات في العالم حتى بداية القرن السادس عشر ، فكانت هذه المملكة تضم أراض شاسعة مثل "روميون" و"فرانش كونتي" و"أوران" والأراضي المنخفضة ودوقية "ميلان" ومملكة "نابلي"، إلى جانب صقلية وسردينيا، وجزر الهند الغربية ومعظم الأجزاء الجنوبية لأمريكا الشمالية بالإضافة إلى أمريكا الوسطى والجنوبية،ثم إمتلاكها للبرتغال وأملاكه في آسيا،والبرازيل. إلا أن وضعها بدأ يميل إلى الضعف، في بداية هذا القرن.

ويمكن إبراز ذلك في النقاط التالية :

- تراجع الدور الإسباني في العالم وضعف النظام الملكي وفساده.
- حروب إسبانيا في أوروبا.
- الأزمات والاضطرابات الداخلية .
- الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.

---

(1) Fransois Loirette : **Létat et la région, L éxemple de Laquitaine au XVIIe , siècle,** presses universitairés , Bordeaux 1998 , p 143.

2) Paul Delsalle **: le cadre (de vie en france au XVIIe et XVIIIe siécle ,** paris , p 39

أ – تراجع الدور الإسباني في العالم ،وضعف النظام الملكي وفساده :

تولى عرش إسبانيا في النصف الأول من القرن 17م ملوكا ضعافا ، كفيليب الثالث الذي تولى الحكم من (13سبتمبر 1598م إلى غاية 31مارس 1621م) وفيليب الرابع من 31مارس 1621م إلى غاية 17سبتمبر 1665م[1]، ثم قاموا بتولية وتفويض الحكم لوزراء فاسدين مثل دوق ليرما "الدون فرانسيسكو قومز دي ساندوفال أيروجا"(Don Francisco Gomez de Sandoval y Rojas) الذي تولى الحكم من سنة 1598إلى غاية 1618م، والذي أقاله الملك بسبب كثرة الفساد الإداري والحكومي، و تولى بعده ابنه "كريستوبال دي ساندوفال" (Cristobal de Sandoval) دوق إيسيدا(Uceda) الذي عمّق الفساد ، وعندما تولى فيليب الرابع الحكم ،عمد إلى تفويض السلطة إلى الكونت "دوق أوليفارس"(Duc de Olivares) ، الذي تولى تسيير أمور الدولة من سنة 1621م إلى غاية 1643م[2].وهو الذي حاول في مدة 21سنة، إصلاح الدولة، كإعادة بناء الإقتصاد والمالية وحارب الرشوة والفساد، ولكن بسبب الحروب إضطر إلى رفع الضرائب، مما جلب عليه نقمة المتآمرين الذين أسقطوه من الحكم في سنة 1634م.

بعده تولى فيليب الرابع تسيير الدولة بنفسه ،فخفض النفقات بالرغم من التدهور الكبير الذي تفشى في دوليب الدولة وقطاعاتها المختلفة ، ثمّ استمرار الحرب وعدم تخفيف الضرائب التي أثقلت كاهل المواطنين ، وتأخر وضعف الإنتاج الزراعي، مما أدى به و بإسبانيا إلى الرضوخ إلى كل التدخلات والضغوطات الأجنبية،وخاصة فرنسا وإنكلترا،الأمر الذي أدى بها في نهاية القرن السابع عشر إلى الأنسحاب الشبه التام عن التحرك في أوروبا.

ب– حروب إسبانيا في أوروبا :

عمدت إسبانيا للدخول في كثير من النزاعات الدولية في أوروبا ،فقد كانت حروب إستقلال الأقاليم المتحدة الأكثر دموية وشراسة ، والتي بدأت من سنة 1566م إلى 1609م، ففي المرحلة الأولى إنتهت بمعاهدة هدنة سنة 1609م التي دامت لمدة 12 سنة [3] .

(Antonio Feros:**king shep and fanopitism in fhe spain of philip three,1598/1621**,London 1) 2006,p62.

(R.A.Stradling:**philip iv,and the government of spain,1621/1625**,cambridge,uk,1988,p51. 2) وأنظر كذلك: جون كوليتز دانلوب:ذكريات تاريخ إسبانيا في عهدفيليب الرابع وشارل..

John Colins Dunlop: **memore of spain during the reigns of philip iv ,and charle 2**,1626/1700,ed.clark,london1834,p326.

(3) جفري براون : المرجع السابق ، ص 204.

ثم أستمرت المواجهات إلى غاية سنة 1648م،وانتهت بمعاهدة (وستفاليا)في 1648/12/24م والتي بموجبها أعترفت إسبانيا بهولندا كدولة مستقلة [1] .جاءت حروب إسبانيا مع فرنسا، وخاصة في حرب الثلاثين سنة، ومنها حرب كتالونيا سنة 1641 م، ومعركة "Montguic " في 26 جانفي 1641م، ومعركة "روكروا" سنة 1643م، ثم معركة "دوانز" سنة 1639م مع الهولنديين، وروسيون سنة 1642م مع الفرنسيين، ثم معركة (Les dunes) في دانكيرك شمال فرنسا في 06/14/ 1658م[2]، وقد إنتهت كل هذ الحروب الإسبانية في أوروبا في هذه الفترة بمعاهدات وستفاليا سنة 1648م ، ومعاهدة البرانس سنة 1659 مع فرنسا أما حروب إستقلال البرتغال التي بدأت في 1640/12/01م، وبقيت أوضاعها المتفاعلة إلى غاية 12 فيفري 1668م، تاريخ معاهدة "لشبونة" والتي أعطت الاستقلال التام للبرتغال بعد توسط ملك إنجلترا شارل II، ممثلا في سفيره "اللورد ساندويتش" (Lord Sandwish). أما ثورة إستقلال مقاطعة كتالونيا في سنة 1640-1659م و التي ألحقت فرنسا القسم الشمالي منها إليها باسم"روسيون" ثم بقي القسم الجنوبي ذا حكم ذاتي موسع بعد عام 1659م .

ج- الأزمات والاضطرابات الداخلية :

عرفت إسبانيا خلال النصف الأول من القرن السابع عشر عدة أزمات وهزات إجتماعيـــة نذكر منها :

- أزمة طرد الأندلسيين :

بسبب مخاوف إسبانيا من أزماتها المتعددة وحروبها الخارجية ،وفي ظل تأزم الأوضاع السياسية والاقتصادية بها، وبعد تقرير "خوان دي ربير" رئيس أساقفة بلنسية إلى "فيليب الثالث" بقصد اقتراح عملية الطرد، ثم تولية "دوق ليرما" الذي يحمل حقد على الطائفة الموريسكية ، ثم دوق برناندو وساندوفال أيروجا" أخ دوق ليرما" .أدت تلك العوامل إلى طرد حوالي 400 ألف أندلسي من موطنهم[3]، وكانت هذه أقلية قد حملت على عاتقها تطويرالقطاع الزراعي والصناعي، وساهموا في رفع المستوى المعيشي لإسبانيا ، ويبدو أن رئيس أساقفة بلنسية (خوان دي

---

(1) Klaus Madeltke : **les traités de paix de westphalée et l' organisation politique du saint empire Romain germanique,**in revue Dix – septiéme Siécles ,No210 , 2001 , P 211.

2) (Patrick Villiers : **les corsaires du littorale , Dunkerque , phyllipe ıı à louis xiv** 1568-1713, paris 2000, p82 .

(3) ألبير دي سيركو:تاريخ المورسكيين المدخرين أو عرب إسبانيا تحت سيطرة المسيحيين..... Albert de Circout**:** Histoire des Morisques mores medsjares et des morisques ou des arabes d'Espagne,sous la domination des chretiens,t 03,paris 1846,pp155,180.

ليبيرا) الذي أشتهر بإضطهاده للموراركة[1]، فبدأت معاناة هذا الشعب بعد مرسوم 1609م بدءا من بلنسية ثم إلى كل مناطق إسبانيا وامتدت هذه المأساة من 22/ 09/ 1609م إلى غاية 1 مارس 1610م ،وحملوا على أكثر من 63 قاليرة في إتجاه شمال إفريقيا وخاصة الجزائر، والمغرب وتونس.[2]

– ثورة كتالونيا 1640م :

إنطلقت هذه الثورة سنة 1640م، بعدما أقدمت مدريد على إرسال فرقة عسكرية متعددة القوميات،للوقوف ضد تدخلات فرنسا في المقاطعة،الأمر الذي أدى إلى رفض الكتالونيين لهذا الأمر ،ثم تجاوزات هذه الفرقة ،تبعتها ردود إنتقامية من السكان،وطالبوا بحماية فرنسا لهم،وبقي الوضع لمدة خمس سنوات ،حتى إنسحب الجيش الأسباني من هذه المنطقة،مع إعطائها إستقلال داخلي واسع. [3]

– ثورة البرتغال 1640م :

يعود السبب إلى إقدام الدوق "أوليفارس" على إحلال نظام الوحدة الإدارية محل الإتحاد الخاص الذي أنشأه فيليب الثاني،فعمد إلى توزيع المناصب البرتغالية رفيعة المستوى على النبلاء من مختلف الجهات،وقرر دمج مجالس "الكورتس البرتغالي"في مجلس قشتالة،ثم فرض ضريبة بنسبة 5% على جميع الممتلكات. فحدث أن ثار البرتغاليون في 01ديسمبر1640م،ونادوا"بجان الرابع" ملكا على البرتغال،ولم تعترف إسبانيا بشرعية الحكم الناشئ إلا بعد 25 سنة،بينما سارعت فرنسا وإنكلترا إلى الإعتراف بـــ"جان الرابع" . [4]

– ثورات نابولي 1631م،1647م،1650م:

إندلعت هذه الثورات في سنوات 1630م ثم سنوات 1647م و1650م نتيجة لتجاوزات النظام الضرائبي المتكررة،والمتسلطة على السكان،وبسبب عجز السكان عن دفع تلك الضرائب ،فتسبب ذلك في القيام بعدة إنتفاضات محلية،مدعومة من طرف الأرستقراطيين،ومباركة فرنسا،والتي إشتدت ضد إسبانيا. [5]

---

(1) عادل سعيد بشتاوي : **الأندلسيون الموراكة** ، ط1، مطابع أنترناسيول ، القاهرة 1983، ص ص 174– 183.

(2) ألبير دي سيركو:المرجع السابق،ص ص 189–191 .

(3) جـــان بيرنجيـــه ومـــن معـــه:**موســـوعة تـــاريخ أوروبـــا العـــام**،ط1،تعريـــب وجيـــه البعيني،منشـــورات عويدات،بيروت1995، ج2،ص437.

(4) نفسه،ص438.

(5) جان بيرنجيه ومن معه: المرجع السابق ،ص439.

د- الأزمة الاقتصادية والاجتماعية :

من الضروري التوضيح بأن بداية القرن السابع عشر عرفت فيه إسبانيا أزمة ديمغرافية كبيرة كالنقص الفادح في السكان، بسبب الطرد الجماعي للأندلسيين ،والهجرة الإسبانية إلى العالم الجديد، و التجنيد الإجباري والحروب المستمرة، وتفشي الأمراض المتكررة ،والطاعون والمجاعة فكل ذلك خلق وضعا إقتصاديا وإجتماعيا مختلفا عن ما كان عليه في السابق[1] .

وأمام هذه التحولات في بلد كان يشتغل فيه فئات نشيطة في ميادين النسيج و التي بلغت في مدينة سيروفيا (segovie)عاصمة النسيج مابين ستمائة (600) مهنة في الحياكة والنسيج، وأنخفض سنة 1640م إلى النصف، وتقلصت كل المهن الصناعية، والحرفية في هذه العقود الأولى إلى النصف أو الثلثين[2]. كما تأثرت التجارة حيث تولاها الأجانب الجنويون والهولنديون،فقد كانت السفن التجارية التي تعمل في إسبانيا تقدر بأزيد من ألفي (2000) سفينة لتتراجع إلى مائتي (200) سفينة في السنوات مابين 1594إلى 1614م [3] .

وجراء ذلك تأثرت المداخيل من المعادن الثمينة الواردة من أمريكا من 60 ,69 مليون بيزوس" Pesos" في أواخر القرن 16م ، لتبلغ في العقد الثاني من القرن 17م إلى 60,5 مليون بيزوس" Pesos" حيث تمثل هذه المداخيل 25% من مداخيل الخزينة [4] .

وقد لحق الزراعة انحطاطا كبيرا لتوسع تربية المواشي ،وهجرة السكان من قراهم، فأصبحت الأراضي الزراعية بورا وكثر الإنفاق عن الحروب ،وازدادت الديون ،التي بلغت حوالي واحد وعشرون (21)مليون أوقية ،زاد في حجمها نفقات القصر ،التي تجاوزت مليون ونصف مليون أوقية[5] .

هذا الأمر دفع بالحكومة للرفع من الضرائب والرسوم بنسبة 14% في سنوات 1621و1631م[6] ، مما زاد من الأعباء الإقتصادية التي أثرت في البنية الإجتماعية ، فعانت من

Marc Zuili : **Societé et economie de L' Espagne au xVie** et **X V**(lle **Siecles** , Paris 2000, 1) P 30.

(2) رفائيل كراسكو:إسبانيا .... Raphael Carrasco:**L'Espagne des Validos**,1598/1645,press univ du Murail,p30.

(3) نفسه،ص 31 .

(4) رفائيل كراسكو: المرجع السابق،ص 31 .

(5) نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص 358 .

(6) آن ماري كاكيلا وماري قبارون : المرجع السابق ، ص23 .

هشاشة النظام العام، بسبب قلة السكان الذي بلغ 08 ملايين[1] ،ويعود ذلك للطاعون الذي ضرب هذا البلد في سنوات 1598م – 1603م، ثم في سنوات 1628 /1630 وسنوات1659/1661[2] والطاعون الذي ألمّ بوسط الأندلس سنوات 1606م و 1609م والذي دام تسع سنوات حيث مات من جرائه في كتالونيا وحدها 15%من سكانها وفي أراغونة وأندلوسيا 200 ألف وفاة ،ونصف سكان إشبيلية أي ستين ألف ضحية، ويرجح المؤرخون أن عدد ضحايا الطاعون بلغ 1.5مليون نسمة [3].

وبذلك شهد المجتمع الإسباني في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ضعفا بينا في تركيبة المجتمع الإسباني على جميع الأصعدة، الاقتصادية، والاجتماعية وبات التدهور هو السمة العامة للمجتمع الإسباني في هذه الفترة .

كل ذلك إجتمع ليؤثر على تباين الثقافة العامة ،وعلى الخلفية العامة للمجتمع الإسباني ،والضعف العام الذي ظهرت به إسبانيا في هذه الفترة من تاريخها.

---

(1)ويرل ديورانت : **قصة الحضارة** ،ترجمة فؤاد أندراوس وعلي أدهم ،مج07،دار الجبل،بيروت1986 ،ج02،ص 89.

(2) (FrancisBrimont : **Peysans de veille castille aux XVle et XVlle siecles** , casa de valazques , Madrid 1993, p 29.

(3.)نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص 358 .

المبحث الثالث

علاقات المغرب الأقصى السياسية مع فرنسا وإسبانيا ، قبيل سنة 1659م

1ــ علاقات المغرب السياسية مع فرنسا،قبيل سنة 1659م.

كانت العلاقات المغربية الفرنسية،في مطلع القرن السابع عشرمتشعبة،غلبت عليها العلاقات التجارية ومن أجل ذلك تركزت السفارات ،وأعتمد القناصل الفرنسيين في المدن المغربية،وأدى التواجد التجاري الفرنسي في الموانئ المغربية،إلى عقد المعاهدات بين الدولتين،ومن أبرز مظاهرها مايلي:

أ –السفارات المغربية لدى البلاط الفرنسي قبيل سنة 1659م:

إعتمد السلاطين المغاربة على بعض الفرنسيين كوسطاء ومبعوثين لهم، لدى البلاط الفرنسي ليسهلوا المهمات التجارية والدبلوماسية وحلحلت بعض القضايا العالقة بين البلدين والتي كانت تحدث نوعا من التوتر والقطيعة، فكانت بعثة" لويس كابريط"سنة 1576م وسفارة قيوم بيرارسنة 1577م ثم تتابعت هذه السفارات ومنها:

1– سفارة القائد أحمد الغزولي(Caid Ahmed /El – guezouli):

أرسلت هذه السفارة في عهد السلطان مولاي زيدان بن احمد المنصور–الذي كان حينها يبسط نفوذه على مراكش– بين سنتي 1612م و1613م ،وكانت مهمتها الأساسية هي إسترجاع المكتبة المغربية ،حيث غادرت هذه البعثة على متن السفينة الفرنسية (Notre dame de la garde) التي تركت ميناء أغادير متجهة إلى مدينة أمستردام،عاصمة المقاطعات المتحدة (Les provinces Unies)،ومن هناك طلبت التوجه إلى باريس عن طريق وساطة سفير المقاطعات المتحدة في باريس،الأمر الذي رفضته السلطات الفرنسية،بواسطة ملكها لويس الثالث عشر،وعلى ذلك فشلت مهمة السفارة وعادت أدراجها[1].

ويبدو أن فشل هذه السفارة يرجع بالدرجة الاولى إلى عدم تواجد صلات قوية في هذه الفترة بين السلطان زيدان ولويس الثالث عشر.

---

(1) دوكاستري : م.م.ت.م ،السلسلة01،هولندا ،المجلد 02،ص106–108–131.وأنظر: رابح سعيد:النظرة الفرنسة على المبعوثين المغاربة في القرن السابع عشر . . . . Rabih Saied: **Le Regard francais sur les envoyés Marocains du 17émes et 18émes siecles**,Mémoire de D.E.A,sous la Directions de Jean-pierre Duteil,univ-vincennes saint-denis,paris 1999,2000,p23,24.

2- سفارة سيدي فارس :

وهي تتمة لسفارة أحمد الغزولي سنة1020هـ/ 1612م، حيث رافقه فيها المارسيلي ديماس (Dumas) وعندما وصل سيدي فارس إلى مرسيليا تخلى عنه (Dumas) وتنكر له وبذلك أجبر على العودة للمغرب دون إنجاز المهمة[1].

3- سفارة أبو العباس أحمد بن قاسم بن فقيه بن الشيخ الحجري الأندلسي :

والمسمى أفوقاي أوشهاب الدين أحمد بن القاسم الحجري ، قام بسفارته بين سنتي 1611م و 1613م وقد وصلت البعثة إلى أمستردام قي سنة 1612م، وكلفت بمهمة استرجاع المكتبة المسلوبة ، و التوسط للموريسكيين المحتجزين في فرنسا، وقد وصلت البعثة إلى البلاط الفرنسي وزار أفرادها عددا من المدن الفرنسية وقفلت راجعة إلى المغرب سنة 1613م دون تحقيق أي نتيجة تذكر[2].

ب – التواجد الفرنسي لدى المغرب الأقصى :

يبدو أن الأوضاع الدولية والداخلية لكل من فرنسا والمغرب لعبت دورا كبيرا في التقارب بينهما في بداية القرن السابع عشر، وفتحت المجال واسعا لبناء علاقات تجارية في مجملها ، تخللتها مهام وقضايا مختلفة، يمكن أن نبين أهمها في هذه المجالات :

- إنشاء الممثليات القنصلية الفرنسية في التراب المغربي.
- إقامة وعقد اتفاقيات مع مختلف القوى المغربية .
- التواجد التجاري الفرنسي .
- قضايا القرصنة والأسرى .

1- إنشاء الممثليات القنصلية الفرنسية في التراب المغربي:

اختلفت العلاقات الديبلوماسية بين المغرب و فرنسا من حيث التواجد القنصلي والاتصال بالرسائل بين حكام البلدين ، فقد كانت هناك عدة رسائل بين الطرفين تعود بدايتها إلى رسائل فرنسوا الأول إلى الملوك السعديين، ورسالة "عبد الله الغالب" إلى" أنطوان دي بوربون" المؤرخة في

)1(ربيح السعيد : المرجع السابق ، ص27.

وأنظر كذلك شارل بانز: ملوك فرنسا والمغرب من ماري دو ميديسي إلى لويس الرابع عشر.. Charle(Penz):les rois de France et le maroc,de marie de medicis à louis xiv,2éme serie,ed.A.moynier,casablanca 1945.p33

)2(ربيح السعيد : المرجع السابق ، ص ص 136 - 158.

جويلية 1559م[1]. ثم جاءت رسالة "هنري الثالث" إلى "مولاي أحمد المنصور" المؤرخة في 1588/02/01م[2]. وكذلك رسائل "مولاي زيدان" إلى"هنري الرابع" و المؤرخة في 1607/04/03م والثانية المؤرخة في 1616/03/24م[3].

ثم رسالة مولاي "عبد المالك بن زيدان" إلى "لويس الثالث عشر" في 1630/11/02م. كما راسل "مولاي الوليد" لوبس الثالث عشر في 1635/07/18م.

ويمكن القول بأن القنصليات قد وجدت في المغرب بداية مع قنصلية "غيوم بيرار"(Guillaume Bérard)،الذي عين في عهد "عبد الملك السعدي" بتاريخ 1577/06/10م وأحتفظ به السلطان أحمد المنصور إلى سنة 1588م[4].

وبحلول القرن السابع عشر كانت القنصليات الفرنسية في المغرب الأقصى كالتالي :

– قنصلية فورنيي Fournier:

شغل منصب القنصل في المغرب سنة 1591م ،حيث تم تعيين "فورنيي" (Fournier) كقنصل لفرنسا في المغرب بناء على قرار البرلمان الفرنسي المؤرخ في 19 سبتمبر 1591م ،وقد التحق بفاس ودامت مهمته 17 سنة ليستغنى عن خدماته سنة 1608/10/06م[5].

– قنصلية دوليسل Dolisle:

وصل دو ليسل إلى المغرب سنة 1588م، وقضى هناك 11 سنة شغل خلالها منصب قنصل فرنسا في مراكش، ثم وظيفة الطبيب الخاص للسلطان أحمد المنصور ، وظل على صلة بالمغرب ليعود إليه سنة 1605م كمبعوث خاص للملك هنري الرابع[6].

– قنصلية كوريول (Guillaume Curil):

أصدر الملك الفرنسي هنري الرابع قرارا بتسمية هذا الشخص قنصلا لفرنسا، وذلك في سنة 1607م ويكلف مرة أخرى بمهمة القنصلية سنة 1610م ، ليتخلى عن مهامه نهائيا سنة 1611م[7].

---

(1)دوكاستري:م.م.ت.م، المرجع السابق ، السلسلة01،م01،فرنسا،ص170–172.

(2)نفسه ، ص141.

(3)نفسه.

(4)نفسه ، ص09.

(5)نفسه ، ص 248 .

(6)شارل بانز: المرجع السابق ، ص73–75.

(7)دوكاستري:م.م.ت.م، المرجع السابق ،ص376.

– قنصلية كاستيلان (Philippe Castellane) :

خلف كوريل في ديسمبر 1611م، وصودق على تسميته كقنصل في المغرب في يوم 22سبتمبر 1610م، ووصل هذا القنصل إلى مدينة آسفي،الموجودة على الساحل الأطلسي قي شهر سبتمبر 1611م[1]. وقد عرض مشروع اتفاقية ،كنمط للامتيازات، ثم كلفه السلطان زيدان،بمهمة لدى "لويس الثالث عشر"، ولدى حاكم مقاطعة بروفانس ، وبعث معه هدايا لهما .وكان "كاستيلان"(Philippe Castellane) هو صاحب قصة اختفاء مكتبة مولاي زيدان، التي أثارت توترات سيئة بين الدولتين إلى سنة 1627م، تاريخ وفاة السلطان مولاي زيدان ،الذي خلفه على العرش ابنه مولاي عبد الملك بن زيدان[2] .

– قنصلية برا أندري (Prat André):

عين هذا التاجر المارسيلي بتاريخ 1629/11/30م ،كقنصل في تطوان وسلا ،حيث عمد في بداية توليه لمهامه إلى تحصيل حقوق القنصلية عند انطلاق الشحنات التجارية من الموانئ الفرنسية الأمر الذي أدى إلى احتجاج التجار ومنهم "بيير مازت"(Pierre Mazet) ، فأرسل "غاسبار دي راستين" (Gasperd de Ras tin) نائب عنه في ميناء سلا، وبسبب الأوضاع السائدة في المدينة ذهب(Prat André) بنفسه إليها في سنة 1643م، حيث كان مكلفا برعاية مصالح التجار الفرنسيين في المغرب [3]. لكن وقعت له مشاكل مع السلطان مولاي الوليد فسجنه سنة 1632 ليتوفي سنة 1634م .

– قنصلية بوركارون (Bourganone):

تم تعيين هذا القنصل بأسفي في 1631/09/17م واحتفظ بمهام نائب قنصل بهذا الميناء .

– قنصليةكاسباردي راستاف Casper de restave:

كان مفوضا من "برا أندري"(Prat André) ، وصل إلى سلا في نهاية 1634م وقد ركز نشاطه على افتداء الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى ، بالإضافة إلى تسوية التجارة الفرنسية وضبط شؤونها في المنطقة، بالرغم من التعقيدات الموجودة في المدينة ، إلا أنه استمر في نشاطه إلى وفاته سنة 1643م[4] .

---

1) (H enry Stein : **un faux diplomate au XVlle Siècle,** paris 1888,p 35.

(2)دوكاستري:م.م.ت.م، المرجع السابق،ص33.

(3)نفسه ، ص33.

(4)نفسه،م03 ، فرنسا ، ص89.

– قنصلية بواي (François de Boyer Sieur de Bandol) :

كان عمره 12 سنة عندما أقدم والده(Jules de Boyer) الذي كان مقربا من الوزير الأول مازران والذي كافأه بتعيين ابنه قنصلا لفرنسا في آسفي، وأمكدول، وأكادير في 29 مارس 1647م و المغرب حين ذاك تحت سلطة الشريف "مولاي محمد الشيخ الصغير" أما منطقة السوس فكانت تحت نفوذ المرابط "سيدي علي بن محمد" لذلك لم تطل مهمته كثيرا[1] .

– قنصلية هنري برا(Henry Prat) :

رافق أباه إلى سلا سنة 1643م حيث بقي لمدة 4 سنوات، وكانت حينئذ سلا وتطوان تحت حكم "محمد الحاج الدلائي" حيث صادق برلمان" بروفانس" على تعيينه في 1649/01/20م كقنصل في سلا وتطوان ،في مكان أبيه وتعيين "بيار سيتراني" (Pierre citrani) نائبا له، في هذه المناطق لمدة ثلاث سنوات ، و لم يلتحق بمنصبه وأناب عنه تاجر فرنسي[2].

– قنصلية بيار ستراني (Pierre Citrani) :

عين في 9 مارس 1650م، غير أن ديوان سلا لم يعترف به، وقد وصل إليها يوم 1650/06/07م[3]، وتمت تسوية وضعيته في 13جانفي 1653م ، ثم أعفي من مهامه،وغادر سلا يوم 28-01-1653م.

– قنصلية أنطوان جوليان (Antoine jilien parasol):

وصل إلى سلا سنة 1652م ،من أجل العمل مع بيار ستراني ، ثم نائبا له في تطوان ومندوب تجاري لهنري برا(Henry Prat) تم تعيينه من طرف مجلس مارسيليا كنائب قنصل في سلا ،وتمكن من الحصول على حق بناء كنيس، لإقامة الشعائر المسيحية ، وعزل من منصبه سنة 1661م[4] .

2- إقامة وعقد اتفاقيات مع مختلف القوى المغربية:

إرتبط المغرب ببعض الدول الأوروبية باتفاقيات مختلفة، ومن أهمها تلك التي إعتمدها الدولة المغربية مع السلطات الفرنسية في النصف الأول من القرن السابع عشر، مع العلم أن المغرب كان قد صادق على إتفاقيات سابقة مثل معاهدة "أنطوان دي بوربون" مع مولاي عبد الله الغالب

---

(1) دوكاستري:م.م.ت.م، المرجع السابق، ص94 .

(2)نفسه ، ص96 .

(3)نفسه.

(4)نفسه ، ص102.

المؤرخة في نهاية رمضان 966هـ/جوان-جويلية 1559م[1] . ومن بين أهم هذه المعاهدات في هذه الفترة نذكر:

- الاتفاق المغربي الفرنسي سنة 1630م:

توصلت فرنسا إلى عقد هدنة مع ديوان سلا، وقد نص الاتفاق على أن لفرنسا الحق في تعيين قنصلا لها في سلا ،تكون له الحرية في التصرف وفي ممارسة طقوس الديانة المسيحية ، ومتابعة القضايا الناشئة بين المراكب السلاوية والفرنسية، كما أشار الإتفاق أنه بإمكان سلا إقامة قنصل لها في المملكة الفرنسية يتمتع بنفس الحقوق والاختصاصات[2] .

- الاتفاق المغربي الفرنسي في 17/09/ 1631 م:

وهو الاتفاق المنعقد مع السلطان مولاي "الوليد" في مراكش حيث نصت بنوده على أنه يسمح لفرنسا بتعيين قنصلا لها في المراسي المغربية، وإنهاء القرصنة ، وإطلاق الأسرى ، وحصانة القناصل وصلاحياتهم ، والحرية الدينية والتجارية،والملاحة البحرية وكذلك السلام بين الطرفين[3].

- الاتفاق المغربي الفرنسي سنة 1635م:

وهي معاهدة سلام بين الملك الفرنسي لويس الثالث عشر وسلطان المغرب مولاي الوليد والموقعة بآسفي بتاريخ 18جويلية سنة 1695م وهي تكمل اتفاق سنة 1631م[4].

3- التواجد التجاري الفرنسي:

عمل السعديون إلى تطوير علاقاتهم التجارية مع فرنسا ،حتى ذهب السلطان عبد الله على حد التنازل عن بلدة القصر الصغير لأنطوان دوبوربون ،والواقعة على مضيق جبل طارق لإقامة سوق أسبوعية بها[5] . والملفت للإنتباه أن تجارة المغرب مع أوروبا قد تأثرت ، بشكل عام باضطراب أحوال المغرب الداخلية خلال الثلثين الأولين من القرن 11هـ/ 17م ، وعمد التجار الفرنسيون إلى إقامة شركات تجارية ،للإتجار مع المغرب واستئجار السفن لجلب مادة السكر[6] .

---

(1)دوكاستري:م.م.ت.م ، المرجع السابق ، مج01،ص170-181.

(2)نفسه،ص69.

3) (Rouard de Card : **les Traités de la France avec les Pays de L' afrique du Nord Algerie , tunisie , Tripolie ,Maroc)** A. Pedone . ed , paris 1906, p 297.

4) (Rouard de Card : **Une compagnie francaise dans L émpire du Maroc au XVlle Siecle** A. Pedone . ed , paris 1908, p 09.

(5) دوكاستري:المرجع السابق ،ص180.

(6)نفسه ، ص303 .

هذه السلعة الموجودة في المغرب والمطلوبة كثيرا في أوروبا،وخاصة في فلاندر والبندقية ،إضافة ان السلع الأخرى التي كانت تستورد من المغرب هي الجلود والنحاس وملح البارود والماشية وبخاصة الخيل، أما واردات المغرب من فرنسا فهي الأدوات المعدنية والأقمشة.

تهاطل التجار الفرنسيون على المغرب وكونوا أرباحا نظرا للتسهيلات التي وجدوها من القناصل الفرنسيين المتواجدين في كل الموانئ المغربية، بتنظيمهم دفع الجمركة للسلطات المغربية المقدرة بين 2% و10 % لفائدة حقوق القنصلية ، ثم عمد الفرنسيون إلى إستغلال المرجان وفتح ميناء سمي بـــ(Aier) لإستغلال الملح في 1616/02/20م، بواسطة "كلود ديماس"(Claude Dumas) وهو تاجر فرنسي ثم شركة "مونتمور التجارية" التي فاوضت السلطان مولاي زيدان بخصوص الاستثمار في المغرب.و عائلة "Les gendres" التجارية أصحاب شركة Rosé de (Roue) في سنة 1638م، التي كانت تتحكم منذ سنة 1633م في التجارة بالسنغال و التي تواجدت بالمغرب وخاصة التاجر "توماس لجونر" (Thomas le Gendre) وأخوه "جون بابتيست"(Jean Baptiste) الذان عمدا إلى مراكش لشراء الحبوب[1] .

4- قضايا القرصنة والأسرى :

إنطلاقا من نهاية القرن 16 شكلت المتغيرات الدولية انعطافا على مسار وضعية الملاحة البحرية وخاصة عند تعرض الموريسكيين لعملية الطرد الجماعي في السنوات 1609م و1614م، حيث نزل بالمغرب حوالي 40000 موريسكي ، سكن سلا وحدها 8000، ومثل ذلك في تطوان وهذا ما جعل قضية القرصنة أو الجهاد البحري تتقوى و تفرز مسارا متغيرا لما قبله[2]. وفي هذا المضمار شكل الأوروبيون منظمات الافتداء (la sainte trinité و Les Pères de notre dame)[3]. أما بالنسبة للأسرى المغاربة فقد أستطاعت الدبلوماسية المغربية من تحرير الكثير منهم في أوروبا[4]. وبظهور جمهورية أبي رقراق، بسلا والرباط والقصبة ومثيلاتها في تطوان وفي آسفي ظهرت ردود فعل قوية من الأوروبيين بسبب بيع أسراهم كعبيد، وفي هذا الصدد بعث إسحاق

---

(1)دوكاستري:م.م.ت.م ،المرجع السابق،ص09-59.

2) (Chantal de la Verrone : **Quelque Processions de captifs en France a leur retour du Maroc d' Alger ou de Tunisie ,** in revue de L O'occident musulman et la méditerrané **No 08 ,**1970**,** pp 131**,**142**.**

3) (P . Christian : **Histoires des Pirates et des corsaires de L' Ocean et dela méditerrané,de puis leur ougines jusqua nos jours** , T1 , , paris1844 ,p59.

(4) فرانسوا مورو:**الأسرى في البحر الأبيض المتوسط،في القرون 16و17م** . . . .

Francois(M): **Captifs en Mediterrannée du 16éme et 17éme siecles**,ed.univ-sorbone,paris 2000,p 93

رازيلي برسالة روشيليو، مؤرخة في 1626/11/26م يبين له فيها أن سلا وحدها كانت تملك حوالي 6000 أسير مسيحي بينهم حوالي 1000فرنسي[1]. حيث لجأ روشيليو إلى استعمال القوة على ديوان سلا في 1629م بواسطة إسحاق رازيلي[2]. كما قام بتحرير حوالي 500فرنسي بين سنتي 1631 و 1639م، وكانت قيمة الفدية تقدر بـــألفين وأربعمائة 2400 أوقية [3].

وقد تبين أنه قبل سقوط المعمورة في يد الأسبان للمرة الثانية في سنة 1610م كان بها 2000أسير مسيحي[4].وبذلك نلاحظ أن عملية القرصنة والأسر بين الدولتين قد تزايدت حدتها في النصف الثاني من القرن 17م .

2- علاقات المغرب الأقصى السياسية مع إسبانيا قبيل 1659م:

إن أهم شيء يمكن ملاحظته ونحن بصدد الحديث عن العلاقات المغربية الإسبانية خلال النصف الأول من القرن 17م ،هو استمرار سياسة المد والجزر الإسبانية نحو هذا البلد نتيجة وجود تطورات،و من ينهما القضية الموريسكية ،ومشكلة القرصنة، ثم محاولة هذه الدولة وضع استرتيجية للسيطرة على عموم موانئ المغرب .حيث نشير في هذا الصدد إلى بعض مظاهر تلك العلاقات ومن أهمها مايلي :

- إستراتيجية إسبانيا في السيطرة على الموانئ المغربية .
- الردود المغربية للدفاع عن الثغور .
- افتداء الأسرى بين البلدين.
- الجهاد البحري والقرصنة الدولية في الموانئ المحررة .
- الجوسسة الإسبانية في البلاط المغربي.

أ- إستراتيجية إسبانيا في السيطرة على الموانئ المغربية :

نجحت الدولة السعدية في تحرير كثير من المراكز التي كانت خاضعة للبرتغال و لم تحتفظ هذه الدولة إلا بثلاث قواعد وهي سبتة وطنجة و الجديدة [5]. ولما انضمت البرتغال إلى إسبانيا

---

(1)دوكاستري:م.م.ت.م، س01،المرجع السابق، فرنسا،مج03،ص116 .

(2)نفسه،ص64.

(3) فرانسوا مورو:المرجع السابق،ص11.

(Albert Savine : **dans les fers du Maghreb, des Chrétiens eslaves au Maroc au XVlle** 4) **et XVllIe siècle** , Editions Michaud , Paris , 1905,p32

(5)عبد اللطيف الشاذلي: المرجع السابق ، ص 126.

تولت هي بنفسها تسيير تلك الأملاك التابعة لها، وعمد فيليب الثاني على وضع يده على بقية الموانئ الأخرى مثل أصيلا والعرايش والمعمورة وسلا وأزمور وآسفي وآغادير ممثلة كالتالي:

– ميناء العرائش :

أصبح إحتلال العرايش من طرف إسبانيا، أكثر من ضرورة بسبب الأطماع الدولية في هذا الميناء،حيث أستعمل فيليب الثاني محمد الشيخ والمولى الناصر، وهما من أبناء العائلة السعدية، كانا لاجئين بإسبانيا للضغط على أحمد المنصور(1). وقد عرض فيليب الثاني على المنصور بعد ذلك فكرة تسليم العرايش مقابل التنازل للمنصور على مدينة الجديدة (2). لكن الجو السياسي لم يكن يسمح بتطبيق هذا المشروع ،بالرغم من أن العرايش بالنسبة لإسبانيا تعادل كل مراسي المغرب(3).

بعد ووفاة المنصور في 1012هـ/1603م وتنازع أبنائه على الملك ،تسارع بعضهم للارتماء في أحضان إسبانيا، طلبا للمعونة والحماية والدعم ،ضد بعضهم البعض ، حيث كان النبيل الجنوي الأصل جيانتينو مورتارا (Gianetino Mortara)يمثل إسبانيا في البلاط المغربي وقد حمل في سنة 1608م رسائل من المأمون إلى إسبانيا ،بعد أن نجح هذا العميل في إقناع المأمون بالتنازل على العرايش لإسبانيا(4).

ولتحقيق هذا الهدف حشدت إسبانيا أساطيلها في 14جوان 1610م و وصلت في الشهر الموالي ، للمغرب إلا أن عملية الغزو فشلت،وبعد التغيرات التي حصلت في المغرب و التحاق المأمون بإسبانيا ،عاد لينفذ وعد تسليم مدينة العرايش لإسبانيا في 04رمضان 1019هـ/1610م بعد أن عجزوا عن ذلك في عهد أبيه أحمد المنصور(5)، وأطلق عليها الإسبان فيما بعد إسم (San Antonio de L àrache) .

– المعمورة :

بعد منع السفن من إستعمال مرسى المدينة ،عمدت إسبانيا في 18أوت 1611م إلى إغراق ثمانية سفن محملة بالحجارة عند مصب النهر(6)، لكن المحاولة فشلت، فشرعت في إرسال أسطول

---

(1) عباس أرحيلة : **مدينة العرايش من الاحتلال إلى التحرر الإسماعيلي** ، مدونة الكاتب بتاريخ 19-02-2009.

(2) دوكاستري :م.م.ت.م،س01، الأراضي المنخفضة ،م1، المقدمة ، ص 191.

(3) نفسه ، ص 624.

(4)عبد اللطيف الشاذلي: المرجع السابق ، ص 28.

(5) دوكاستري: م.م.ت.م ، المرجع السابق ، ص 624.

(6) نفسه ، ص 626.

مكون من (99) سفينة حربية، إنطلق من ميناء قادس في 1أوت 1614م به حوالي 7500جندي وقد وصلت الحملة في 04من نفس الشهر[1]، وتمكنت من الاستيلاء على الحصن يوم 6أوت 1614م[2].

– سلا[3] :

إقترح يهودي من أصل تطواني،كان قد إعتنق الديانة المسيحية، والذي يدعى "خوان لدوبكو رودريغو" (Juan ludovico Rodrigo) والذي تجول في المناطق المغربية وخاصة سلا .

فحاول تزيين أمر إحتلال مدينة سلا لإسبانيا، وإحكام السيطرة عليها لكن المقترح لم يحض بموافقة مجلس الدولة الإسباني، لكون قضية المعمورة مازالت مطروحة، وكان على المسئولين الإسبان أن يركزوا على صيانة القاعدة الجديدة دون الخوض في غمار عملية أخرى تستلزم حسابات مختلفة أضف إلى النفقات الباهضة[4].

– أصيلا[5]:

تخلصت هذه المدينة من نفوذ البرتغاليين بعد واقعة معركة وادي المخازن، و كانت ضمن الأطماع الإسبانية ،وقاموا بشتى الطرق لإحتلالها،حتى جاءت فترة الإضطرابات الداخلية ،حيث كانت أصيلا بدورها موضوع إقتراح تسليم سنة 1620م من قبل محمد الشيخ المأمون الذي كان يتطلع بهذه العملية إلى الحصول على نصيبه من التركة التي كان قد أخذها أبوه عند البرتغاليين في طنجة ، زيادة على الحصول على مساندة ملك إسبانيا ، ويعقد ذلك الاتفاق مع حاكم العرايش "رودريغو دو سانتيسفان" (Rodrigo de Santistevan) وقد رفض هذا الاتفاق من قبل مجلس

---

(1) دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع نفسه،ص 628.

(2) نفسه، فرنسا ،ج3 ، ص 541.

(3) مدينة مغربية تقع على المحيط الأطلسي عند مصب نهر أبي الرقراق، تبعد عن مدينة الرباط بحوالي فرسخ واحد،أنظر مارمول كاربخال: **إفريقيا**، تعريب محمد حجي وأخرون، مطبع المعارف الجديدة ،الرباط 1999م،ج02 ،ص 134.

(4) الحسين بوزينب : **من العرايش إلى فضالة أربعة عقود ونصف من الإستراتيجية الإسبانية في احتلال مراسي مغربية 1578م/ 1624م** في مجلة التاريخ العربي ، الإمارات العربية ، العدد 13، 2000،ص 02.

(5) مدينة مغربية تقع على شاطئ المحيط الأطلسي،على بعد 47 فرسخا من فاس و 07 فراسخ من جبل طارق،أنظر مارمول كاربخال: المرجع السابق،ص ص 197–201.

الدولة المنعقد في 25جانفي 1621م وسقطت بأيدي الإسبان،و لم يتم تحريرها إلا سنة 1691م من قبل السلطان مولاي إسماعيل.[6]

– فضالة :

في 23ماي سنة 1632م كتب حاكم المعمورة إلى البلاط الإسباني، يعلمهم أن إحتلال مدينة فضالة أصبح ضروريا ،لقطع الطريق أمام الهولنديين، ومنعهم من إقامة حصن هناك، وقد بدأ مجلس الدولة الإسباني النظر في الأمر[1].

ب– الردود المغربية للدفاع عن الثغور:

إثر السيطرة على مدينة العرائش المهمة ، عمّ الاستياء في أوساط العلماء وعموم الناس وعجز الأمراء السعديين عن مواجهة الغزو الأجنبي ،فأنطلقت حركة الجهاد الشعبي في المغرب لإسترجاع الثغور ومن بينها العرائش،وبذلك سقطت هيبة السعديين لدى المغاربة.

– موقف الأمراء السعديين من الاستيلاء على العرائش:

على إثر تذمر وإستنكار المغاربة لتسليم العرائش ،دعا أبناء المنصور وحفدته إلى إعلان الجهاد،فظهرت منهم محاولات يائسة كان من أهمها:

– محاولة عبد الله بن الشيخ المأمون 1603م–1610م أن يستنفر الناس لمحاربة الأسبان بالعرائش وإخراجهم منها[2].

– كما حاول زيدان السعدي 1603م–1627م الحصول على مساعدات عسكرية من الدولة العثمانية لمحاربة الأسبان ،لكن السفن المغربية المتجهة إلى إسطنبول حوصرت قرب الشواطئ المغربية ،وحاول تأسيس أسطول بحري إعتمادا على هولندا ،فأغرقته إسبانيا[3].

– الوليد بن زيدان 1631م–1636م فكر بدوره في تنظيم عمليات الجهاد ،لكن الظروف لم تساعده ،وقام محمد زغودة بمناوشات على العرائش بإستمرار أثناء حكمه على فاس [4].

– موقف أبي محلي:

---

(6) الحسين بوزينب : المرجع السابق،ص02 .

(1) نفسه . وللمزيد من الإطلاع كذلك انظر : Mercedes Garcia Azenal : **un reconfort pour ceux qui sont dans l' attente** ,in revue de l' histoire des religions , T220, NO 04 , 2003 , PP 445-486.

(2) عبد اللطيف الشاذلي : المرجع السابق ص ص 46،47.

(3) رحيلة عباس :المرجع السابق ، المدونة .

(4) عبد اللطيف الشاذلي: المرجع السابق ،ص 76.

ثار في نفس السنة التي تم فيها تسليم العرائش 1019هـ/1610م وأعتبر تعامل المأمون مع الأسبان وتسليم العرائش عصيانا للأمة ،كما أعتبر الثورة عليه واجبا دينيا ،فبدأ حركته في سجلماسة ثم أنتقل بتاريخ 1611م يتطلع إلى البحر معلنا حربا تحريرية للمدن، وأصطدم مع الأمير أبوزكرياء يحي الحاحي في معركة"الجليز" بجانب مراكش عام 1092هـ/1613م، وقف في وجهه، فقضى على حركته ومات سنة 1022هـ/1613م [1].وأعاد المرابط الحاحي السلطان زيدان إلى مراكش،ولكن إخلال زيدان بشروط الإتفاق معه،جعله يخلع بيعته له ويؤسس إمارة قوية بتارودانت،إلا أن قتل سنة1035هـ/1626م[2].

- موقف العياشي:

كانت حركة العياشي جهادية ،نهضت لمقاومة الاحتلال ،وتحرير الثغور المغربية ،فقد ظل ينظم حملاته ضد الإحتلال في المعمورة والعرائش ،في الفترة الممتدة ما بين سنوات 1622م/1632م،وبقي يتربص لشن غارات قوية ،حيث قتل وأسر فيها الكثير من الجنود الأسبان في هذه المناطق[3].

- حركة الخضر غيلان:

هو أبو العباس الخضر غيلان الجرفطي ، من أتباع العياشي ، ،ظهر بمنطقة الهبط ،وأحتل القصر الكبير سنة 1063هـ/1652م،و خضّع قبائل الغرب لنفوذه ،وجعل من أهدافه الاستيلاء على القواعد المسيحية، وخاصة مدينة العرائش ،فهاجمها بتاريخ 28ماي 1655م.ليعيد عليها الكرة من جديد في 09ماي 1657م، إلا أنه لم يفلح في السيطرة عليها[4].

ج- عمليات إفتداء الأسرى بين الجانبين:

لقد كانت مسائل الأسرى تقلق ساسة الدول على مدار القرن السابع عشر، وقبله ،وبعده، وببداية هذا القرن ، إزداد عدد الأسرى النصارى في المغرب، بسبب كثرة الاحتكاك والتصادم بين الجانبين .

وكان من نتائج هذه المعارك، تزايد أعداد الأسرى لدى المعسكرين ،الشئ الذي نتج عنه محاولات الافتكاك، وتحرير ، وتبادل الأسرى،وقد كانت العادة الجارية أنذاك، هي أن يتم إفتداء

---

(1) الصغير بن الحاج الوفراني :المرجع السابق ،ص199.

(2) نفسه .

(3) عبد اللطيف الشاذلي: المرجع السابق ، ص219.

(4) إبراهيم حركات :**السياسة والمجتمع في العصر السعدي**،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء 1985،ص140 ،141.

الأسرى بالتبادل ثم يتم ما تبقى بالفدية ،وكان ثمن الأسير غير محدد ،ويختلف حسب الزمن والوقت ، حيث يرى" دو كاستري" أن ثمن الأسير في المتوسط يتراوح مابين 250 و300 ليرة خلال القرن 17م[1] ،ثم يذكر أنه أرتفع إلى 550 ليرة.

كان مجمل الأسرى الأسبان من القواعد الموجودة في الساحل المغربي ،ففي موقعة "عياشة"،أوقع في غابة قريبة من المعمورة 436 رجل، بين قتيل وأسير ،وذلك بعد خروجهم للصيد وجمع الحطب[2].

وعلى ذلك، كثر الوسطاء الدينيون، وخاصة منظمات الرحمة والآباء الثلاثيين، لفك هؤلاء الأسرى ،بحيث قدّر المؤرخون أن أكثر الأسرى كانوا من جنسية إسبانية .

د–الجهاد البحري والقرصنة الدولية في الموانئ المغربية:

بنى السلاويون والتيطوانيون مراكب للجهاد البحري ،محاولة منهم لإسترجاع ما سلب منهم في ديار الأندلس،وأنظم إليهم إخوانهم المغاربة،وعمدوا إلى الدفاع عن حوزات البلاد،سماهم الاروبيون "بقراصنة سلا" ، على أن القرصنة البحرية كانت عامة وشائعة في ذلك العصر ،يقبل عليها المسلمون والمسيحيون ،دون تستر أو إستحياء ،فقد غنم هؤلاء الكثير من الأسرى والسفن،ففي ظرف عامين ،غنموا أربعين سفينة بحمولتها ،وأستولوا فيما بين سنوات 1618م و1626م على 6000 أسير ،كان منهم حوالي 49 % من الأسبان ،وغنموا من الأموال ما قيمته خمسة عشر مليون ليرة أكثرها من هجوماتهم على السفن الاسبانية[3].

هـــ – الجوسسة الاسبانية في البلاط المغربي:

لقد أدّى مجيء الأسبان إلى المغرب، ولغرض تسهيل مهامهم التوسعية فيه، إنخرطوا في سياسة الجوسسة وجمع المعلومات الإستخباراتية ، وقد ألحقت هذه السياسة بالمغرب أفدح الأضرار ومن الأفراد الذين جندوا للقيام بهذه المهمات التجسسية ولعبوا أدوارا مهمة نذكر:

1- الراهب خوليان بستور (Joulian Pasteur):

هو حارس دير مراكش، ومن رجال الدين المنتمين إلى طائفة الأب "فراي نيكولاس دي فيلاكو"(Fray Nicolas du Flaco) فقد سمح له هذا الأخير نظرا لمعرفته بالمغرب وأهله ببناء دير

---

(1)دوكاستري : م.م.ت.م،المرجع السابق ، س01،فرنسا،مج03،ص562.

(2) عبد اللطيف الشاذلي: المرجع السابق:ص221.

(3) محمد حجي:**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ،مط الوطنية،الرباط1964،ص177.

للعبادة بمراكش[1]، وقد عمل هذا الجاسوس وقدم معلومات خطيرة على المغرب وأحواله السياسية والعسكرية والإقتصادية وحرض القادة الإسبان على احتلال الرباط [2].

2- الأب كونترليراس(Contreras):

وصل هذا الأب إلى فاس ،ولم يتمكن من الوصول إلى مراكش، فذهب إلى تطوان ،التي كان بها العديد من الأسرى النصارى ،فقام بدور فاعل ونشط في عمله التجسسي[3] .

3- خوان دي برادو(Juan de Prado):

بادر خوان إلى إرسال مبعوثين إلى المغرب ،لمعاينة الأسرى ،ومراقبة الوضع السياسي،وكان عملهما جمع الأخبار المفصلة على الحالة السياسية، والاقتصادية للمغرب ،ودراسة الوسائل الفاعلة للتغلب على الموقف المغربي، متسللين ومتنكرين في ألبسة تجار ،وأتصلوا بالأسرى ،وعاينوا حالة البلاد[4].

4- خورخي دي هنين:(J orge de Henin) :

تنكر في زي رحالة ،وأجاد الانكليزية والفرنسية والايطالية والعربية ،وكانت له معرفة في مجال الهندسة العسكرية ،وخاصة بناء القلاع، والحصون،وله معرفة واسعة بالطب والفروسية،وذلك من خلال التقارير التي كان يكتبها نزولا عند طلب كبار رجال الدولة الاسبانية[5].

دخل هذا الرجل المغرب في سنة 1606م،كمفتدي للأسرى ،ويبدو أنه أستدان من مولاي زيدان مبلغا وقدره 6400 أوقية ،فأبقاه عنده لتصفية دينه ،وقدأقنع السلطان زيدان بالتراجع عن قراره في السماح لحاميات عسكرية هولندية، بالتمركز في جوانب مدينة العرايش ،كان الرجل ملازما للسلطان ،ولما هزم زيدان من طرف أبو محلي ،أسره هذا الأخير ، وعفا عنه ، ليرجع إلى إسبانيا [6].

---

(1) بديعة الخرازي: **تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الاقصى**،ط1 ، مط المعارف الجديدة ، الرباط2007 ، ص167.

(2) الحسين بوزينب: **مذكرة الراهب خوليان باستور تحث على إحتلال قصبة الرباط،وتتكلم عن المورسكيين والسعديين والعياشي والدلائيين وغيلان وبداية العلويين** ،في مجلة التاريخ العربي ، عدد22 ، أبو ظبي2002 ، ص04.

(3) بديعة الخرازي:المرجع السابق ، ص28 .

(4) نفسه، ص29.

5) (Mercedes Garcia Arzenal:**Ibn Abi Mahali**,Revue du M.M.M.,n° 91/94,2000,p 30.

(6) Mercedes Garcia Arzenal: **un reconfort pour ceux qui sont dans l' attente**, revue de l' histoire des religions ,OP-cit,pp445,486.

ومجمل القول نستنتج:

- أن المغرب الأقصى قد عرف أزمات مختلفة ،عمّت جميع مناطقه، بداية من القرن 11هـ/17م،حيث بدأت بوفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي،وتتعددت وتفرعت وخلقت واقعا جديدا على هذا البلد،غيرت ملامحه السياسية .

- شارك في أزمات المغرب في هذه الفترة أبناء المنصور أنفسهم،وتطاحنوا على الملك،وخاضوا حروب فيما بينهم،وأدى ذلك إلى قيام القوى الدينية ،والزعامات المحلية،و محاولاتهم خلق وحدات سياسية مستقلة متطاحنة فيما بينها.

-كما عرف المغرب في هذه الفترة تجدد الغزو الخارجي،والأطماع الإسبانية خاصة،ومحاولاتها الإستيلاء على الموانئ المغربية، التي بقيت في يد المغاربة،وظهور موجة الجهاد ضد الإحتلال.

- شهد المغرب في هذه الفترة أزمات إقتصادية وإجتماعية خطيرة،نتيجة لسوء الأحوال السياسية والأمنية،وإستفحال ظاهرة اللاأمن،وتدهور البنيان الثقافي .

- في هذه الفترة لاح فجر الدولة العلوية في المغرب الأقصى ،بقيادة الشريف مولاي علي،ثم ابنه مولاي محمد،وآلت إلى اخية مولاي الرشيد سنة 1666م،وبعد وفاته،تولى المولى إسماعيل زمام السلطة العلوية ،وكان بحق المؤسس الحقيقي لهذه الدولة ،وباني أركانها،وموحد ترابها وعزّ مجدها.

- هذا السلطان الذي إتصف بالحذر والمرونة في علاقاته مع الدول الأوروبية،ومع جيرانه الأتراك العثمانيون في الجزائر،حاول أكثر من مرة التوسع على حساب الأراضي الجزائرية،ثم قام إلى حد كبير بتحرير الثغور المغربية،وعمل على سياسة داخلية قوية.

- أما أوضاع فرنسا ،في النصف الأول من القرن السابع عشر ،فقد تأثرت بالمد السياسي والديني الناشئ في أوربا،وتبوأت فيها عائلة البوربون مكان الفالوا ،وبدأت تتكون في هذه الفترة بوادر الملكية المطلقة ، وأنهت الحروب الدينية داخل بيتها.

-كما تعتبر هذه الفترة ،فترة الرجال الأقوياء في الساحة السياسية،وعمدوا إلى إعادة بناء الدولة الفرنسية،على أسس متينة ،من أمثال "روتشيليو" و"مازران" ثم "كولبير" هذا الثلاثي الذي يعتبر بحق باني فرنسا الحديثة.

- دخلت فرنسا في كل حروب أوربا ،التي حدثت في النصف الأول من القرن السابع عشر،وأشهرها الحروب الدينية ،التي انتهت بصلح "ويستفاليا "سنة 1648م ،الأمر الذي بوأها القوة ،وسيطرتها على الدول العظمى في أوروبا.

– ورغم ما كانت تقوم به فرنسا على المجال الأوروبي ،فقد بقيت أوضاعها الإجتماعية والإقتصادية صعبة، نتيجة الآثار السلبية التي نتجت عن كثرة الحروب،وتفشي الأزمات الاقتصادية والاجتماعية من الحين إلى الأخر.

– في النصف الأول من القرن السابع عشر أكملت فرنسا وحدتها الترابية، وعززت نظامها الملكي المطلق ،وخطت خطوات كبرى في بناء الدولة على جميع المستويات ،ووحدت مذهبها الديني ،المتمثل في الكاثوليكية،وأرسلت عماراتها البحرية للتجارة العالمية ،وأعتمدت على الاستيلاء على أراضي العالم الجديد في كل من كندا ووسط أمريكا.

– أما إسبانيا في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي ،فقد بدأ يسري إليها الضعف،وأنتشرت فيها الأزمات الداخلية ،بسبب مجيء ملوك ضعاف ،تغلب عليهم رجال القصر،ثم إنتشار الفساد السياسي والمالي .

– وجود إضطرابات سياسية على مجمل الأراضي التي ورثتها ،في الأراضي المنخفضة،وجنوب غرب فرنسا،وشمال إيطاليا،وبعض المقاطعات الواقعة على الحدود الفرنسية الشرقية،وقد شملت تلك الاضطرابات حتى عمق الأراضي الاسبانية مثل مقاطعة "كاتالونيا".

– شهدت هذه الفترة مرحلة إستقلال مملكة البرتغال،وحصول الأراضي الواطئة على إستقلالها.

– أدت الحروب المنتشرة في أوروبا والتي كانت إسبانيا أحد أهم أطرافها إلى تحجيم الدور الاسباني في كامل أوروبا،وبروز دول جديدة على الساحة الأوروبية ،كفرنسا وإنكلترا وهولندا،ودخول هذه الدول إلى المعترك التجاري ،والسياسي العالمي ،وخاصة في العالم الجديد.

– تراجع دور إسبانيا في العالم ،بعد أن كانت أحد أهم محاوره على المستوى الأوروبي والعالمي،وأدى ذلك إلى قصورها في المجال الحضاري، متخلفة على ركب الدول الأوروبية التي ركبت قطار التقدم المادي ،وانعكس ذلك على مستقبلها فيما بعد.

– عرفت علاقات المغرب مع فرنسا،في النصف الأول من القرن السابع عشر،تباينا ملحوظا، تمكنت في إعتماد المغاربة على سفراء إلى البلاط الفرنسي،كأمثال القائد أحمد الغزولي،وسيدي فارس ،وأبو العباس احمد بن قاسم الحجري الأندلسي.

– أماالتواجد الفرنسي في المغرب في هذه الفترة،فكان بإنشاء الممثليات القنصلية على التراب المغربي،وإقامة وعقد الإتفاقيات مع مختلف القوى المغربية،وكثر التواجد التجاري الفرنسي،محاولين حل القضايا المطروحة بينهما ،كالقرصنة والأسرى.

- وفيما يتعلق بعلاقات المغرب السياسية مع إسبانيا،في النصف الأول من القرن السابع عشر،فتتمثل في محاولاتها للسيطرة على الموانئ المغربية،وردود فعل هذه الأخيرة بالجهاد لإسترجاع هذه الموانئ،وظهور منظمات الإفتداء للأسرى من البلدين،وكذا تطورظاهرة القرصنة،والجوسسة في المغرب.

الباب الأول

العلاقات السياسية بين المغرب و فرنسا(1659م–1727م)

الفصل الأول : علاقات السلم والوئام

المبحث الأول: العلاقات الدبلوماسية وتبادل السفارات.

المبحث الثاني: القنصليات الفرنسية في المغرب ودور الرسائل في السلم والوئام.

المبحث الثالث: التبادل التجاري وربط المعاهدات.

الفصل الثاني : العلاقات العدائية و الصدامية .

المبحث الأول: الحملات الفرنسية على المغرب 1670م–1728م.

المبحث الثاني: الجهاد البحري والقرصنة المتبادلة.

المبحث الثالث: مسائل الأسرى بين الدولتين.

تمهيد:

دخل المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن السابع عشرفي مرحلة جديدة،تميزت بنجاح أبناء الشريف بن علي ،محمد والرشيد ،وإسماعيل في تأسيس الدولة العلوية في المغرب الأقصى، وتوحيد أجزائه تحت عرش واحد وملك واحد شيئا فشيئا،ليبلغ ذروته خاصة في عهد المولى إسماعيل (1672م-1727م) هذا الأخير هو الذي أكمل التوحيد الداخلي ،وأسس الدولة العلوية الحديثة في المغرب ،وحرر الكثير من المواقع المحتلة فيه من الإسبان وغيرهم ،وسعى إلى توحيد نفوده إلى ما وراء الحدود الشرقية والجنوبية على الخصوص ،وربط علاقات واسعة مع الدول المجاورة.

أما فرنسا ففي هذه الفترة نجدها قد خرجت من دوائر الأزمات الداخلية ، وتغلبت على صراعاتها الأوروبية،وخاصة بعد إبرام معاهدة (وستفاليا) سنة 1648م، ومعاهدة البرانس لسنة 1659م، مما مكنها من التوجه إلى إبرام علاقات مع المغرب الأقصى ،تجارية وديبلوماسية،وصلت إلى درجة عقد إتفاقيات ومعاهدات سلمية وتجارية،وتبادل البعثات بين الدولتين مكنت الفرنسيين من التعرف بخصائص المغرب ، ومكنتهم إقاماتهم الطويلة بإكتشاف الجوانب الايجابية والسلبية فيه، والتي إنطلقوا منها لبناء إستراتيجية واضحة المعالم ، في أي سياسة مستقبلية مع هذه الدولة.

وفي الوقت نفسه مكنت البعثات المغربية المختلفة إلى فرنسا ،من الاحتكاك بالحياة الأوروبية،وسعوا إلى الاطلاع على أوروبا ومالوا إلى الانفتاح عليها ،وعاينوا التقدم الذي حصل في فرنسا في عهد الملك لويس الرابع عشر.

علما ان أوضاع إسبانيا الداخلية والعسكرية، لم تكن في هذه الفترة على أحسن حال من المغرب،فقد تردت الأحوال الإقتصادية بشكل كبير،وعمت الفوضى نواحي المملكة،وإزدادت الحركات الإنفصالية،وكثرت الأطماع والتدخلات الخارجية،وإنتشر الفساد الإداري،وكثرة الضرائب،وضعف شخصية الملوك.

وتبعا لذلك ودون الإحاطة بمختلف جوانب المسألة وأبعادها ،يمكن لنا أن نبحث في هذا الباب فقط علاقات المغرب الأقصى مع فرنسا في فصلين:

الأول: علاقات السلم والتعاون.

الثاني: العلاقات العدائية والصدامية.

على ان يخصص الباب الثاني للبحث في علاقات المغرب الأقصى مع إسبانيا في فصلين أيضا كما سنرى.

الفصل الأول

علاقات السلم والوئام

إن البحث في العلاقات بين المغرب الأقصى وفرنسا في هذه الفترة المحددة، يدفعنا إلى القول بأنها لم تكن على حالة واحدة ،بل كانت تتأرجح بين السلم والوئام تارة،وبين التوتر إلى حد القطيعة تارة أخرى،وفي هذا الفصل نبحث فقط الوجه الأول من العلاقات،ألا وهي علاقات السلم والوئام.

فالتيارات التجارية بإتجاه شمال جنوب البحر المتوسط لم تنقطع ،ولم تتوقف ،حتى في فترات العداء والتشنج ،حيث كانت الإتصالات عديدة بين سلاطين المغرب الأقصى وفرنسا ،لعب فيها المولاي إسماعيل الدور المتميز، عبر بوابة السفراء ،وإنتشار البعثات القنصلية في كامل الموانئ المغربية وفي هذا الفصل نحاول إبراز تلك التفاعلات بين الدولتين في إطار:

- العلاقات الدبلوماسية وتبادل السفارات بين البلدين.
- القنصليات الفرنسية في المغرب ودور الرسائل في السلم والوئام.
- التبادل التجاري وربط للإتفاقيات والمعاهدات.

المبحث الأول

العلاقات الدبلوماسية وتبادل السفارات بين البلدين

لقد لعب كل من الجهاد البحري والقرصنة، دورا خطيرا في توتير العلاقات السياسية بين الدولتين ،رغم إستمرار النشاط التجاري بينهما ، لذلك نشطت الآلة الدبلوماسية المغربية الفرنسية على السواء وذلك لتكوين جو ملائم لتعزيز تلك العلاقات ،وقد إعتمد هذا النشاط الدبلوماسي على دور البعثات بين البلدين، حيث تعددت الاتصالات بين المغاربة والفرنسيين ،خلال العصر العلوي الأول، الذي إمتزجت فيه الدبلوماسية بالتجارة وبمشاكل القرصنة والأسرى[1] وأقتضت المصلحة المتبادلة بين البلدين إلى تبادل تلك السفارات، حيث نشير إلى بعضها بين الدولتين:

أ- السفارات المغربية إلى البلاط الفرنسي:

ينبغي القول أن المخزن الاسماعيلي إستخدم الكثير من المبعوثين إلى الديار الفرنسية لتسوية العلاقات المتبادلة بينهم نذكر منها:

- **سفارة دبلون الحاج** : وهو أحد رعايا السلطان المولى إسماعيل بتطوان، لم تشير إليه المصادر المغربية بكثرة،حيث بعثه السلطان إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر ،صحبة القنصل "إيستيل" (J.B.Estelle)بغرض التحالف ضد الأسبان من أجل تحرير المراكز المحتلة بالمغرب ،وخاصة سبته،ولكنه فشل و لم يستقبل من طرف الإمبراطور الفرنسي[2].

- **بعثة علي بن عبد الله الحمامي التمسماني**:القائد على تيطوان ،وسفير مولاي إسماعيل إلى البلاط الفرنسي ،كانت له مكانة وعلاقة شخصية مع تجار مرسيليا ،ولكنه فشل في مهمته بسبب السرعة التي تمت فيها البعثة[3].

- **سفارة الحاج محمد تميم:**

عامل تطوان ،تحت قيادة عمر بن حدو الحمامي ، لم توله المصادر العربية حقه ،وتحدثت عنه المصادر الفرنسية التي لاحظت أنه أول سفير للمولى إسماعيل لدى ملك فرنسا ،لويس الرابع عشر وذلك سنة 1092هـ/1681م[4]

---

1) (Jean Brignon et Abdelaziz Amine,Guy Martinet:**Histoire du maroc**,ed.hatier,paris 1999,p247.

(2) عبد العزيز بنعبدالله:**السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ** ،المعهد الوطني للدراسات القضائية،الرباط1985،ص20.

(3) دوكاستري : م.م.ت.م ،المرجع السابق، السلسلة02،فرنسا،مج06،ص251.

(4) شارل بانز:المرجع السابق،ص115 .

ضمت هذه السفارة كل من الحاج محمد تميم كقائد للبعثة،والحاج علي معنينو كمعاون له،وشخصية ثالثة تدعى المراكشي ثم الحاج عبد القادر. وكان الهدف من هذه السفارة هو التفاوض حول شروط السلم بعدما رفض لويس الرابع عشر،التوقيع على معاهدة المعمورة "المهدية" المؤرخة في27جمادى الثانية 1092هـ13 جويلية 1681م،هذه المعاهدة كان من ضمن بنودها مسألة القرصنة، وحماية الأسطول التجاري الفرنسي،وتبادل الأسرى، إقرار التبادل التجاري ولبيان هذه الرحلة السفارية نوجزها فيما يلي:

1- أعضاء وشخصيات السفارة:

أوردت الكثير من المصادر الفرنسية والمغربية أعضاء هذه السفارة ،وأختلفت في تباين أعضائها بالكامل،على أن شخصية الحاج محمد تميم كان متميزة وموضع إتفاق ،فهو حاكم مدينة تطوان تحت نظر الحاكم العام لهذه النواحي،القائد علي بن عبد الله [1]وهو من أحد أحفاد العائلات الأندلسية التي طردت من إسبانيا،بعد سقوط غرناطة[2]،كما ضمت هذه السفارة أعضاء منهم الحاج علي معنينو وهو أخ قائد مدينة سلا ،و المراكشي وهو ابن هذا الأخير، و الحاج عبد القادر قريب الحاج تميم[3].

2-ظروف وأسباب السفارة:

جاءت هذه البعثة لوقف التهديد الفرنسي أمام الشواطئ المغربية، الذي بدأ بعد تعثر مهام المبعوثين الفرنسيين "روي صامويل"بتاريخ 1672/02/21م في شأن تبادل الأسرى[4]،وحملة شاطورونو (Chateau Renault)على سلا في 23 مارس 1680م،الذي أحضر مشروع إتفاقية شبيهة بمعاهدة السلم بين مملكة فرنسا والجزائر المبرمة في 17ماي 1666م.

فقام كل من القبطان "شاطو رونو"والقائد "عمر بن حدو" في مدينة المعمورة ،بتوقيع هدنة في 21/ماي/1681م،كانت أساسا لعقد "إتفاقية" بين الدولتين بتاريخ 13جويلية 1681م،ووقعت

---

(1) محمد داود : **مختصر تاريخ تطوان** ،ط2،مط المهدية،تطوان ،المغرب1955،ص60.

(2)رابح سعيد: المرجع السابق،ص55.

(3)دوكاستري: م،.م.ت.م، المرجع السابق ،ص638،639 .

(4)نفسه،ص414.

بالمعمورة بين ممثل السلطان المغربي ،والسيد لوفيفر دولابار" (Le Febre de la Barre) وهي في 16 بندا حررت بالاسبانية والفرنسية[1].

وأمام تعثر تطبيق بنود هذه الاتفاقية ، وتوسع القرصنة بين الطرفين ،ورغبة الطرفين في تعديل بعض بنودها بحسب ما يخدم مصالح الطرفين ،و التي لم يصادق عليها الملوك ،حيث كتب مولاي إسماعيل بتاريخ 13سبتمبر1681م،رسالة إلى لويس الرابع عشر يقترح فيها عليه مشروع إرسال سفير له إلى فرنسا،لإعادة صياغة بنود تلك الاتفاقية،كما أننا نجد أن هناك رسالة من "كولبير" (Colbert)كاتب الدولة للبحرية الفرنسية إلى"الفارس لوفيفر دولابار"(Le Chevalier le Febre de la Barre) بتاريخ 28أوت1681م،يخبره فيها بأن ملك فرنسا يرفض تعديل تلك الإتفاقية ،إلا ما يكون في صالح فرنسا ،ويرفض مجئ سفير مغربي إلى فرنسا[2]ونصها:÷... أن جلالته قد أمرني بأن أخبرك بأن ترجع سفير هذا الملك ،الذي يزمع المجئ هنا ،وتنزله ببلده،فجلالته لا يريد سلاما مخزيا كما قمت به أنت، فجلالته يأمرني بان أقول لك ،بأنه لا يريد إطلاقا أي تحالف مع ملك المغرب،وإذا كان هذا السفير يريد إسترجاع المئتي أسير مغربي ،الذي تم أسرهما بجانب الشواطئ البرتغالية ،فإن جلالته يأمرك بان ترجعه في الحين ،وإذا لم يكن لديه أي طلب أو خلفية بشأن الأسرى المغاربة ،فإنه يسمح لك أن توصله إلى ميناء "برست"وأن ترافقه إلى هنا من أجل موافاتنا بتقرير مفصل عن مهمتك....× [3].

وفي إطار مساعي مولاي إسماعيل لضمان تفاهم ودي مع البلاط الفرنسي ،كتب رسالة إلى لويس الرابع عشر ،بتاريخ أوائل شعبان 1092هـ/04 سبتمبر 1681م،يؤكد له فيها،إفراجه عن الأسرى الفرنسيين ،ويخبره بأنه عهد إلى القائد "بن حدو" بمواصلة المفاوضات مع الضابط الفرنسي المعني بهذا الغرض،وأنه إضافة إلى ذلك ومن أجل الوصول إلى النوايا الحقيقية لملك فرنسا سيقوم بإرسال سفير إلى البلاط الفرنسي [4].

وعلى ذلك سار المولى إسماعيل في قبول إرسال هذه السفارة، وأدرك المغزى العام الذي من أجله يريد إستثمار ذلك في سياسته مع لويس الرابع عشر.

---

(1) عبد الهادي التازي:**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**،مج09،مطبعة فضالة،المحمدية المغرب 1988 ، ص71.

(2) رابح سعيد : **النظرة الفرنسية على المبعوثين المغاربة**...، المرجع السابق ، ص45.

(3) نفسه ،ص4.

(4) عبد الهادي التازي: المرجع السابق ، ص71.

3- مظاهر الرحلة:

إتفق كل المؤرخين على أن "الحاج تميم" وأعضاء سفارته كانوا أول سفارة مغربية إلى البلاط الفرنسي ،فالبعض يقول بأن "الحاج محمد تميم" هو رئيس شرطة تيطوان،لـــه أخـــوين يمتـــهنان التجارة،وأنه معاونا وكاتبا "للحاج معنينو"حاكم مدينة سلا،السفير الحقيقي .

إستقلت السفارة سفينة فرنسية تحت إمرة قائد الحملة "دولا بار"(De la Barre) وقبل الإبحـــار كتب هذا الأخير إلى الوزير "كولبير" (Colbert) برسالة بين فيها شخصـــية أعضـــاء البعثـــة السفارية[1].

و على ذلك أعتمدت شخصية "الحاج محمد تميم" والإبحار مع أتباعه إلى الأراضي الفرنسية على متن سفينة(Joseph Antoine le Febvre) تحت قيادة قائد العمارة الفرنسية (Le Chevalier de Château Renault) حيـــث أنـــه في يـــوم 21ســـبتمبر1681م ومـــن مينـــاء "تـــادارت" "Tehaddert"وهو الميناء الأول لتيطوان[2].

وبعد إبحار طويل رست السفينة في ميناء "برست"(Brest)على الشاطئ الشمالي لفرنســـا يـــوم 17أكتوبر 1681[3]، وأستقبل من طرف بيغون ميشال (Begon Michel)مأمور البحرية بميناء برست في نفس اليوم ، وأثناء إقامته بالمدينة ،بدأت المراسلات بين فرساي ومسؤلو المدينة للتأكد من شخصية وأوراق هذا الأخير،الذي كان من بينهم قبطان أحد السفن البحرية الفرنسية (N.de Raymondie)،الأمر الذي جعل السفير يرفض تقديم وثائقه إلا للملك لـــويس الرابـــع عشـــر نفسه[4].وفي هذه المعضلة،وبعد تقديمه للرسالتين ،وتأكدهما فعلا بأنهما مـــن الســـلطان المـــولى إسماعيل،و تدخل المفاوض "سانت مالو" (Saint Malo) وهو الذي عرفه في مدينة تيطوان وتدخل المركيز دي طورسي(De torcy) الذي لعب دورا في هذه القضية.

---

(1)شارل بانز :الأسرى الفرنسيين في المغرب في القرن 17م. . . .

Charles Penz**: les captifs francais du maroc au 17e siecles,1577-1699,**paris1944,p10.

(2) بيروتي دي لاكروا : العلاقات العامة لإفريقيا القديمة والحديثة...

Pherotée de la Croix: **Relation Universelle De l'afrique Ancienne et Moderne**,T.01**,** Paris1688,p430.

(3) يونس نكروف:مولاي إسماعيل ولويس الرابع عشر.. Younes Nekrouf: **Moulay Ismail et Louis xiv,**ed Albin Michel ,1987,p84.

(4) Abel Boutin**: les traités de paix et de commerce de la France avec la Barbarie 1515/1830,**a pedone,1902,p554.

وهكذا بقي في هذه المدينة إلى غاية 04 ديسمبر1681م ،للأسباب السابقة وبسبب الحيوانات التي كانت معه ثم غياب الملك لويس الرابع عشر عن قصر دولته "سان جرمان" الموجود حاليا في منطقة (Metz) في نزهة صيد .

ثم سمح له ولأعضاء السفارة بالسير إلى "سانت جيرمان" ،حيث وصل إلى باريس عبر عدد من المدن ،منها مدينة "نانت(Nante) وأنجير"(Angers)و"بلوا"(Blois)ثم أخيرا الوصول إلى "سان جيرمان لاي"[1]. و لم يقابله الفرنسيون بالترحيب اللازم،ووصل إلى باريس في نهاية شهر ديسمبر 1681م ،وهكذا أستقبل فيها على غير العادة في مظاهر خاصة ،وأخذ أعضاء السفارة على متن عربة الملك الخصوصية لزيارة قصر "سان جيرمان" [2].

4- شكليات الاستقبال:

يعدُ وصول أعضاء البعثة إلى باريس ،في نهاية شهر ديسمبر 1681م،وبعد الإجراءات الرسمية للإستقبال في القصر من طرف البلاط الملكي ، خلع لويس الرابع عشر غطاء رأسه ،كرمز للإستقبال ،وبعد تسليم خطابات الإعتماد ، عيّن الملك وزيري الحربية و الخارجية كأعضاء في فرقة التفاوض مع الحاج تميم [3]،وهم على التوالي "كولبير دو كرواسي"(Colbert de Croissy) و"سينيا يلي"(Segnelay).

وقبل ذلك قام لويس الرابع عشر ،بدعوة أعضاء البعثة لمأدبة غذاء تكريما لهم،وكان السفير يتكلم بالاسبانية في غداة المقابلة يوم 05جانفي1682م ،ثم حضر حفلات مسرح "سان جيرمان"وزار الأكاديمية الموسيقية الملكية ،ثم دعي إلى كنيسة "نوتردام" والمكتبة الوطنية[4]،ثم زار فرساي،ومعهد السوربون ،حيث رسمت له صورة له ولرفقائه من طرف الفنان"أنطوان تروفان"(Antoine Trovain). وبعدها زار المدن الفرنسية "فان"(Vannes)ونانت وأنجير(Angers)وبلوا(Blois) [4]،وتبادل الطرفان الهدايا في 29جانفي 1682م،فقدم الطرف

---

(1) بيروتي دي لاكروا : المرجع السابق ، ص431.

(2) جلال يحي: **المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب** ،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية 1983، ص126.

(3) نفسه ،ص 125.

(4) عبد العزيز بنعبدالله : المرجع السابق ، ص45.

(5) ليون قودار:وصف وتاريخ المغرب..... Léon Godart: **Description et Histoire du Maroc.**ed.tanera,paris 1860,p50

المغربي للملك أسدا ونمرا وأربع نعامات ،وأهداه الملك عدة هدايا و أنواعا من الساعات آيـــة في الصنع والإتقان. [1]

5-المفاوضات ونتائج السفارة:

لقد فاوض "الحاج تميم" ومعاونه "علي مارينو" بكل جدية، وقام بمهمته في فرنسا في أضـــيق الحدود ، التي سمح بها ، فقد واجه وضعا دبلوماســـيا صـــعبا ، وهـــو لم يكـــن يحســـن اللغـــة الفرنسية،وصادق على أول معاهدة فرنسية مغربية في عهد المولى إسماعيـــل بتـــاريخ29جـــانفي 1682م/20محرم 1093هـــ [2] .

وممّا زاد في إستفحال الوضع، أن مشروع المعاهدة قُدّم من طرف المفاوضين الفرنسيين ،الشئ الذي جعل المفاوض المغربي يوقع على بنود قابلة للتأويل ولا يُقدر خطورتها ،الأمر الذي جعـــل هذا الأخير وبعد فوات الأوان يسعى إلى إخفائها على السلطان، بعد ما وقع علـــى إمتيـــازات لفرنسا على حساب المغرب،لذلك طلب مـــن دولاكـــروا (De la croix) أن يحـــذف بعـــض المصطلحات ،وعلى إثرها بعث لويس الرابع عشر برسالة إلى السلطان مولاي إسماعيل والتي يعبر له فيها على نجاح السفارة ونتائجها الجيدة[3].

ومما جاء في هذه المعاهدة وضع حد للعداوة بين الدولتين ،وإفتـــداء الأســـرى الفرنســـيين بالمغرب على أساس 300 ليرة عن الأسير الواحد ،ولم يهتم بالأسرى المغاربة في الأراضي الفرنسية، وكانت المعاهدة محصورة لمدة ستة سنوات ،إذ كان ينبغي التصديق عليها من طرف قيادة الطرفين. وعند عودته على طريق باريس مرسيليا ،فقد كانت أمانيه أن يزور الأسرى المغاربة علـــى مـــتن السفن الفرنسية،مما جعل مأمور الميناء بمرسيليا "جون بروشار"(Jean Brochard) يقوم بإخفـــاء الأسرى المغاربة ،بعدها توجه إلى طولون على متن سفينة "le vaillant "، وأستطاع أن يأخد معه أسيرا واحدا ثم قفل راجعا يوم 02أكتوبر 1682م[4].

---

(1) يونس نكروف:المرجع السابق،ص93،للعلم ،ومن المتغيرات في العالم الإسلامي،نجد أن الخليفة العباسي هارون الرشيد قد أهدى بدوره ساعة مائية دقاقة،إلى شارلمان ملك الإفرنجة(742م/814م)والتي أثارت دهشة بلاط شرلمان،مما يـــدل علـــى أن المسلمين كانوا على جانب كبيرمن المهارة،وأن الأوروبيين كانوا على جانب من الجهـــل والتخلـــف،أنظر:علـــي إبـــراهيم حسن:**التاريخ الإسلامي العام،الجاهلية،الدولة العربية، الدولة العباسية**،ط1،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة2005،ص383

(2) محمد داود :المرجع السابق،ص60. .

(3)دوكاستري: م.م.ت.م ، المرجع السابق،مج 01،ص629 .

(4) شارل بانز:المرجع السابق،ص107.

بعد ذلك جاءت بعثة الحاج محمد تميم الثانية إلى مدينة "مرسيليا" التي حل بها يوم 20 مـــارس 1685م،من أجل إطلاق "الرايس التاج " الأسير في المدينة ،حيث بقي هناك شهرين دون الوصول إلى إتفاق،الأمر الـــذي أدى بـــه إلى مغادرتهـــا يـــوم 20مـــاي 1685م ،ثم وصـــل إلى ســـلا يوم19جوان1685م[1].

د- سفارة عبد الله بن عائشة 1110هـــ/1698م:

جاءت سفارة عبد الله بن عائشة إلى البلاط الفرنسي كمحاولة جادة ، هدفت إلى إقامة سلام شامل بين البلدين، والتوصل إلى تفاهم أولي بشأن الأسرى بين الجانبين، والتي سنحاول تبيانها فيما يلي:

1-شخصيات وأعضاء السفارة:

كان على رأس هذه السفارة ،قائد الثغور والأسطول المغـــربي "عبـــد الله بـــن عائشـــة" الأندلسي،الرباطي المولد والنشأة،وصفه الغربيون بأنه كان قرصانا [2]،ثم محمد سوســـان،ومحمد التاغري ،وفي بعض الراجع محمد التوزيري ،يصاحبهم خمسة عشرة خادما ومرافقـــا ،وشـــخص فرنسي يدعى فابر "Fabre "وهو تاجر من مقاطعة بروفنسال،كمترجم في الرحلة[3].

2- ظروف وأسباب السفارة:

إزدادت أعمال الجهاد البحري و القرصنة بين الطرفين [4]،الأمـــر الـــذي جعـــل الحلـــول الدبلوماسية هي الأمل الوحيد، الذي يقر السلم والمفاوضات ،علما أن السلطان المغربي قد رفـــض المصادقة على إتفاقية الحاج تميم ،مما دفع بلويس الرابع عشر إلى إعلان العداء إتجاه المغرب ،وقطعه للعلاقات التجارية طبقا للأمرية الصادرة عنه بتاريخ 1687م[5] ، وفشل السفراء الفرنســـيون في مهامهم بالمغرب كالبارون "سانت أمانس" و"سانت أولون" ووجود قنصل فرنسا في سلا "جون بابتيست إيستل" (Jean Baptiste istele) الرجل الذي ساهم في إذكاء الحقـــد بـــين البلـــدين

---

(1) عبد الله العمراني:**سياسة مولاي إسماعيل الخارجية**،في مجلة البحث العلمي،العدد04و05،المغرب 1965،ص280.

(2) عبد الرحمان بن زيدان:**المترع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**،ط1،تحقيق عبـــد الهـــادي التازي،مطبعـــة إديال،الدار البيضاء ،المغرب،ص ص268-260.

(3) إيجين بلانتي : المرجع السابق ،ص 17.

(4) فهد بن محمد السويكت:**سفارة عبد الله بن عائشة إلى بلاط لويس الرابع عشر،أسبابها ونتائجها**،مطبعة الجمعية التاريخية السعودية ، الرياض2004 ، ص25 .

(5) رابح السعيد:المرجع السابق،ص51، 54.

والتحريض على المغاربة،ومحاولاته المتكررة لدفع البلدين إلى التأزم في علاقاتهما،مما دفع بالمغاربة إلى إعتقاله في عدة مرات.

3- مظاهر الرحلة:

بعدما قام عبد الله بن عائشة ببعض المحادثات مع قائد العمارات البحرية الفرنسية "الفـــارس دي كوتلجن"(le Chevalier de Coetlogen)،أمام مدينة سلا بتاريخ 28ماي 1668م ، توصل معه إلى إتفاق هدنة مدته ثمانية أشهر،مع التفاهم على إرسال سفير مغربي إلى فرنسا[1]،وأعتمـــد عبد الله بن عائشة كسفير ومبعوث للسلطان مولاي إسماعيل بتاريخ 29سبتمبر1698م[2].

وقد جاءت الرحلة إثر الانزعاج الكبير الذي حصل بسبب حصار أهل سلا ،الأمر الذي أدى بالفرنسيين إلى تكليف "شاطو رونو" ليبحر بابن عائشة وطاقمه إلى فرنسا ،وأن يبقـــي حســـب الإتفاق "الفارس دو لاجاي"(Le Chevalier de La Jaille) كرهينة لديه في سلا[3].

وبعد تفويض السلطان إسماعيل للقبطان عبد الله بن عائشـــة في أواســـط ربيـــع الأول ســـنة 1110هـــ/سبتمبر 1698م،وإعطائه كامل الصلاحيات فيما يخص شؤون البحر "من عقد وإبـــرام معاهدات السلم أو غير ذلك مع جميع أجناس النصارى"[4]. لذلك كان إبحار ابن عائشة يوم 18 أكتوبر من ميناء سلا،على ظهر السفينة الفرنسية "فافوري"(Favori) متوجها إلى ميناء برســـت (Brest) ،وبصحبته أمين سره "محمد سوسان"والبحار محمد الثغيري والتاجر الفرنســـي"فـــابر" (Fabre) المقيم في سلا كمترجم، ومجموعة من الخدم يصلون إلى خمسة عشرة فردا.

وصل الجميع إلى ميناء "برست" في الحادي عشر من نوفمبر ،على إثرها أرسلت الســـلطات الفرنسية قنصلها السابق في المغرب السيد "إيستيل"ومترجما اسمه ("Francois Petis de la Croix) مع كل من حاكم "برست" من أجل التحقيق من أن السفير يحمل تفويضا كاملا[5].

وبعد يومين من المحادثات ،توجه "شاطو رينو"إلى "فرساي" ليخبر سكرتير الدولة للشؤون البحرية السيد "بونشرتران"بصلاحيات السفير عبد الله بن عائشة .

---

(1) رابح السعيد:المرجع السابق ،ص61.

(2) دوكاستري: م،.م.ت.م، المرجع السابق،فرنسا،مج 05،ص04.

(3)نفسه،ص214.

(4)نفسه،ص673.

(5) نفسه ،ص228.

وهكذا بقي السفير المغربي في مدينة "بريست" إلى الثاني عشر من شهر جانفي 1699م ،وفي أثناء إقامته بالمدينة ،تمكن من مقابلة بعض الأسرى من الذين يستخدمون للتجديف في الميناء ،وبعد أيام قضاها هناك ،خرج موكب السفير من "برست" مع "إيستيل"ومترجم الملـــك (Petis de la Croix) تحت إشراف السيد "سانت أولون" و على نفقة الملك ، وذلك يوم 12جـــانفي 1699م، فحل بمدينة "رين" Rennes)في 20 جانفي 1699م ثم مر الوفد بمدينة "نانت"(Nantes) ،ثم مدينة "أمبواز"(Amboise) ،حتى وصل الى مدينة باريس يوم 10فيفري 1699م،حيث أستقبلهم فيهـــا "البارون "بريتويل(Bretouille) مقدم السفراء ،أمام الفندق المخصص لذلك.)1(

4- مراسيم الإستقبال:

بعد إتمام مراسيم الاستقبال مشى السيد"بريتويل" الى اليسار من السفير،في حـــين جلـــس "سانت أولون"في مكان أقل إرتفاعا من مكان جلوس السفير ،وبعد إستراحة أســـتمرت حـــوالي ساعة تخللها حفل تشريفي للسفير وأعضاء سفارته.)2(

وفي الفندق هيّأ له "بريتويل" صالة معدة لأداء الصلاة له ولأتباعه، وتم عزّز قوة الحراسة على إقامته بجنود من الحرس الملكي، والجدير بالذكر أن سفارة ابن عائشة لم تختص بالترحيب الشـــعبي المطلوب في باريس كما كان متوقعا وتقتضيه الأعراف الدبلوماسية ،بل قوبلت بمظاهرة عدائيـــة أدت إلى جرح بعض حاشيته)3(.

زار السفير وأتباعه،"برج نوتردام"من أجل أن يتفرج من على مدينة باريس ،ثم رأى متحـــف "اللوفر"وبعد ذلك زار المطبعة الملكية ،وتجول في الأكاديمية الملكية للرسم والنحت،وشاهد العروض المسرحية في الأبرا، التي نالت إعجابه)4(.

5-إستقبال الملك لويس الرابع عشر لابن عائشة:

بعد ستة أيام من النزهة في معالم العاصمة الفرنسية باريس ،أذن الملك بمقابلة الســـفير،يوم 16فيفري1699م ،حيث توجه الموكب نحو قصر" فرساي "ووصل على الساعة الثامنة والنصـــف صباحا،وقد حرص الملك الفرنسي أن يظهر للسفير المغربي، بأنه قد احتفى به إلى درجة لا تقـــل عما يفعله مع السفراء الأوروبيين، فمر الوفد بساحات القلعة، وشاهد الحـــرس الفرنســـي،وحيّاه

)1(دوكاستري: م،.م.ت.م ، المرجع السابق ،ص 322 .

(2)نفسه، ص 236 .

(3) نفسه ، ص221 .

(4) فهد بن محمد السويكث :المرجع السابق،ص59.

الضباط ،وأصطفت لتحيته فرقة عسكرية ،ولما فتح الحجاب باب قاعة العرش على مصراعيه،دخل الجميع القاعة ،وألقى السفير تحيته الأولى ثم التحية للمرة الثانية ،وقابله الملك برفع قبعته كتعبير عن إحترامه للسفير.

شرع السفير أثناء ذلك بإلقاء خطبته باللغة العربية ،ثم أدلى الملك بخطاب الرد ،وتولى "بيتيس دي لاكروا" ترجمة الخطابين ،وقدم السفير في نفس الوقت أوراق إعتماده[1].

6- مفاوضات السلام ونتائج السفارة:

تم تعيين وزير الخارجية السيد"تورسي"(Torcy) والسيد "موروباس"(Maurpes) ابن السيد "بونشرتران" (Pontchartrain)،وذلك للتفاوض مع ابن عائشة[2].

عرض المفاوضون الفرنسيون على السفير ،مشروع الإتفاق الفرنسي المستمد من ذلك الذي وقعه (الحاج تميم) مع إجراء تعديلات طفيفة عليه ،وخاصة فيما يتعلق بموضوع إفتداء الأسرى وبعد قراءة متأنية لجميع بنود المشروع ،إعترض ابن عائشة على بعض بنوده،وطالب إعادة النظر فيها،ودعا إلى مبادلة عامة للأسرى[3]، وفيما يتعلق بالمادة السابعة من المشروع الخاصة بتحرير الأسرى،فالجانب الفرنسي يرىأن يكون التبادل رأسا برأس،وما زاد عن ذلك يتم التفاوض حول سعر إفتدائه بمبلغ 150 بياستر (ريال) ،أما الجانب المغربي فيرى ضرورة تبادل الأسرى جملة واحدة[4].

نص المشروع على أن يسود السلام بين الطرفين، وأن تفتح أبواب التجارة ،وتبادل القناصل وإفتداء الأسرى ،وبعد تهديد ابن عائشة بالإنسحاب ،تدارك القادة الفرنسيون الأمر ،وغيّروا الطاقم المفاوض ،فجاء"ديني دوزو"(Denis Dusault)والذي سبق له أن شغل منصب القنصل في الجزائر (1683م/1684م) ،وضم الطاقم كل من القنصل "إيستيل"(Estelle)و"بيتيس دو لاكروا"(Petis de la croix)،وقدموا مشروعا جديدا يتكون من ثلاثين بندا ،تمّ تسليمه إلى السفير المغربي،وبخصوص موضوع الأسرى ،فقد رفض ابن عائشة المقترح وطلب أن يكون ثمن كل عشرين أسير بألفين أوقية بدل 150 بياستر للواحد[5].

)1(إيجين بلانتي:المرجع السابق،ص ص20،21.

(2) نفسه،ص25.

(3) عبد الهادي التازي:المرجع السابق،ص82.

(4) دوكاستري: م،.م.ت.م، المرجع السابق، ص04.

(5)نفسه،ص ص05- 07 .

هكذا علّقت المفاوضات ،بسبب أن ابن عائشة لم يتمكن من إفتداء أسراه،في حين سيتمكن الفرنسيون من شراء أسراهم بثمن زهيد ،فهو يجهل عدد أسراه المحدفين على متن السفن الفرنسية،وفي 06 أفريل 1699م ،كتب "بونشرتران"(Pontchartrain) إلى مفوض البحرية الملكية في "برست" السيد "كليرامبو"(Clairambault)،يخبره بقرب إعادة السفير المغربي إلى بلاده ،ويأمره بالإسراع في تجهيز وتسليح ثلاثة فرقاطات من أجل إستئناف الحرب ضد السلاويين،بمجرد ما تنتهي مهلة الهدنة الموقعة بين الطرفين ،حيث أن مسألة الأسرى كانت تدمي قلوب الجميع ،فقد سعى الفرنسيون بعد موافقة الوزير "تورسي"(Torcy) ،وكمحاولة أخيرة إلى طرح مقترحات جديدة ، وتقرر مناقشة الموضوع من جديد ،وهنا أبدى ابن عائشة قبول التبادل رأسا برأس ولكن بشرط إستبعاد العاجزين منهم[1].

ثم أعاد الكرة في أن تكون منطقة جبل طارق ضمن المنطقة التي يشملها الاتفاق ،والتي يجب أن يكون مواطني البلدين آمنين،وأصرّ على حق مواطنيه بأن يأسروا الفرنسيين المتواجدين على متن سفن الأعداء،ولا يمكن للمغرب أن يعترض بالسلاح على سفن إسلامية ترسوا في الموانئ المغربية وهي معادية لفرنسا، ضمن البنود المختلف عليها في إتفاقية 1682م ضد الجزائر.

وفي نهاية المطاف أختتمت المفاوضات بالفشل ،ورغم ذلك فقد تم تبادل الهدايا بينهما [2].

وبعد إختتام المفاوضات ،غادر السفير باريس في 25ذي القعدة 1110هـ/25ماي 1699م،وأتجه إلى "برست" وقبل مقابلته الملك الفرنسي لأخذ الإذن بالمغادرة كتب رسالة وداع إلى الملك جاء فيها: ÷...لم يمر يوم في بلدكم ،إلا ورأيت كل الحفاوة ،وأجمل المناظر ،والتي أنستني وطني وعائلتي،سأكتب ذلك يوما،ولكن يجب أن أقول بأنني لم أر سوى العشر من جمال مملكتكم ،وفخامة جلالتكم...× [3]،وتوجه إلى بلاده على الفرقاطة "لادوفين"(La Dauphine)،ووصل إلى ميناء "سلا" في 10جوان 1699م ثم إنطلق إلى السلطان في مكناس[4]،وفي هذا الصدد كتب لويس الرابع عشر،إلى السلطان مولاي إسماعيل،رسالة مؤرخة في 04ماي 1699م جاء فيها: ÷..ولأن الصلاحيات الممنوحة له كانت محدودة جدا،لم يتمكن من

(1) دوكاستري: م،.م.ت.م، المرجع السابق، ص09 .

(2) نفسه ،ص244.

(3) إيجين بلانتي:المرجع السابق،ص28.

(4) نفسه،ص29.

توقيع إتفاق معنا، وهاهو يعود إليك على ظهر إحدى سفننا الحربية ،وستعلم منه إذا كان من مصلحتك ومصلحة شعبك أن تقبل بشروط السلام التي عرضناها عليه...× [1].

وبذلك إنتهت هذه السفارة ،بدون نتائج حاسمة تذكر،وبقيت أسباب التصادم بين الدولتين،كما كانت من قبل.

7- مولاي إسماعيل والطمع في الزواج بالأميرة (دي كونتي La princesse de Conti):

الظاهر أن عبد الله بن عائشة ،قد قابل الأميرة في القصر الملكي، وأفتتن بجمالها ،وذكر ذلك -بلا شك - إلى المولى إسماعيل[2] ،حيث كتب أمير البحر عبد الله بن عائشة إلى "المسيو دي بونتشرتران" وزير الخارجية،ليطلب من الملك لويس الرابع عشر يد الأميرة ،لتكون زوجة للسلطان مولاي إسماعيل،وأن تبقى على دينها[3] .

ورغم أن وزير الخارجية لم يكتب أي رد لأمير البحر المغربي ،إلا أن المترجمين الذين صاحبوا ابن عائشة أثناء زيارته لفرنسا ،كتبوا له أن الوزير لم يجرؤ على عرض ذلك الخطاب على البلاط والملك،وهكذا ظل المشروع يراود السلطان بقية حياته وخاصة وأنه كان ينظر إليه كزواج سياسي وتحالف بين الدولتين.

ب- السفارات الفرنسية إلى الأراضي المغربية:

عمدت السلطات الفرنسية في عهد لويس الرابع عشر،وفي إطار سعيها إلى إبراز الدور السياسي،إلى إرسال عدة سفراء إلى الأراضي المغربية ،ومن هذه السفارات نذكر:

1- سفارة سانت أمانس (Saint Amans):

أ- أسباب السفارة:

البارون سانت أمانس "Le Baron de Saint Amans" ضابط في البحرية الفرنسية الذي عمل في فرق محاربة القراصنة المغاربة،وقد أعطيت له الأوامر لتحقيق أهداف أساسية وهي:

- الحصول من السلطان المولى إسماعيل على تأكيد ووعد حول معاهدة 29 جانفي1682م مع تحفظه على قضية الأسرى المغاربة الموجودين بفرنسا[4].

---

(1) Paul (M) **:Histoire des Etablissements et du Commerce francais**,Hachette,paris,1903,p256.

(2) إيجين بلانتي :المرجع السابق،ص40.

(3) (Amedi Gréham **:Demande de mariage par Mulley Ismail**,in revue France maritime,t04,paris1853,p175,176.

(4) دوكاستري : م.م.ت.م، المرجع السابق ، سلسلة 02،فرنسامج02،ص434.

– عمدت التعليمات إلى إرفقائه بـــ"بيتيس دولاكروا"(Petis de la Croix) كمترجم وباحـــث عن المخطوطات النادرة بفاس[1].

– شراء الخيول العربية الأصيلة ،لفرق الفرسان الفرنسية ،بواسطة الســـيد "دو قارصـــو"(M.de Garsault) القائم على رعاية الخيول الملكية،في قصر فرساي[2].كما أشتملت التعليمات أيضـــا على أمور متعددة، ومتباينة من بينها طلب فرنسا من المولى إسماعيل التعاون معها في عملية مهاجمة " الأميرال ديكين" للجزائر ،وعملية تحرير الأسرى الموجودين عند الطرفين .

وفي نفس التاريخ،صدرت إليه التعليمات بضرورة دراسة أقاليم المغرب وكذا الأقاليم المجـــاورة للدولة ،والذي يمكن لسلطان المغرب أن يدخل معهم في حرب،وتعديل المعاهدة التي صادق عليها" محمد تميم" من ستة سنوات إلى معاهدة دائمة، أو على الأقل عشرين عاما وتعديل المادة عشـــرين منها.

وهكذا وصل السفير "دو سانت أمانس" (De Saint Amans) إلى تطوان يوم 02أكتـــوبر 1682م على متن "الفرقاطة اليقظة"(Le Veillant) ذات الستين مدفعا تحـــت إمـــرة القبطـــان "بوليو"(Beaulieu)،ثم أبحرمن جديد على متن نفس السفينة مع كل من "محمد تميم" وطاقمه إلى مدينة سلا، حيث وصلها يوم 10ديسمبر 1682م[3].وقد حمل السفير معه خطاب الاعتماد،والهدايا التي قدمها للسلطان عند لقائه، وفي أثناء ذلك درس السفير الفرنسي الساحل المغربي من تطوان إلى سلا وكان هذا هو سبب قطعه لهذه المسافة في إثنتي عشر يوما ،كما قام بدراسة مصبات الأنهار.

في غضون ذلك ترك "سانت أمانس" سلا وأجتاز نهر أم الربيع ووصل إلى منطقة "الدكالة" ثم دخل السوس،حيث كان المولى إسماعيل في منطقة جبال الأطلسي ، فرحب به وأدخله في خيمتـــه الشخصية ،وهناك سلمه الخطاب والمحفظة التي كانت معه [4].

ب– مظاهر السفارة :

حينما جلس السفير مع المولى إسماعيل سلّمه خطاب لويس الرابع عشر في محفظـــة جلديـــة منقوشة بالذهب ،وأقام السلطان على شرفه حفلة غداء تبعتها حفلة عرض للفرسان ،شارك فيهـــا

(1) رابح السعيد:المرجع السابق،ص49.

(2) جلال يحي :**المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب**،المكتب الجامعي الحديث،الاسكندرية 1983،ص128.

(3) روار دي كار:المعاهدات بين فرنسا والمغرب. . . : E.Rouard de Card:**les traités entre la France et le Maroc**,etude historique et juridique ,a pedone ed,paris1898,p18

(4) نفسه،ص130.

الملك بنفسه،ثم تبادلا الهدايا وقدم السفير كلمة بحضور مترجمه وحضور كل من القـــادة "علـــي معنينو" و "محمد تميم" وأفرشت له خيمة خاصة بها خدم وحرس له[1]

ج- المفاوضات:

بدأت المفاوضات مع كل من القائدين "علي معنينو"و"محمد تميم" تحت سقف خيمـــة هـــذا الأخير ،وبقيت إلى الساعة الثانية صباحا .

وقد تشبث المفاوضان بمواقفهما في شأن تبادل الأسرى[2]،وفي مسألة التحالف طمع المولى إسماعيل أن تقدم له فرنسا مساعدة عسكرية لطرد الأسبان من مملكته،وهذا ما كان يفهمـــه مـــن معنى التحالف ،الذي أقترحه السفير ،فكانت المفاوضات طويلة وشـــاقة ،ولكنـــها فشـــلت في النهاية،بسبب موضوع الأسرى بين مفهوم الشراء الذي يطرحه الفرنسيون والمبادلة التي يطرحهـــا المغاربة[3] .

د- نتائج السفارة:

إن أهم ما يؤخذ على هذه السفارة هو إخفاقها في مهمتها ،فقد قال "سانت أمانـــد"بـــأن المغاربة حاولوا أن يمنعوه في أثناء رحلة العودة من الدخول إلى المدن التي يوجـــد بهـــا الأســـرى الفرنسيين ،والحقيقة أن المغاربة عاملوه بالمثل لأن الموقف نفسه فعله الفرنسيون حيـــث رفضـــوا زيارة تميم لمرسيليا وطولون لأمكنة الأسرى[4].

وعلى العموم فإن رحلة العودة للسفير الفرنسي ،قد سارت نحو الشمال الشرقي ،محاذيـــة لجبال الأطلس،رفقة أحد أبناء شيوخ القبائل المسمى "بن قاية (Bingaya). [5]

فشل السفير في معرفة عدد الأسرى الفرنسيين ،حيث جاءت في التعليمات الموجهة إليه،بأن يعرف عددهم،وتجريد أسمائهم بدقة ،أما شأن التحالف ضد الجزائر فقد فشل.

وفي تطوان جمع له القائد "علي بن حدو" أثنتا عشر أسيرا فرنسيا ،كان السلطان قد أمر بعـــتقهم وإعطائهم له ،هدية لملك فرنسا ،ومن ثمة أبحر السفير يوم12فيفري1683م من تيطوان متوجها إلى طولون،وكان جو هذه السفارة الذي أحيط بجو من التعالي يقصد منه ملك فرنسا أن يقلّل مـــن

---

(1) نفسه.

(2) روار دو كار:المرجع السابق،ص19.

(3) عثمان بن خضراء: **السلطان مولاي إسماعيل وعلاقاته بالدول الأوروبية**،في مجلة دعوة الحق،العدد383، 2005،ص52.

(4) جلال يحي :المرجع السابق،ص130.

(5) روار دو كار:المرجع السابق،ص20.

قيمة السلطان وأن لا يعامله ندا بند ،وستكون هذه السياسة التي سماها "شارل أندري جوليان"(Charle André Julien) بدبلوماسية الغطرسة (La diplomatie de prestige)والتي سببت خراب العلاقات الفرنسية المغاربية[1].

2- سفارة"سانت أولون"(Saint- Olon):

جاءت هذه السفارة كمحاولة جديدة ،لإستدراك النقائص السابقة .

أ- أسباب السفارة:

جاء "بيدو سانت أولون"(Le Chevalier Pedou Saint-Olon)بمهمة جديدة إلى المغرب في جوان 1693م ، وهو المعروف بمهامه الدبلوماسية ،ولم تكن له أي معرفة بشؤون المغرب[2].

كانت مهمته كما عهد إليه ،هو إعطاء دراسة كاملة وشاملة حول المغرب وأقاليمه وقواته وعادات وتقاليد الأهالي ،ودراسة أحوال التجارة وشخصية المولى إسماعيل وإمكانية إحتلال المغرب،وكذلك مفاوضة الطرف المغربي حول بنود إتفاقية 1682م،وخاصة المادة السابعة التي تشير إلى الأسرى[3].

ب – مظاهرها وشكلياتها:

نزل هذا السفير بميناء طولون في شهر مارس 1693م ،حيث قدمت له ،بناء على تعليمات الملك قائمة باسماء بعض الأسرى المغاربة،وعددهم حوالي 233 أسيرا منهم 29معاق ،وبتاريخ 04أفريل1693م،أبحر على متن السفينة"L' arc en ciel"إلى تطوان التي وصلها بتاريخ 05 ماي من نفس السنة .

إتجه السفير إلى منطقة مكناس العاصمة،وقابل المولى إسماعيل خارج المدينة،ثم إستقبله رسميا يوم 21جوان 1693م ،وبعد إحدى عشر يوما من وصوله ،ولكي يظهر السلطان إحترامه للسفير أرسل القائد "أحمد بن حدو الريفي" لمصاحبته في مهمته ،وكان هذا الرجل هو قائد المجاهدين الريفيين تولى حكم العرائش بعد ما حررها[4].

---

(1) شارل أندري جيليان:تاريخ إفريقيا الشمالية .. Charle André Julien:**Histoire D'afrique du Nord**,ed.payot,paris 1931,p 501.

(2) ربيح السعبد:المرجع السابق ،ص57.

(3) ليون قودار: المرجع السابق،ص519،520.

(4) جلال يحي : المرجع السابق،ص132.

بدأت مظاهر الإستقبال بتقديم الهدايا،وأثناء مراسيم الإستقبال تحدث القائد "محمد بن حدو" بالعربية ثم ترجم إلى الفرنسية ،وبعده تناول الكلمة السفير"سانت أولون " باسم لويس الرابع عشر ،وأشار في كلمته إلى الأسرى المغاربة في فرنسا ،وإلى مشروع معاهدة السلم والتحالف)1(.

ج-المفاوضات والنتائج:

كلف المولى إسماعيل القائد "محمد بن حدو" بمفاوضة شروط السلم مع السفير الفرنسي،وكان هذا القائد صهرا للسلطان وابنا لإحدى الأسيرات الفرنسيات التي ولدت في مرسيليا، بدأت المفاوضات يوم 12جوان 1693م،حيث أن المفاوضين وافقوا على كل بنود المشروع المقترح،بإستثناء المواد 05و07،فالبند الأول يتعلق بالتوافق والتحالف ضد القراصنة الجزائريين والتونسيين والطرابلسيين ،فبالنسبة للمغاربة هذا يثير إشكالية مع النصوص الدينية ،أما المادة الأخرى تتعلق بتبادل الأسرى حيث ترك المفاوضون تلك المقترحات لرأي السلطان مباشرة)2(.

وفيما يتعلق بالتحالف ضد إسبانيا ،فقد حاولت فرنسا تحللها من تلك الإلتزامات ،الأمر الذي جعل المفاوضات تنتهي بالفشل.

وهكذا ودّع السفير الفرنسي مكناس والسلطان المولى إسماعيل يوم 19جويلية 1693م،حيث يرجع البعض سبب الفشل لتنافس نائب السلطان على الغرب "علي بن عبد الله" الذي كان يحرص على توقيع الإتفاقية و"محمد بن حدو"الذي كان يعارض الإتفاقية .

)1(جلال يحي : المرجع السابق ص134.

(2) ربيح سعيد: المرجع السابق،ص57.

المبحث الثاني

القنصليات الفرنسية في المغرب ودور الرسائل في السلم والوئام

لقد ثار موضوع التمثيل الدبلوماسي بين الأوروبيين والعالم الإسلامي في العصر الحديث،وعدم وجود مقابل له في أوروبا ،أسئلة الكثير من الباحثين ،ولعل الكثير من المؤرخين يرجعون ذلك إلى عدة أسباب كان أهمها:

– أن الشرع الإسلامي أولى عناية خاصة بالعلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم ،حيث يعتبرون أوطانهم "دار سلم وأمان" وما دونها "دار حرب وكفر ولا أمان "وبالتالي أعتبروا السفر إلى دار الحرب مكروها ، حتى ولو كان من أجل التجارة[1].

– أما وجود تمثيل أوروبي كبير في الدول الإسلامية، فذلك راجع بالدرجة الأولى إلى مفهوم «دار العهد» عند الفقهاء المسلمين أو« عقد الأمان» لغير المسلمين مما أدى إلى تسهيل وتطور العلاقات التجارية والدبلوماسية بين الدول المسيحية والإسلامية بإعتبارهم معاهدين[2].

– عدم وجود قانون أمان مقابل عند الأوروبيين للمسلمين ،الأمر الذي ترك عدة تجاوزات بحق بعض التجار والسفراء الذين تعرضوا لأخطار وقتل ،كما حدث بالنسبة للوفد الجزائري في مرسيليا سنة 1620م[3]،فحياتهم كانت معرضة للخطر في أي لحظة ولعل السبب في ذلك يكمن في إعتبار العالم المسيحي نفسه نظاما سياسيا دينيا(politico-religieux) معاديا للإسلام رافضا لأي تعامل على أراضيه[4].

ففي هذا الإطار فإن حالة الصراع والحرب بين المغرب (دار الإسلام)وأوروبا (دار الحرب) شكلت حاجزا سياسيا وعسكريا ونفسيا، تحول دون إمكانية إنتقال وإستقرار المغاربة بتلك الديار ،فالسفارة المغربية وإن إقتضت الضرورة تحريكها في فترات محدودة وقصيرة جدا في مهام مضبوطة،إلا أن أي بعثة سفارية لا بد وأن تكون من أجل مصلحة إقتضتها مكانة–دار الإسلام– وهيبتها ،الأمر الذي جعل جل التجار الموفدين في مهام تجارية إلى أوروبا من اليهود

---

(1) عبد الرحمن عنان:**السفارة ودورها في تدعيم العلاقات الدولية**،دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي،مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في الشريعة والقانون،إشراف عبد المجيد بوكركب،جامعة الحاج اخضر،باتنة 2009/2008،ص138.

(2) عبد الكريم زيدان:**مجموعة فقهية**،ط1،مؤسسة الرسالة،بغداد 1982،ص177.

(3) جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا1610–1830م**،طبعة خاصة لوزارة المجاهدين،الجزائر2007،ص57.

(4) محمد بكور:**آليات الدبلوماسية المغربية ومسألة التجاوز**،مقال منشور في موسوعة دهشة،بتاريخ 29جانفي2011.

ونادرا من المسلمين[1].ولعبت الرسائل دورا هاما في التقارب بين الدولتين في كثير من المجـــالات الأكثر تعقيدا ،كمسائل الأسرى والقرصنة،والأمور التجارية،حيث سنعالج فيما يلي:

1—القناصل الفرنسيين في التراب المغربي (1659م–1718م):

قامت عدة قنصليات أجنبية في الموانئ المغربية،وكان من أكثرهم القناصل الفرنسيين ،الذين أقاموا كذلك في بعض المدن الداخلية .

- التوزيع الجغرافي للقنصليات الفرنسية في المغرب:

تركزت القنصليات الفرنسية في أهم المدن المغربية، التي نشطت فيها إلى سنة 1718م وهي سنة القطيعة الفرنسية مع هذا البلد ومن أهمها:

سلا: كان بها أكثر القناصل عددا ،وقد أحصت المراجع الفرنسية بعضهم نذكر منهم :

أ)- براسول أنطوان جوليان(E.J,Parasol)1653م–1671م:

عرفت قنصليته عددا من المشاكل بفعل عدم الإتفاق مع التجارالفرنسيين ومن أهم ماقام بـــه هو الحصول على بناء كنيس في القنصلية مع حق إقامة الشعائر الكاثوليكية فيه.

ب)-براسول فراسوا جوليان 1671م–1672م:

هو ابن أخ القنصل السابق ،عين محله سنة 1671م ،وقد واجه عددا من الصعوبات في تعاملـــه مع التجار الفرنسيين ،وأستمر في عمله إلى مابعد سنة 1672م[2].

ج)- أنطوان ريمون (A.Raymond):

قضى في هذا المنصب بالنيابة مدة عشرة سنوات ،وترك عمله في سنة 1679م فرارا من طـــاعون حل بسلا[3].

د) بيير كوتيي:(P.Gauttier)1679م–1683م:

عينه "شاطو دو رونو" مساعدا للقنصل بالمدينة ، إبتـــداء مـــن 27مـــارس 1684م لفتـــرة محدودة،وظل مقيما بها ،حيث نجده ينوب عـــن القنصـــل(J.B.Estelle) أثنـــاء غيابـــه ســـنة 1698م[4].عمل على كتابة ورصد أحداث المغرب.

---

(1) محمد بكور:المرجع السابق،نفسه.

(2)دوكاستري: م،.م.ت.م، المرجع السابق،فرنسا،مج01، ص430.

(3)نفسه،مج02، ص233.

(4) نفسه ،مج01 ،ص577.

هـ)- قنصلية بيريلي(Perillié)1685م-1689م:

عين في أواسط سنة 1685م ،وقد سلم له السلطان مولاي إسماعيل براءة إعتماده كقنصل لفرنسا في سلا بتاريخ 11أفريل 1685مإستمر في مهمته إلى مابعد سنة 1686م حيث نجده يتدخل في مشاكل مترتبة عن القرصنة، في أفريل وماي 1686م. (1)

و)-قنصلية جون بابتيست إيستيل(J.B.Estelle)1689م-1701م:

إلتحق بسلا يوم 09 فيفري 1689م،ومارس مهامه إلى ديسمبر 1701م،لكن السلطان أمره بمغادرة المغرب ،لما ثبت عليه تسليمه معلومات للأسطول الفرنسي حول تحركات السفن الجهادية في سلا ،وقد كان هذا القنصل من أشد المناوئين والمتشددين على المغرب ،وقد شارك في سفارة ابن عائشة(2) وحاول في كل تدخلاته أن يعيق أي إتفاق بين الطرفين،وهو الأمر الذي إنتهت إليه هذه السفارة.

ز)- قنصلية بريليي الثانية (Perillié):

عاد ليعين كقنصلا في سلا للمرة الثانية ،وقد أستقبله السلطان وسلمه الوثائق الكافية لتسهيل قيامه بمهامه(3).

ح)-قنصلية بيلي(Pillet):

هو تاجر فرنسي كان على إتصال بالبلاط الإسماعيلي ،إلى أن سماه السلطان سنة 1715م قنصلا عاما على كل المراسي المغربية ،وقد أسلم وحمل اسم "عبد الهادي" وبعد فصله ،عينه السلطان عاملا على سلا (4).

تيطوان:كان بها قناصل برتبة نواب نذكر منهم :

أ)-أنطوان غيلان (Antoine Geillan):

إعتنق الإسلام ،وحمل اسم عبد الرؤوف العلج ،عين قبل إسلامه ،نائبا عن القنصل هنري برا، بتطوان في تاريخ غير محدد ، ثم عزل و عينه السلطان أمينا على المدينة ثم أميرا للبحر(5)، و لم

(1) دوكاستري: م،.م.ت.م، المرجع السابق،فرنسا،مج01 ،ص424.

(2) نفسه ،مج05 ،ص20.

(3) نفسه، مج04 ،ص313.

(4)نفسه، ص572.

(5) نفسه ،مج01 ،ص467.

تشر إليه الكتابات الفرنسية،ويلاحظ أنه شخصية إقتنع بها المولى إسماعيل وجعل من رجاله الـــدين عملوا بكل إخلاص للسلطان.

ب)-سيميون (Siméon)1667م-1668م:

عمل على تمثيل المصالح التجارية لبلده في سلا ،كنائب للقنصل الفرنسي.

ج)-بوايي توساني دي كاسيس(Boyer Toussani de Cassis):

تاجر فرنسي أقام في تيطوان ،عينه السفير "سانت أمانس" نائبا للقنصل في المدينة ،وظل في عمله إلى سنة 1683م ، حيث تم تعيين بدله قنصل دائم هو السيد"Perillié"

د)-بوايي أنطوان"Boyer Antoine"1705م-1711م:

شغل هذا الرجل منصب نائب قنصل من سنة 1705م إلى سنة1711م بتيطوان ، وكان مـــن أعماله أنه سعى جاهدا لتسوية العلاقات التجارية بين الفرنسيين والمغاربة، حيث إصطدم بمعارضة شديدة من أصحاب النفود من الطرفين،الأمر الذي أدى به في النهاية الإنسحاب ،ثم بعد ذلك عين قنصلا في بورتو بالبرتغال.[1]

هـــ)- قنصلية لومير Lomaire:

وقع تنافس شديد بين "Prat"القنصل الفرنسي في تيطوان و"Fréjus" قنصل مدينة المزمة حول قنصلية تيطوان ،وإعتبارا لحيوية فريجوس ، إستطاع أن يستصدر قرارا بتعيين الفرنســـي "لـــومبير" قنصلا بتطوان ،ثم عين بدله "فرانسوا جوليان"[2].

و)-قنصلية دي فاتري (De vatry)1703م-1705م:

خلف دي فاتري- وهو تاجر فرنسي بتطوان - القنصل "بيير إيستيل "، في قنصلية تيطـــوان حيث ألتحق بمقر عمله يوم 13ماي 1703م، حيث تجدر الأشارة إلى أن الحكومة الفرنسية قـــد سبق وأن عينت في تيطوان يوم 07 فيفري 1703م شخصية فرنسية أخرى يسمى "Maillet"الذي توفي وهو في طريقه إلى تيطوان ،وقد بقي "دي فاتري"بها إلى ان توفي سنة 1705م[3]،ويبـــدو أن هده الشخصية قد إختفت من أحدات السياسة المغربية بعد دلك التاريخ، وربما أنه تفرغ للعمـــل التجاري في المغرب نفسه.

---

(1) دوكاستري: م،.م.ت.م، المرجع السابق ،مج01 ،ص87،وانظر مج رقم 06،ص329.

(2)نفسه ،مج06 ،ص365.

(3)نفسه،مج 04 ،ص278.

ز)- قنصلية دي لاكلوزي (Marvier De la Clousie):

كان هذا القنصل وكيل اعمال لتاجر فرنسي كبير وهو "جوردان Jean Jourdan"،سلم لـــه مولاي إسماعيل براءة القنصلية رسميا ،و قد عزل عن مهامه،و إحتج السلطان على ذلك [1].

ح)-قنصلية ماكدولين (Pierre de la Magdelaine)":

قامت فرنسا بتعيين هذا القنصل ،في كل من تطوان وطنجة لمد ثلاثة سنوات ،وقد إســـتمر في منصبه إلى سنة 1718م بحيث صدر قرار إلغاء القنصلية في سلا،و لم تفتح هذه القنصليات إلا سنة 1768م[2].

ط)-قنصلية بونال "Bonal":

عين كنائب للقنصل "ماكدونال" في تطوان ،حيث تمّ تعيينه بها لمدة ثلاثة سنوات،وقد وصل إليها يوم 25 فيفري1712م،ووقع بينه وبين القائد "عمر بن حدو الريفي"[3] مما أستوجب مغادرته.

المزمة[4]: إشتغل بها القليل من القناصل ومنهم:

أ)-لامبير"Lambert":

عينه "مازران" الحاكم الفعلي لفرنسا من سنة 1643م إلى 1661م،كقنصلا في المزمة.

ب)-بواسي روجر"Boissier Roger":

كان نائبا عن "رولان فريجوس" في أعماله التجارية في هذه المنطقة في مدينة المزمة،وعين مـــن طرف سلطات مرسيليا نائبا عن قنصل فرنسا في تطوان وما جاورها .

ج)- قنصلية فريجوس "Rocard Fréjus":

ينتسب هذا القنصل إلى عائلة "Morene" في مدينة مرسيليا ،وهي من بين العـــائلات الـــتي إشتغلت بالتجارة،وعملت جاهدة على توسيع أعمالها خارج محيطها،حيث كانت مـــن أشـــهر

---

(1) دوكاستري: م،.م.ت.م، المرجع السابق ،مج01 ، ص ص134،184.

(2)نفسه، ص609.

(3)هو أبا الحسن علي بن عبد الله بن حدو الريفي البطيوي التمسماني ، أحد كبار قادة مولاي لإسماعيل ينتسب إلى قبيلـــة بطيوة ، في الحسيمة بالريف،قاد الجيوش لتحرير طنجة والمعمورة والعرائش ،واستعان به السلطان في تثبيت حكمه في منطقة الهبط والريف وشارك في إستقرار البلاد، توفي بالطاعون في سنة 1092هـــ/1681م ،أنظر أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق ، ص 64.

(4) مدينة مندثرة كائنة فوق جبل صغير يطل على البحر،في أقصى الشمال الغربي لسهل نكـــور،تكلم عنـــها الجغرافيـــون العرب،للمزيد أنظر ،حسن بن محمد الوزان الفاسي:**وصف إفريقيا**،ط1، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضـــر، دار الغـــرب الإسلامي، بيروت1983،ج1 ،ص ص255،256.

العائلات المارسيلية، عين قنصلا في مدينة المزمة التي تأسست بها حركة تجارية كبيرة وخاصة مؤسسته "رولان وميشيل فريجوس"[1].

طنجة: ذكرت المراجع الفرنسية ،تواجد قنصليات جديدة فتحت في طنجة بعد تحريرها مباشرة وأهم قنصل تواجد بها هو:

-قنصلية بيير إيستيل:"P ierre Estelle":

نبيل فرنسي من منطقة "بروفانس" نجح في أن يفتح قنصلية جديدة في هذه المدينة المحررة بعد إنسحاب القوات الإنكليزية منها يوم05أفريل 1684م،وقد عين على رأسها في نفس الشهر[2].

2 – دور الرسائل في السلم والوئام:

إعتمدت الرسائل الدبلوماسية ،بين المغرب الإسماعيلي والبلاط الفرنسي كشكل من أشكال التواصل الدبلوماسي،في حل الكثير من الملفات العالقة بين البلدين ، ،ويمكن حصر تلك الرسائل بين الدولتين فيما يلي:

أ)- مراسلات مولاي إسماعيل إلى البلاط الفرنسي:

تدخل المراسلات الإسماعيلية ضمن مايصطلح عليه بالرسالة الديوانية أو الإنشائية .فالبنية العامة للرسالة ،تتكون من البسملة والحمد لله والسلام،والبعدية (أما بعد) ثم موضوع الرسالة،ويتكون شكل الخاتمة من التاريخ والعلامة،وتخلى السلطان على الإمضاء اليدوي واعتمد الطابع الكبير ،ذا شكل دائري مذهب ،يتوسطه اسم السلطان وعبارة:

" **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** "[3]

وأقتضت العلاقات أن تكون هناك عدة نماذج لمراسلات عدة مواضيع يمكن حصرها فيما يلي:

1-رسائل تتعلق بفداء الأسرى وشؤون التجارة والسياسة:

وقد صدر عن السلطان المغربي ،عدد كبير من الرسائل ،وفي هذا الأساس نقدم نموذج لتلك الرسائل على سبيل الإستئناس: رسالة مؤرخة بتاريخ 09 شعبان 1095هـ /08جويلية1684م،جاء فيها: ÷...فأعلم أن الذي ظهر لنا أنك ليس عندك قول صحيح ،ولا كلام رجيح،ولا أظنك إلا

---

(1)دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع السابق، السلسلة 02،فرنسا،مج01 ،ص ص 92،94.

(2)نفسه، مج02 ،ص482.

(3) يونس نكروف:صداقة مضطربة لمولاي إسماعيل ولويس الربع عشر. . . Younes Nekrouf**: une Amitié orageuse de Moulay Ismail et Louis xiv**, ed.albin michel,paris 1987, p 126.

غلب عليك أهل ديوانك وصاروا يلعبون بك كيف شاءوا....ودليل ذلك أننا ما زلنا ماقبضنا منك صحة قول ولا أبرمت معنا شيئا .....وأنت لا زال لم يصح منك قول ولا وفاء.....ثم بعد ذلك قدم لعلي مقامنا صاحبكم أنبشدور (دي سان أمانس)وأتانا بشئ من الخرق مع فالصو (أي الردئ وهي إسبانية)....ومع ذلك أعطينا لصاحبك عشرين نصرانيا سيفطناه (معناها أرسلناه).

.....وأعظم من ذلك كله هو أن رئيسا من بلادنا اسمه التاج،كان أعطاه صاحبك الذي أتانا خط يده ،على أن يشتري سفينة من الجزائر فسافر بها قرصان وما عليه فيمن لقيه من فرانصيص...وتعرضوا له سفنكم وأخذوها وثقفتها أنت أياما ثم بعد ذلك مزقتها....فحتى الآن فالذي ظهر لنا أنه ما يليق بنا معك إلا الشر...×

وبعد التمعن في الرسالة ،يتضح لي جليا، أن الرسالة قد إشتملت على التقريع البالغ للويس الرابع عشر،في عدم فك من عنده من أسرى المسلمين ،التي أنتهجها أصحابه ،وأحتج عليه السلطان إحتجاجا كبيرا [1].

أما الرسالة الثانية فجاءت بتاريخ 15ربيع الأول1093هـ/23 مارس 1682م،وهي رسالة ديبلوماسية أراد منها السلطان التوصل إلى حلول بينهما، جاء فيها:

÷...إذ أنت من سلالة عظيم الروم الذي كتب له جدنا وسيدنا ... فلا نرضى نحن أن يكون كلامنا إلا معك،...قابض على أمرك وكلام طاعتك مقصور على رأسك ... وفي اليوم الذي يصلنا الباشدور من عندك فلا يعود إليك إنشاء الله إلا بما يسرك ويرضيك ولا لك عندنا إلا ما تريده وتشتهيه في خاطرك والسلام.. ×[2]

2-رسائل تدعو إلى الدخول في الإسلام:

يظهر أن مولاي إسماعيل كتب إلى عدة ملوك أوروبيين من إنكليز وإسبان وفرنسيين ،داعيا إياهم إلى إعتناق الإسلام،ويصرح بذلك السفير الفرنسي "سانت أولون" في وصف هذا السلطان قوله"...ويدعو المسيحيين إلى الدخول في الإسلام ،صدرت منه عدة رسائل بذلك إلى ملوك أوروبا...". [3].

- نموذج على ذلك ما جاء في هذه الرسالة:

---

(1) أنظر في الشأن الرسالة عبد الله العمراني:**سياسة مولاي إسماعيل الخارجية** ،في مجلة البحث العلمي،تصدرها جامعة محمد الخامس ،الرباط1965،العددان4و5،ص ص 280-301.

(2) أنظر في هذا الشأن عبد الرحمن بن زيدان:المرجع السابق ،ص200.

(3) عبد الله العمراني:المرجع السابق،ص286.

والتي جاءت مؤرخة في 02رمضان 1092هـ/15سبتمبر1681م،يثير فيها السلطان موضوعا طريفا ظل حديث المعلقين،ويتعلق الأمر بإخبار السلطان للويس الرابع عشر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أرسل خطابا إلى هرقل (Heraculus)ويطلب ما إذا كانت هذه الرسالة موجودة في قصوره[1].

÷...أدعوكم إلى دعاية الإسلام، وتعتق نفسك... ستؤجر مرتين..فإذا رفضت فإنك ستكون من الآثمين ،أفعل ما تشاء ...أدعوك إلى الأيمان بالكتب السماوية ،والأيمان بالله الواحد الأحد ،الذي لاشريك له والله شاهد علينا ،أننا دعوناك إلى الإسلام.....أما المسألة الأخرى هي معرفتي بحقيقة أنك من نسل عظيم الروم هرقل..وقد أحببنا ان تكون المودة والمراسلة بيننا...×

وكان رد الملك الفرنسي على هذه الرسالة بدعوة السلطان إلى إعتناق المسيحية.

ب) مراسلات لويس الرابع عشر إلى السلطان مولاي إسماعيل:

جاءت رسائل لويس الرابع عشر في إطار السياسة العامة للبلاط الفرنسي في القرن السابع عشر ،الذي يمثل سياسة الغطرسة ،حيث بدأ واضحا أن فرنسا كانت هي التي تتحكم في المبادرات الدبلوماسية ،بما في ذلك كتابة الرسائل التي كان يبعثها بواسطة مبعوثيه أو قناصله بالمغرب [2] .

وعمل لويس الرابع عشر إلى تولية أهمية كبرى لمسألة المترجمين ،وكان يفرض إجراءات صارمة على هؤلاء ،وقد كلف "Pierre depy d 'Alep"بترجمة بعض الخطابات من العربية إلى الفرنسية[3].ومن الأعمال الجريئة التي أعتمدها البلاط البلاط الفرنسي،هو الحصول على نسخا من رسائل مولاي إسماعيل المرسلة إلى كل من هولندا وإنكلترا،بواسطة قنصله في" سلا""J.B.Estelle"[4]. وقد عمد إلى التسلح بالدبلوماسية ،كأداة لحماية مصالحه وللضغط على المغرب،وخاصة إرسال تلك الخطابات في كل ماتحمله معانيهما:

فالرسالة الأولى، وهي تتعلق بالدبلوماسية، مؤرخة في 13أوت 1672م ،والمتعلقة بالتهنئة والتجارة والسياسة،التي تتعلق بالعلاقات بين الدولتين،والتي جاء فيها: ÷...قد بلغنا بكل فرح خبر جلوسكم على عرش الملك ،وما أنتم عليه من حسن المعاملة في مملكتكم مع تجار النصارى وما سهلتموه للرهبان ...وها نحن وجهنا مع السفير المذكور عشرة من أسارى المسلمين وكلفناه

(1) عبد الله التازي:المرجع السابق،مج01،ص217 ،218.

(2) دوكاستري: م.م.ت.م، المرجع السابق، السلسلة01،فرنسا،مج02 ،ص48.،

(3) يونس نكروف: المرجع السابق،ص87.

(4) نفسه،ص212.

بقبض بدلهم عشرة من أسارى النصارى الموجودين بأعتابكم....إنني على يقين من أنكم أمـــرتم ضباطكم ورؤساء رعيتكم بإعطاء الحرية للإقامة في التجارة لمن يتجر من رعيتنا بمملكتكم وهذا ما يزيد في توثيق أواصر المحبة بيننا وبينكم... "

أما الرسالة الثانية، وهي تتعلق بأمور السفارة والعلاقات السياسية،وجاءت مؤرخة في12فيفري 1682م،والتي جاء فيها : "...فقد بلغنا بكل فرح كتابك المؤرخ في الثلاثين جويلية عام إحـــدى وثمانين وستمائة وألف ،من كل ماذكر لنا سفيركم الحاج محمد مما أمرتموه به حقق لنا بأن مرادكم الأصدق هو إعادة المهادنة بيننا ... فلا نشك أن تأمروا رعيتكم بالعمل بمقتضاها... وأما سفيركم فقد قام بكل ما أمرتموه به... "[1].

ويبدو من هذه الرسالة أن الملك الفرنسي قد أعجبه ما جاء في إتفاقية 1682م،والتي جعلـــها بداية لسلام طويل بينه وبين المغرب،وهي رسالة ديبلوماسية أراد فيها الملك الفرنسي أن يؤثر على السلطان مولاي إسماعيل ،حيث وصف له كل أعمال الحاج تميم بما يليق من نعـــوت الإجـــلال والحفاوة التي لقيها في فرنسا،ولكنه في الواقع يدافع عن المشروع الذي وقعه هذا الأخير ،والـــذي رفضه السلطان .

(1) دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع السابق، السلسلة02،فرنسا،مج01،ص629.

المبحث الثالث

التبادل التجاري وربط للإتفاقيات والمعاهدات 1659م–1727م

من الملاحظ أن النشاط التجاري في أوربا عموما وفي فرنسا بالخصوص لم يكن مرتبطا بالأساس بالقرار السياسي،ولكنه كان يرجع إلى الغرفة التجارية،التي كانت هي المؤثرة في القرار السياسي الفرنسي،ومن ثم كان إرتباطها بالمغرب طيلة العهد الإسماعيلي لبروز الدور التجاري الفرنسي القوي في المغرب.

ولقد إزداد إهتمام أوروبا بالمعاهدات خلال العصر الحديث وأصبحث كل دولها تسعى في أن تعمل على عقد المهادنة والصلح مع المغرب.وكلما حظي بلد بامتيازات،سارع بلد آخر للمطالبة بالشروط نفسها.وقد عرف هذا التسابق ذروته زمن مولاي إسماعيل،والقراءة المتأنية لعينة من تلك المعاهدة ،تبين لنا بأن فرنسا كان همها الأساسي هو الدفاعن عن مصالحها وامتيازاتها التجارية ثم كذلك الأمنية والعمل على الحد من أنشطة المغرب القرصانية وإرغامه على فتح حدوده لتجارها.

وعلى ذلك يمكن لنا دراسة حالة التبادل التجاري في المغرب، ثم ربط المغرب لمعاهدات مع فرنسا في هذه الفترة المميزة من تاريخه.

1– التبادل التجاري :

وعلى العموم مثّل قناصل فرنسا ،المصالح البرجوازية الاقتصادية النافذة في المجتمع الفرنسي،حيث إنتعشت المبادلات التجارية ضمن هذا التوتر السياسي ،فكانت كلاهما وجهان لعملة واحدة،وأحتكرت مدينة مرسيليا وحدها التجارة مع البلاد المغاربية،ومنها المغرب الأقصى،ويمكن لنا تقسيم هذه الحركية التجارية ضمن عهدين هما :

1–عهد المولى الرشيد:

لقد كان الكاردينال"مازران"(Mazarin) فكر منذ سنة 1655م في إنشاء شركة في "جزر المزمة" [1]،وعلى هذا الأساس كتب "رولاند فريجيوس" من المزمة (Abouzume) بتاريخ 05أفريل

(1) هي مجموعة من الجزر الصغيرة الموجودة في الخليج الذي يصب فيه وادي نكور،ووادي غيس، مقابلة لمدينة المزمة التاريخية التي هدمها مولاي الرسيد سنة 1666م،وأكبر جزرها تعرف بحجر نكور التي أسس عيها الإسبان مركزا عسكريا سنة 1673م،وأطلقوا عليها إسما جديدا باللغة الإسبانية هو جزيرة بوزني،"Busema" وهو تحريف لكلمة الحسيمة،أنظر:م.م.ت.م،السلسلة02،فرنسا،مج01،ص21 .

1666م إلى السلطان مولاي الرشيد يطلب الإذن بمباشرة تجارته،وأذن له السلطان وعين له ستين بعيرا لحمل أثقال تجارته[1].

وقدّم للمولى الرشيد رسالة من ملك فرنسا مؤرخة في11جمادىالثانية 1076هـ 19نوفمبر1665م،و قد أجابه السلطان في رسالة بتاريخ 26شوال1076هـ/ماي 1666م جاء فيها: ÷..وبعد فقد تلقينا كتابك وفهمنا ما فيه من طلبك ،الأمن لمن أراد من رعاياك التجارة في بلادنا،فقد أعطينا الأمان لكل من أتى بلادنا وممن سيأتي من جهتك يقصد التجارة... × [2].

ثم أنشئت علاقات بين صهر مولاي الرشيد ،وبين شركة تجارية تضم شخصيتين بارزتين من مرسيليا هما"جولي جان"(Joli Jean)و"جان بابتيست"(Jean Baptiste) من مدينةروان[3].

وعندما رجع" فريجيوس" إلى المغرب سنة 1670م وجد المولى الرشيد في حالة تشدد مع الأجانب الأمر الذي أدّى إلى تعثر تلك المهمة،لكنه حاول أن يبقي تلك العلاقة بينهما، وسعى إلى توسيع تجارت نحو إفريقيا.

2- عهد المولى إسماعيل:

كان المولى إسماعيل مهتما بالتجارة ،ويعتبرها أحسن من القرصنة،حيث كانت التجارة تعطيه كمية كبيرة من المداخيل ، بلغت 10% من الواردات ونسبة 20إلى 25%من الصادرات،وكانت أهم الصادرات إلى فرنسا هي الشمع[4].

هذا وقد طالب السلطان بإقامة علاقات جيدة مع التجار الفرنسيين ومنحهم إمتيازات أكبر وأهتم بتأمين حمايتهم ،حيث إزدادت واردات مدينة سلا، التي كان بها مجموعة من المراكز التجارية الفرنسية ،ومن بين عمليات التجارة ،تلك المهمات الخاصة بشراء الخيول المغربية ،فقد باشر لويس الرابع عشر في إرسال السيد غارسو(M.de Garsault)القائم بإصطبلات الخيول الملكية بفرنسا إلى المغرب،ومما جاء في أمرية كولبير في هذا الشأن:"...لقد أعطينا الأمر لأمين

---

(1) عبد الهادي التازي:المرجع السابق،مج02،ص130،135.

(2) دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع السابق، السلسلة02،فرنسا،مج01،ص114.

(3) عبد الهادي التازي : المرجع السابق،مج09،ص69.

(4) محمد علي عامر ومحمد خير فارس:**تاريخ المغرب العربي الحديث"المغرب الأقص،ليبيا"**منشورات جامعة دمشق،1999م ص97، 98.

خزانة البحرية بإعطاء السيد غارسو (M.de Garsault)ما قيمته 12000ليرة بمدينة طولون قبل توجهه إلى المغرب...".[1]

وذلك من أجل شراء الخيول برفقة ثلاثين معاونا في هذه العملية ،وبسبب الظروف السياسية الصعبة بين البلدين ،أصدر الملك الفرنسي أمرية في سنة 1687م بحضر التجارة مع المغرب ،ثم عاد ورفعها بتاريخ25أكتوبر1688م بسبب التظلمات التي رفعها إليه التجار الفرنسيون بهذا البلد.

بقيت التجارة سائرة وصامدة بين الدولتين في كل الأحوال، التي مرت على المغرب في العهد الأسماعيلي ،وحتى مع قطع العلاقات القنصلية سنة 1718م فإن التجارة بقيت رائجة [2].

وكان التداخل بين السياسة والتجارة هو الذي دعا المؤرخ "شارل أنري جوليان" إلى القول: "أن خراب التجارة الفرنسية كان فداء لمجد الملك"[3].

وفي سياق سفارة "بيدو سانت أولون" التي وجهها لويس الرابع عشر إلى المغرب ،جاء فيها العمل على إقامة تحالف إستراتيجي بين الدولتين ضد الإيالة الجزائرية،التي يعمل قراصنتها مع "أمير أورانج"[5]،في تدمير أساطيلنا التجارية ،وكان السلطان مولاي إسماعيل مترددا جدا في مسألة التحالف مع دولة مسيحية ضد دولة مسلمة[6] وخاصة على خلفية أبعاد تجارية.

وتبين العلاقات السلمية بين السلاويين والتيطوانيين ،مع الأتراك العثمانيين في الجزائر،وتحالفاتهم ضد القرصنة الأوروبية ،وخاصة الفرنسية ،خير دليل على تماسك البعد التجاري الشعبي وحتى الرسمي بين الطرفين، فهذا عبد الله بن عائشة أحد رجال السلطان ،جاء في رسالة عنه مؤرخة في 12ماي 1687م،كتبها قنصل فرنسا في "قادش" "بيير دي كاتالان" إلى كاتب الدولة للبحرية الفرنسية "جون بابتيست كولبير"جاء فيها":÷...قبل إثني عشرة يوما و غير بعيد عن سلا،تم حجز سفينة من الجزائر،من طرف بعض العمارات التابعة للإنكليز،تبين أن قائدها يحمل جوازين أحدهما من الجزائر والأخر من سلا،ومن المعلوم أن البلدين قد وقّعا سلاما... وتوحي بعض الأخبار بأن

---

1) (Pierre de Brottone**:lettres,Instructions,memoires de colbert**,vol 04,ed imperiale,1867,p294.

(2) رايمون توماسي:المغرب،علاقة فرنسا مع هذه الأمبراطورية. . . Raimond thomassy: **le maroc,relation de la France avec cet empir**e,ed 03.librairie de charle douniol,paris 1859,p134.

(3) شارل أندري جوليان:المرجع السابق،ص502.

(4) هو أمير أورانج الهولندي الذي تولى عرش إنكلترا سنة 1688م،عبر الثورة البيضاء ،أنظر، Issac laigue:**prince d orange et de nasseau,**vol02,halma1711,p422

(5) رايمون توماسي: المرجع السابق،ص،ص39،40.

عبد الله بن عائشة أميرال البحر السلاوي قد زار الجزائر وباع فيها محجـــوزات بحريـــة فرنســـية وإنكليزية... ×[1].

وفي أثناء تواجد البحرية الفرنسية التي ترابط على الشواطئ المغربية ،فقـــد تتبعـــت ســـفينة جزائرية قد أسرت 160رجل أغلبهم فرنسيين ،في الشواطئ المغربية،وكان يقدم لها الدعم من تجار وقراصنة هذه الموانئ،الأمر الذي يبين عمق التآزر بين المغاربة والجزائريين في تبادل سلع الغنـــائم البحرية فيما بينهم، وخاصة الفرنسية،الأمر أدى إلى تدخل الدبلوماسية الفرنســـية لوضـــع حـــد للتواطؤ مع القراصنة الجزائريين فقد جاءت رسالة القنصل الفرنسي السابق بتـــاريخ 01 نـــوفمبر 1683م إلى الوزير "كولبير": ÷...فبشأن إعطاء التعليمات إلى القنصل بسلا لرفع تظلم إلى قائـــد الناحية بشأن وجود القراصنة الجزائريين في الموانئ المغربية ويبدو جليا ،بأن هذه العمارات تتأهب ضد المراكب الفرنسية،وبذلك تتأكد عدم جدية حكام هذه المناطق في محاربة هؤلاء،ورفع الشأن إلى الوزير ...× [2]

2-الإتفاقيات والمعاهدات بين الدولتين:

إستخدم كل من المغرب وفرنسا المفاوضات و إيجاد حلول مناسبة لكل الأزمـــات العالقـــة بينهم، وكانت الإتفاقيات والمعاهدات أساسا حضاريا لتفادي أي تصادم بين الدولتين، وعمقـــت التفاهم على النقاط المشتركة بينهما،فكيف كانت تلك المعاهدات ؟وهل طبقت في الواقع الميداني بينهما ؟ ذلك ما نراه في أهم الإتفاقيات والمعاهدات التي تمت بين 1659م إلى سنة 1727م.

1- إتفاقية 13جويلية 1681م:

جاءت هذه الإتفاقية في خضم صراع الجهاد البحري والقرصنة بين المغاربة والفرنســـيين في شواطئ المغرب وإسبانيا، وسوف أحاول تقديم وتبيان هذه الإتفاقية من خـــلال التعـــرف علـــى الظروف التي أبرمت فيها،والأحكام التي وردت في بنودها، والآثار التي تركتها بعد عام 1681م. رغم أن ملامحها هي نفس تلك التي أستعملت مع الجزائر أو تونس،وهو دفاع فرنسا عن مصالحها دفع المغرب إلى حرية التجارة،وحق إستعمال الموانئ المغربية ،وحماية التجار الفرنسيين وغير ذلك.

---

(1)أنظر في هذا الشان رسائل القناصل الفرنسيين في قادش بإسبانيا من سنة 1666م -1792م،الأرشيف الوطني الفرنسي،جمعه "آن ميزين"مع "بتروتان ديمون".غ.م ،المجموعة رقم (AE/B/I/213/FOL:43-46). Anne pétrotin et Anne mézin: **correspondances des consuls de France à cadix**(1666/1792),inventaire analytique de la sous-serie,AE/B/I/211 à 235 du 1666 au1728.

(2) نفسه،المجموعة رقم (AE/B/I/212/FOL:179,181v).

أ- ظروف إبرام المعاهدة:

لقد كان من شأن التجارة الفرنسية أن تتوسع في بلاد المغرب،غير أن تعكر صفوها جاء بسبب عمليات الجهاد البحري المغربي ،حيث زادت هجوماتها على السفن الأجنبية الأمر الـــذي جعل السلطات الفرنسية تعمل على دحر هذه العمليات.

فقد أرسل البلاط الفرنسي ،الأميرال "شاطو رونو" "Château Renault"على رأس عمـــارة بحرية إلى السواحل المغربية في مارس 1680م ،وأفريل 1681م وعمد إلى حصـــار ميناء ســـلا والشواطئ المغربية،[1].

وفي جوان 1681م عمد القرصان الفرنسي المـــدعو جـــون بـــارت(Jean Bart)مـــن مدينـــة (Dunkerque)إلى أسر مجموعة من المغاربة ،ثم أسر قرصـــان فرنســـي آخـــردي بيـــتين (De Bethune)مجموعة أخرى ،وأقتادوهم إلى موانئ مرسيليا وطولون[2] .

وأمام هذه الظروف ،ورغبة من الســـلطات المغربيـــة في الـــدخول في مفاوضـــات مـــع المهاجمين،ولوضع حد لهذه الإستفزازات والأعمال العدائية بين الطرفين، جاءت الإتفاقيـــة بـــين "شاطو رونو"وحكام مدينة سلا بتاريخ 01 جويلية 1681م ،والتي تبعتها مفاوضات بـــين قائـــد الغرب "عمر بن حدو الحمامي"ولوفيفر دولابار(Le fevre de la Barre)،في مدينـــة المهديـــة أو المعمورة بتاريخ 13جويلية1681م[3].

وعلى العموم،جاءت الظروف الداخلية والدولية لكلا الدولتين مواتية لبحـــث أمـــور الســـلام وللوصول إلى إتفاق بينهما.

ب)-فحوى المعاهدة:

جاءت على شكل معاهدة السلم بين مملكة فرنسا وإيالة الجزائـــر المبرمـــة في 17 مـــاي 1666م،في مجملها وفحواها،ونصت هذه الإتفاقية على الترتيبـــات الـــتي تضـــمنتها المعاهـــدات السابقة،كالإتفاق الفرنسي المغربي لسنة 1630م ،والذي كان على شكل هدنة مع سكان مدينـــة سلا،والإتفاق المغربي الفرنسي لسنة 1631م مع السلطان مولاي الوليد في مراكش[4]،ومن بنودها

---

(1) ربيح السعيد: المرجع السابق،ص40.

(2) نفسه ،ص40.

(3) رايمون توماسي:المرجع السابق،ص132.

(4) زهراء إخوان:**بـــدايات إســـتقرار أليـــات التـــدخل الأوروبي في المغـــرب**،في مجلـــة مكناســـة،العدد 11،جامعـــة مكناس،1997،ص72.

توقيف كل الاستفزازات، والأعمال العدائية سواء في البحر أو في البر ،وحرية الطاقم البحري،وتنظيم الملاحة البحرية والتزود من موانئ البلدين كما نصت المعاهدة على إمكانية حماية سفن الطرفين داخل الموانئ وعند مغادرتها مع الإلتزام بعدم تقديم يد العون، والمساعدة للدولة المعادية لأي طرف.

وضّحت حقوق القنصل الفرنسي، وأماكن إقامته ،وكلفته بتقديم جوازات مرور للتجار الفرنسيين ومساعدتهم في مهامهم، وتقرير حرية الشعائر الدينية للفرنسيين المقيمين بالمغرب وكفلت لهم الحق في إفتداء الأسرى، والتقاضي بحضور القنصل بالنسبة للرعايا الفرنسيين في المغرب ، بالإضافة إلى فتح علاقات تجارية وسياسية جديدة.فقد جاءت هذه الإتفاقية ضمن السياسة الجديدة لفرنسا على مجموع البلدان المغاربية[1].

ج)-أثار المعاهدة:

جاء هذا الإتفاق كقاعدة أساسية،وكمفتاح لبناء المعاهدة الفرنسية المغربية المؤرخة في 29جانفي 1682م،فقد أرسل مولاي إسماعيل رسالة في 13سبتمبر1681م إلى الملك الفرنسي،لإعادة صياغة هذه المعاهدة ووضع الترتيبات التي من شانها تعديل بعض بنودها[2].

2- المعاهدة الفرنسية المغربية لسنة 1682م:

جاءت المعاهدة كنتيجة لسفارة "الحاج محمد تميم"إلى البلاط الفرنسي في أواخر سنة 1681م،ولمعرفتها ينبغي لنا الإلمام بظروف إبرامها وبنودها وأثارها،فكيف كانت ظروف إبرامها؟وماهي محتويات ومشمولات نطاقها؟ ثم ماهي نتائجها بالنسبة للبلدين ولوضع السلام الهش بينهما؟

أ)-ظروف إبرام المعاهدة:

رغم رفض السلطات الفرنسية تعديل لبنود المعاهدة التي سبقتها،فقد جاءت رسالة "كولبير"بتاريخ 28أوت 1681م إلى الفارس "Le Febvre de la Barre"بأن ملك فرنسا يرفض تعديل إتفاقية 13جويلية 1681م،وذلك إثر مجئ "الحاج محمد تميم"إلى البلاط الفرنسي للقيام بمشاورات حول إعادة بناء وترتيب إتفاقية جديدة من شأنها توقيف أعمال القرصنة ،وتبادل

(1) زهراء إخوان،المرجع السابق ،ص 72 .

(2) يونس نكروف:المرجع السابق ،ص ص83 -104.

الأسرى وحرية التجارة بين البلدين ، وكان رفض السلطان المغربي لتلك المعاهدة سببا مباشـــرا في إعادة النظر في بنودها،وإرسال سفارة "محمد تميم".[1]

ب)-فحوى المعاهدة:

أبرمت هذه المعاهدة بناء على معاهدة 29جانفي 1681م واحتوت علـــى عشـــرين بندا،مبينـــة كالتالي:

البند01-توقيف كل أشكال العداوة والمقاتلة بين البلدين بالبر والبحر.

البندين 02و03 أمن التجار والرعايا بين الطرفين في البر والبحـــر،وتنظيم المراكـــب في مـــوانئ البلدين.

البندين4و5 حول الترتيبات المفروضة على سفن الأعداء للبلدين "الجزائر وتونس".

البندين 06و07 تسليم المراكب الجانحة أو المتضررة مع حمولتها ،على أن يؤدى لمن ساعد علـــى إنقاذها أجره،وألا يكون قنصل فرنسا ملزما بدفع ضرائب جمركية على تلك البضائع التي يستعملها في حاجاته الخاصة.

البنود08 و09و 10وهي تنظم المسائل التجارية بين البلدين.

البند11 يتضمن بعض الترتيبات على سفن الجزائر وطرابلس وتونس.

البند12 يتضمن حق إقامة القنصليات في سلا وتطوان ،أو أي مكان أخر يراه ملك فرنسا مناســـبا لمساعدة التجار الفرنسيين في كل ما يحتاجون إليه.

البند 13 يتضمن إجراءات التقاضي بالنسبة للرعايا الفرنسيين في التراب المغربي.

البند 14و15 يتمحور حول عدم إلزام القنصل بأداء ديون مواطنيه ،ويكون هو وارث الهالك من الفرنسيين،في حين يعفي البند الخامس عشر القنصل من أداء الضرائب المفروضة على مـــؤو نتـــه والبضائع اللازمة لعيشه وفي أخر البند جاء أن محاكمة فرنسي ضرب مغربيا لا يـــتم إلا بحضـــور القنصل الفرنسي.

البنود18و19 تنظم القراصنة الفرنسيين الخارجين على قانون فرنسا،ومستقبل هذا الصلح.

البند20 تشترط مصادقة عاهلي البلدين على المعاهدة [2].

---

(1) رابح سعيد: المرجع السابق ، ص46.

(2) أنظر في هذا الشأن عبد الرحمن بن زيدان:المرجع السابق ،ص205.

ج)-نتائج المعاهدة:

جاءت المعاهدة ببعض البنود التي رفضها الطرفان نذكر منها البند" 20" الذي كلّف السفير "سانت أماند"بتعديلها[1]،ثم مجئ خلفه "سانت أولون"ومطالبته بتعديل المادة "07"من هذه المعاهدة ثم المطالبة المغربية بتعديل المواد "05"و"07" المتعلقين بالتحالف ضد الجزائر وتونس وطرابلس وتلك المتعلقة بالأسرى[2] .

يضاف إلى ذلك عدم التوافق على المادة "04"والمادة"06"، التي أختلف حولها الطرفان.ومما زاد من إستفحال تعليق هذه الإتفاقية من الطرف المغربي هو عدم تطبيق فرنسا لبنودها وتمكنهم من إسترقاق بعض المغاربة ومنهم "الحاج محمد التاج " مع رفاقه ،وكذلك ضعف المفاوض المغربي محمد تميم ،الذي وقّع على المعاهدة وهو لم يقدر خطورتها،والتي أعطت لفرنسا إمتيازات ،الأمر الذي دعاه إلى الإلتماس من دولاكروا (De la Croix) أن يحذف بعض المصطلحات من الخطاب المترجم إلى مولاي إسماعيل،هذا الأمر يبين بجلاء الطريقة المتبعة في مفاوضات هذه السفارة، ونتائجها الغير متوقعة بالنسبة للجانبين[3].

و لم تغب الجزائر في كل المناسبات واللقاءات المغربية الفرنسية،وفي كل السفارات المتبادلة،بإعتبارها عدوا مشتركا للبلدين، ينبغي محاربتها والتحالف ضدها،رغم تباعد المصالح الإستراتيجية بينهما. فقد كان للجزائر دورا في المباحثات، بدأ من فترة مولاي الرشيد الذي حاولت فرنسا أن تربط معه علاقات ديبلوماسية ولكن ظروفه السياسية حالت دون وقوع ذلك.

بداية من حكم المولى إسماعيل سنة1672م بدأت التحركات السياسية بين البلدين وجاءت المعاهدات البينية، لتبين ذلك التوافق بين السفير المغربي عند مصادقته على معاهدة29جانفي 1682م والتي أشارت إلى تبني سياسة قانونية ،ضد الإيالات المغاربية ومنها الجزائر،وخاصة المجاهدين البحريين لهذه الدول[4] .

---

(1) روار دو كار:المرجع السابق ،ص18.

(2)دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع السابق ،السلسلة 02،فرنسا،مج05،ص04.

(3)نفسه.

(4) (Ferdinand de cornot cussy:**Recueil des traités de commerces et de navigation de la France**,paris1835,p191.

ومما تقدم يمكن القول:

– أن العلاقات السلمية بين المغرب وفرنسا قد تعددت قنواتها في الفترة العلوية الأولى،وذلك بسبب كثرة المبادلات التجارية وإفتداء الأسرى، وكان منها البعثات المتعددة والسفارات والتواجد القنصلي في معظم البلدان المغربية،بالإضافة إلى تبادل الرسائل الدبلوماسية لحل الكثير من الإشكاليات بينهما.

– لقد شكلت العلاقات المغربية الفرنسية نقاط تعاون مستمر في الكثير من القضايا المتشابكة بينهما،وأدت إلى عقد إتفاقيات ومعاهدات ،وحتى مشاريع ربط تحالفات ومشروع زواج لم تسعفه الأقدار أن يتحقق.

– لقد طرأت على العلاقات الفرنسية المغربية ،مسألة التعاون بينهما ،ضد جيران المغرب خاصة الجزائر،ولكن ذلك لم يثمر نتيجة لرفض المسئولين الكبار في المخزن الإسماعيلي ،نتيجة للتواصل الجهادي بين الجزائريين والمغاربة ضد السفن الأجنبية التابعة لدولة معتدية،وذلك في المياه المتوسطية والأطلسية.

الفصل الثاني

العلاقات العدائية والصدامية

إن العلاقات بين المغرب وفرنسا،تراوحت على مر القرنين 17م و18م،بنوع من العدائية حينا والسلم الحذر أحيانا ،رغم وجود فرص للقنوات السلمية بينهما،وذلك بسبب سياسة الغطرسة الفرنسية التي إنتهجها لويس الرابع عشر،وبالتالي نشوء العداء الحذر بين الدولتين، كل ذلك يدفعنا إلى البحث في جوانب هذه العلاقات،الموصوفة بالحملات البحرية والجهاد البحري أو القرصنة ومسائل الأسرى.

- الحملات الفرنسية 1670م-1728م.
- الجهاد البحري والقرصنة المتبا دلة.
- مسائل الأسرى بين الدولتين.

المبحث الأول

الحملات الفرنسية على المغرب 1670م – 1728م

لقد إستعملت فرنسا سياسة التهديد بالقوة،في علاقاتها مع كل الدول المغاربية على مدار فترة حكم لويس الرابع عشر،وعادة تقوم سياسة لويس الرابع عشر (الملك الشمس) بإعتماد عمليات القرصنة كذريعة تبرر الهجوم،وتعمّد من خلال ذلك إلى فرض الحصار ،وضرب القلاع وقنبلة المدن في العديد من المرات ،الشيئ الذي نتج عنه إجبار المغاربة على السلم الفرنسي.

ففي الفترة ما بين 1670م إلى غاية 1727م، قادت الوحدات البحرية الملكية الفرنسية عدة حملات موجهة في أغلبها ضد مدينة وميناء سلا ونواحيها،وقامت بدور هام في الإعتداء المغربي على الجزائر، والتي نبينها كالتالي:

أ–الحملات الفرنسية على المغرب 1670م – 1728م:

جاءت هذه الحملات في إطار إكتساب البلدان الأوروبية المهارات الكبيرة في أمور البحر،وخاصة فرنسا التي سعت جاهدة للوصول إلى الهيمنة على الطرق والسواحل البحرية،عكس الأسطول المغربي الذي لا يستطيع مغادرة موانئه أو الإبتعاد عنها بأميال في هذه الفترة من تاريخه،خوفا من الأساطيل الحربية الأوروبية التي تجوب السواحل المغربية لحماية التجار.

1–حملة سنة 1670م بقيادة "جون ديستري(le compte Jean d'strés):

الكونت "جون ديستري" نائب أميرال البحرية الملكية الفرنسية،أرسله لويس الرابع عشر،في سنة 1670م على رأس حملة بحرية مكونة من ستة (06)سفن من نوع القاليرات الكبيرة،مهمتها تطويق ميناء سلا والشواطئ المغربية القريبة منه،ومحاربة قراصنتها[1].

كتب هذا الأميرال إلى لويس الرابع عشر في هذا الشأن، يبرر فشله بأن الفرنسيين يملكون سفنا كبيرة من نوع القاليرات،(les galères)الثقيلة التحرك،عكس السفن التي يملكها القراصنة الخفيفة والصغيرة،من نوع الشابوك والفرقاطات التي يصعب ملاحقتها،ولذلك طلب من "الوزير كولبير" مده بفرقاطات صغيرة.ففي هذا الشأن كتب "هنري برات"(Henri Prat) قنصل فرنسا في المغرب ،بتاريخ 10أكتوبر 1671م يخبر "كولبير" بإرسال وحدات صغيرة متحركة ،بالموازاة مع الحملات الكبيرة التي تحمل من 10الى 12 مدفعا، ومن 80 إلى 100رجل على متنها[2].

---

(1) دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع السابق، السلسلة 02،فرنسا،مج01،ص284.

(2) نفسه ،مج01 ،ص284–517.

2-حملة شاطو رونو (Château-Renault) لسنة 1671م:

في صيف سنة 1671م،إتخذ لويس الرابع عشر القرارات،وعهد إلى "شاطو رونـــو"وســـلمه "سفينة سانت لويس"والفرقاطات العسكرية"Les jeux"و"La friponnes"والذهاب إلى دواخـــل هذه الموانئ وخاصة "سلا" قبل أن تخرج منها سفن القراصنة[1].

بقيت الحرب على القرصنة مستمرة،رغم وجود علاقات سلمية بين الحين والآخر،فحملة "شاطو رونو" المكونة من خمسة عمارات بحرية،كل واحدة منها تحمل من 14إلى 56مدفعا،أرسلت بتاريخ14 أفريل 1671م،هذا الرجل قاد هذه الوحدة منذ سنة1666م،فقام بإغراق بعض القطـــع البحرية المغربية،ثم إنضمت إليه خمسة عشرة عمارة أخرى تابعة لوحدات (Jean D'estrés) الذي أغلق سلا والموانئ التابع لها[2].

3-حملة "شاطو رونو" الثانية لسنتي 1680م و1681م:

عمد "شاطو رونو" إلى القيام بحملة جديدة وحصار على مدينة "سلا"معتمدا علـــى عمـــارة بحرية مكونة من عشرة سفن ،وتواجدت أمام المدينة لإرغام أهلها على الموافقـــة علـــى الســـلم الفرنسي،الأمر الذي جعل القايـــد "عمـــر بـــن حـــدو الحمـــامي"يفـــاوض مبعـــوثي قائـــد الحملة،وشروطها،و لم يتوصل الطرفان إلى إتفاق،وبتزايـــد نفقـــات الحصـــار،وإقتراب مواعيـــد الإظطرابات الجوية،إَضطر القائد الفرنسي إلى رفع الحصار ومغادرة الميناـــء[3].وفي ســـنة1681م فاوض نفس قائد المنطقة وتوصلا إلى هدنة،رافقه في هذه الحملـــة القرصـــان الفرنســـي جـــون بارت(Jean Bart)،الذي سبق له أن أسر مجموعة من المغاربة[4].

4-- حملة "كوتلغان"(Le chevalier Alain Emmanuel de Coétlogen)سنة 1698م:

جاءت هذه الحملة ،بتاريخ 28ماي 1698م،حيث عمد إلى حصار ميناء مدينة سلا ،لإرغـــام القراصنة السلاويين على مغادرة هذا الميناء ،الأمر الذي جعل عبد الله بن عائشة يقترح بواســـطة

---

(1)روجي كواندرو:قراصنة سلا. . . Roger Coindreau:**les corsaires de salé**,ed.03,eddif,paris 2006,p 164.

(Léon Guerin**:Histoire maritime de France**,t03,ed dufour et malat,paris1854,p210. 2)
(Ferdinand Hoefer **:Afrique Australe,cap de Bonne Esperance,Empire de Maroc**,firmin 3) didot ed,paris1848,p361.

(4)روجي كواندرو: المرجع السابق،ص70.

أخيه عبد الرحمن لعرض الرغبة في عقد هدنة وليخبره بأن أخاه عبد الله لديه التفويض الكامل من السلطان من أجل السلام[1].

5- حملة "الكونت فرديناند دو رولينغي"(Ferdinand de Relingué) سنة 1699م:

في أواخر سنة 1699م جاء الكونت "فرديناند دو رولينغي" كقائد لأحدى الوحدات البحرية المكونة من عشرة سفن بحرية من نوع الفرقاطات،وأتجه بأمر من السكرتير العام للبحرية الملكية "كولبير"ولما وصل إلى ميناء سلا قدم رسالة من الملك لويس الرابع عشر،موجهة إلى السلطان مولاي إسماعيل،وجاء فيها بأن يستشعر عظمة وقوة فرنسا ،وأن يقبل شروط السلم المقررة من فرنسا ،وكان رد السلطان انه لا يكثرت لتهديدات أحد[2].

6- حملتي "البارون بوانتيس"(Le Baron de Pointus)سنتي 1700م و1705م:

تمّ إرسال حملة بقيادة هذا الرجل في صيف سنة 1700م ضد سلا،لكنه فشل فيها بعد حصار للمنطقة بلغت سفنه بأكثر من عشرين سفينة[3]،ثم أعاد حملة جديدة يوم 14أفريل 1705م، جدد فيه الحصار البحري على الشواطئ المغربية،ثم قام بتطويق مدينة طنجة وقصفها بالمدفعية[4].

7- حملة نانتي دوكاسار "Nantais de Cassard"بين 1720م و1727م:

جاءت الأوامر لضباط البحرية منذ تاريخ 06جويلية1716م ثم في 08جوان 1721م وكذا في23جوان1722م بالعمل على تطويق الشواطئ البحرية المغربية،وعمد الضابط نانتي دي كاسار (Nantais de cassard)لتقدم مشروع نزول فرنسي على الشواطئ المغربية،وأعطيت له الإمكانيات في هذا الشأن منها الفرقاطة "La seine"التي تحمل 50مدفعا ،ومجموعة من الزوارق وعشرة شالوبات،إتجهت هذه الحملة إلى جبل طارق،ولكنها فشلت بسبب التواجد الإسباني الكثيف في هذه المنطقة ،وعلى مشارف الشواطئ المغربية حول سبته لمجابهة التعزيزات التي يرابط بها

---

(1)دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع السابق، السلسلة02،فرنسا،مج05،ص215.

)2(يونيس نكروف : المرجع السابق،ص328.

)3(ليلى مزيان:سلا وقراصنتها من1666-1727م،ميناء للقراصنة المغاربة في القرن 17م. . . Laila Maziane:**Salé et ses Corsaires 1666/1727,un port de course Marocain au 17 éme siecles**,pub.univ havre,2007,p252.

)4(يونس نكروف:المرجع السابق،ص358.

السلطان المغربي[5]. بالإضافة إلى هذه الحملات ،إستخدمت فرنسا قراصنتها في توجيه ضـــرباتهم على المغرب مثل "جوس كونستون"(Josse Constant) في01 سبتمبر 1681م.

ب – الحملة المغربية على الجزائر والدور الفرنسي فيها:

وفي هذا السياق لا بد لنا من طرح ظروف الحملة المغربية على الجزائر،ودور الدول الأوروبية منها،وخاصة فرنسا،حيث أنه كانت هناك محاولات سابقة لمحمد بن الشريف،في توسعه بنـــواحي المغرب، فقد إتجه في سنة 1064هـــ/1653م، إلى نواحي تلمسان من الأراضي الجزائريـــة،وهاجم القبائل المقيمة في هذه المناطق،فتصدى له "عثمان باشا" الحاكم العثماني بالجزائر،وبعد مراســـلات ومفاوضات دبلوماسية أدت إلى إتفاق على رسم الحدود[1]،وجـــاء في رد الشـــريف المغـــربي: «...وإنني أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد اليوم لبلادكم ولا لرعيتكم بسوء... لا قطعـــت وادي التافنة إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله...»[2].

وفي عهد مولاي الرشيد (1664م – 1672م)،إستعمل هذا الأخير قبائل جزائرية كبني عامر وسويد وغيرهم في عملية توسعه في شرق المغرب،كما قام بنفي الخضرغيلان وبعض الدلائيين إلى تلمسان ،وجدد إتفاق أخيه، بإحترام الحدود الجزائرية المغربية[3] .

وخلال هذه الحقبة من بداية الدولة العلوية – وهي تشهد عوامل البناء– إلا أن العلاقـــات الفرنسية المغربية،بقيت على حالها .

وأثناء حكم المولى إسماعيل (1672م/1727م)،تميزت العلاقات الجزائرية المغربية،بنوع من الحذر ،الذي غذته الأطماع الإسماعيلية في التوسع شرقا على حساب الأراضي الجزائريـــة،ونقض المعاهدات التي أبرمها أخويه من قبله . تميزت أيامه بجملة من المنازعـــات والإعتـــداءات علـــى الجزائر،وثقت في المصادر والمراجع المغربية والفرنسية،وقد إزداد حذر المولى إسماعيل من الأتـــراك العثمانيين في الجزائر لما رآهم يقفون إلى جانب تمرد ابن أخيه "الأمير محرز "بجنوب المغرب،وتأكد له وجود إتفاق بينهما، يهدف إلى كسر شوكة المولى إسماعيل[4].

---

5) (Paul Masson:**Histoire Des Etablissements et des Commerse Francais dans l' afriqu Barbaresque(1560-1793)Alger,Tunnis,Tripoli,Maroc**,Hachette,paris1903,pp351,353.

1(محمد بن عبد السلام الرباطي: المرجع السابق،ص107.

2(محمد بن الطيب القادري:المرجع السابق ،ص134.

3(محمد بن عبد السلام الرباطي:المرجع السابق،ص ص148– 151،ثم أنظر عبد الله العمراني:المرجع السابق،ص300.

4(عبد الهادي التازي: المرجع السابق ،ص16.

وإثر الأزمة الداخلية التي عمت الجزائر،وتأزم الوضع الداخلي بها ،وتصعيد الحملات الفرنسية عليها في العقد الثامن من القرن 18م،ومقتل الباشا "علي الحاج حسين باشا" أغار المولى إسماعيل على تلمسان،بتحريض من الإنجليز ،الذين أزعجتهم المعاهدة المئوية بين الجزائر وفرنسا سنة1689م،في هذه الفترة الحرجة،كان الجيش الجزائري مشغولا في حربه مع تونس خلال 1692م وقد إستغل الوضع وهجم على الأراضي الجزائرية)1(.

إستفحل الإعتداء الإسماعيلي على الأراضي الجزائرية ،إلى جنوب تلمسان ،وهاجم قبائل حميان وبني عامر ومنطقة الشلف،ثم نزل جنوبا إلى منطقة العمور،ووصل إلى عين ماضي،والغاسول بجنوب الجزائر)2(.أمام هذا الوضع الخطير كان لزاما على "الداي شعبان"، أن يقوم بتجييش قوة لدحر هذا الإعتداء المغربي على التراب الجزائري ،حيث جاء في رسالة بعثها إلى الوزير الفرنسي"بونتشارترين"(Ponchantrain)،بتاريخ 21مارس 1692م وأخرى إلى لويس الرابع عشر،مؤرخة في 01سبتمبر1694م والتي جاء فيها: «... لقد قصد القلعة التي هي لنا"كريستل قرب وهران" حوالي 500 فارس مع 10000من أشجع جنودنا،تصحبهم أفتك المدافع وكل الأسلحةوالدخائر والمؤن...وعن طريق البر أرسلنا 5000من الفرسان و30000 من الأهالي بقيادة أمرائهم،ولن يمضي عشرون يوما حتى أخرج أنا لألتحق بهم...»)3(.

ولما سمع مولاي إسماعيل بمايعده الداي شعبان ،طلب العفو والأمان،فلم يقبل الداي منه ذلك فسارع إلى لقائه في 04 جويلية 1992م، في معركة على الضفة الشمالية لنهر ملوية،فأنهزم المغاربة فيها، وواصل الداي زحفه حتى أقترب من فاس،فوجد في طريقه جيشا بقيادة السلطان نفسه،وبعد تدخل علماء من الجانبين،هدأ الجو،وحصل الإتفاق وتعهد السلطان المغربي بإحترام الحدود)4(.

)1(أبو العباس أحمد الناصري : المرجع السابق ،ص ص59- 69 .

)2(أنظر مولاي بلحميسي:**إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان**، في مجلة الدراسات التاريخية،العدد 02،جامعة الجزائر 1986م،ص ص،39-51.

)3(أنظر الرسائل التي أرسلها الداي شعبان إلى فرنسا،بتارخ 21مارس1692م و01 سبتمبر 1694م،في أوجان بلانتي Eugéne Plantet : **correspondance des deys d'alger avec la cour de France(1579/1833)**t01,paris,p388,381,418.

)4(Grammond(H de)**:un épisode déplomatique a alger au xviii e siécles,paris1882**,pp130 ,138.

وبعد ضرب الخيام،وصل السلطان المغربي،ويداه مكتوفتان،وراء ظهره إشعارا بالإستسلام،وقبل الأرض ثلاث مرات أمام الداي وأضاف قائلا: « ...أنت الخنجر وأنا اللحم فأقطع إن شئت... » غير أن الداي أمتنع عن كل إذاية و لم ينل السلطان المغربي أي مكروه)5(.

أرسل السلطان إلى الجزائر ولده مولاي عبد الملك ،برفقة كاتبه وقائده ومفتيه،وعدد من التجار بلغوا 120 شخصية لأبرام الصلح،ومع كل ماحصل ،إلا أن السلطان لم يرتدع وعاود الكرة مرة أخرى، عندما أوعز لابنه مولاي زيدان ،فأغار على مدينة معسكر،بعدما إتفق مع باي تونس على ذلك(1).

تتجددت الإشتباكات في سنة 1700م، وتوترت العلاقات وتأزمت بينهما، فهاهو القنصل الفرنسي في" سلا"يصرح في رسالة ذكر فيها : أن هناك إشتباك مغربي جزائري(2)،ويؤكد هذه الأحداث رسالة داي الجزائر إلى الوزير الفرنسي بتاريخ 20ماي 1701م،يخبره بأن(3) "الداي مصطفى" قد تغلب على جيش السلطان المغربي مولاي إسماعيل في وادي الجديدة ،في 20ذي القعدة 1112هـ/28أفريل 1701م.

ورغم الدور الفرنسي الذي كان يكتنفه الغموض،قد سعت فرنسا جاهدة لمعرفة كل الأخبار عن مايجري بين الجزائر والمغرب،عبر قناصلها هنا وهناك، ونحن ندرك محاولاتها و مشاريعها السلمية مع المغرب، لجره للتحالف ضد الجزائر،وقد بينت ذلك الإتفاقيات التي وقعها الطرفان وتبين بما لا يدع إلى الشك التنسيق المشترك بينهما ضد الجزائر حتى وإن بدى دلك يعاكس سياسة المولى إسماعيل في عدم الإستعانة بهؤلاء ضد الجارة الجزائر.

)5(Léon Galibart**:l'algerie Ancienne et Moderne depuis les premiers Etablissement des Carthaginois j'usqua la prise de la zmalah d'abdelkader**,furn et- cie,paris1844,p233,134

(1) عبد الهادي التازي: المرجع السابق ،ص21.

(2) نفسه.

(3) رسالة الداي شعبان إلى لويس الرابع عشر،بتارخ 01 سبتمبر 1694م، أنظر إيجين بلانتي: المرجع السابق ، ص418.

المبحث الثاني

الجهاد البحري المغربي والقرصنة المتبادلة

كان الجهاد البحري جزءا هاما من حركية ذلك الصراع بين ملك فرنسا لويس الرابع عشر وملك الدولة العلوية الأولى، ذلك أن الجهاد البحري كانت تقابله في الضفة الأخرى قرصنة أوروبية ومنها الفرنسية ،وبما أن هذه الظاهرة كانت منتشرة بشكل واسع في هذه الحقبة الزمنية،فلابد أن نبين بأنها ظاهرة محورية في العلاقات الدولية،وبين الدولتين خاصة،عملت على تنشيط العلاقات الدبلوماسية وإبرام المعاهدات والإتفاقيات وتبادل السفراء،هدفت كلها لمعالجة هذه القضية بوسائل سلمية،وتخفيف التوتر بين الأطراف،فهي أساس توتر العلاقات بين الدولتين[1].

أ- دور مدينة سلا:

فجمهورية" سلا ""أساس الجهاد البحري ،أو القرصنة كما يسمونها الغربيين تتحكم في المرافئ المغربية،على المحيط الأطلسي وتتواجد بها الكثير من العمارات الحربية من قاليرات وفرقاطات وغيرها والتي تحمل من 06 إلى 18 مدفع [2] .

كدلك أدّى موقع مدينة سلا دورا مهما في الجهاد البحري المغربي على عهد مولاي إسماعيل،فهي لا تبعد كثيرا عن مضيق جبل طارق،وتوجد بالقرب من مفترق الطرق البحرية التي تمر عبر المحيط الأطلسي،بمحاذاة السواحل المغربية،وكانت هذه الطرق هي المسالك الرئيسية للأساطيل الأورةبية الراغبة في الذهاب نحو الشرق أو العالم الجديد.

أما فيما يخص القرصنة الفرنسية،والتي تعتمد على بعض المرافئ مثل "دانكرك"وميناء مرسيليا وطولون ومن أهم هؤلاء القراصنة "جون بارت" الذي قام بعمليات خطف وقرصنة للكثير من المغاربة والجزائريين[3].فهذا القرصان قد إتجه على متن السفينة"Arlequine" والتي تحمل 12مدفع و"Vipére" التي يترأسها بنفسه أبحرت من ميناء "دانكرك""Dunkerque"بتاريخ 17أفريل1681م وفي مسيرة هذه العمارات إلتقى مع قراصنة سلاويين على متن سفينتين تحملان من 20إلى 24 مدفع ،وبعد ملاحقتهما توجهت أحداهما فأحتمت ببارجة بحرية إنكليزية،وتوجهت الأخرى إلى

---

(1) رابح سعيد:المرجع السابق،ص38.

(2) إيجين بلانتي:المرجع السابق،ص04.

3) (Adolphe Badin**:Jean Bart**,Hachette,paris1867,p200 .

الشواطئ البرتغالية في منطقة" الجرف"(Algarve) أين تم أسرهم،ومن بين هؤلاء إثني عشرة رجلا من خاصة مدينة" سلا" ومنهم ابن حاكمها .

وكون القرصنة تقدم دخلا إقتصاديا قويا فقد كانت أداة تتحكم فيها القادة،مثلما كان في عهد المولى إسماعيل الذي كانت هذه البيئة الإقتصادية تعطي له أكثر من 10% من غنائمها[1].

فمجاهدو سلا قد عملوا لمدة قرن من الزمن ،على مباشرة إقتصادهم على الغنائم البحرية،كمدخل أساسي لها،تباع في الموانئ المغربية أو في الجزائر ،حيث تِؤشر الوثائق أنه من سنة 1630م إلى سنة 1650م إحتوت على 70غنيمة فرنسية في مختلف الموانئ المغربية[2].

وفي سنة واحدة من جويلية 1668م إلى أوت 1669م صادر السلاويون 23 غنيمة منها أربعة مملوكة لرعايا فرنسيين وفي سنة 1682م بين سبتمبر ونهاية نوفمبر تم أسر 30سفينة في مختلف الموانئ المغربية،فمن 31غنيمة بحرية مابين 1668م و1688م كان الإستيلاء عليها مابين شهري مارس وأكتوبر ،فغنائم الرايس ابن عائشة مابين 1686م و1698م،قد حصل بين مارس وأكتوبر على 70%من غنائمه[3].

وإذا رأينا إلى العمارات البحرية للسلاويين،والمجاهدين البحريين الآخرين نجد أنها تعود في مجموعها من فرقاطات محجوزة من الأوروبيين "Frégates"ولها مسميات مختلفة منها "الملكية" أو "الهلال" و"الحصان الأزرق ثم "الشمس" وغيرها وتحمل رايات مختلفة ،كالهلال والنجوم والزهور،ولا تتعدى مقدرة الإبتعاد من المرافئ في أحسن الأحوال من 05إلى 600ميل بحري شمالا أو جنوبا،والوقت المستغرق لذلك يستغرق من 50إلى 60يوما[4].

ب- أهم رياس البحر المغاربة:

ونعني بهم القيادات البحر أو رياس البحر في كل من "سلا" والمناطق البحرية المغربية، متفرقة،حيث ينحدر أكثرهم من الأعلاج،ثم إنظم إليهم رياس بحر من أصل "مورسكي"هدفهم الإنتقام،ثم إزداد العنصر المغربي[5] في نهاية القرن 17م، و من هؤلاء الرياس نذكر:

)1(محمد علي عامر ومحمد خير فارس:المرجع السابغ،ص96.

)2(دوكاستري: م.م.ت.م ، السلسلة 01،فرنسا،مج03،ص364.

)3(ليلى مزيان : المرجع السابق ، ص159.

)4(دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع السابق، السلسلة 02،فرنسا،مج01،ص378،وأنظركذلك ،مج04، ص399.

(5)ليلى مزيان :المرجع السابق ،ص171.

1- أبو عمار علي بودي : المدعوكاميشا"Camicha"حاج إبراهيم ،كان في أوت 1671م يرأس سفينة تحمل 14 مدفعا و07راميات أحجار و75رجلامن الطاقم.

2- بن عائشة: لم يتوان في الإبحار في المحيط،ففي سنة 1693م كان يقود سفينة بها 24 مدفعا وطاقم رجالي من 180بحار ،وجاء بعده" عبد الرحمن" الذي قدم دعما لابن عائشة وغنما فيها السفينة الفرنسية "l'hirondelle"وقائدها "Capitaine Mathieu croix"بين جزيرتي مادیرة"Madère" والأزور"Les Açores "والتي تحمل سلعا بقيمة قدرت بـ 80000 ليرة، وتمّ إستخدام السفينة في القرصنة من طرف ابن عبد الله بن عائشة"محمد رايس"[1].

3- الرايس معيز:كان على رأس سفينة قرصانية تحمل 09 مدافعا و70 رجلا من الطاقم ،إستولى في 06جوان 1691م على الفرقاطة "Pinque" الفرنسية محملة بالصابون،وقع في الأسر من طرف "Jean D'estrée"في سنة 1693م،وطلب مولاي إسماعيل مبادلته ،وعارض القنصل "جون بابتيست إيستيل" عملية التبادل،وراسل الوزير الفرنسي الأول "بونتشرتران"بقوله:÷... أتوجه إلى عدالتكم أن تتركوا هذا المسمى"معيز"يموت في العذاب،وأن لا تطلقوا سراحه...×[2]،يذكر أنه أطلق سراحه،حيث جاء في تصريح لـ "لويس الرابع عشر"بشأن ذلك:÷.. من الآن فصاعدا لا يكون إستبدال القادة إلا بقادة موازين لهم..×[3].

4- الرايس محمد الحاج قنديل: علج من أصل فرنسي،أرسل ثلاثة مرات إلى مراكز التجديف بمرسيليا،إستبدل ضمن تبادل الأسرى ،وكان من الذين أسروا في سنة 1681م،من طرف القرصان الفرنسي" جون بارث".قاد هذا الرجل فرقاطة من صنع محلي محمولة بـ 06 مدافع و06راجمات أحجار،وعلى متنها 120 رجلا بحار،تابعة لمولاي إسماعيل،ثم أعيد أسره من جديد في 12 ماي 1695م،من طرف (Montazin)،على متن السفينة " Le Gloriaux Saint Joseph"،ليأخذ حريته سنة 1713م وقاد سفينة على متنها 20مدفعا و14 راجمات أحجار و100رجل[4].

وقد حاول المولى إسماعيل توظيف هذا النشاط وتسخيره للضغط على الدول الأوروبية حتى تبيع له العدة والأسلحة،كما يتبين ذلك من الوشائق الرسمية.ففي إحدى الرسائل التي بعثها هذا السلطان إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر سنة 1684منقرأ:

---

(1)ليلى مزيان :المرجع السابق ،ص183.

(2) دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع السابق، السلسلة 02،فرنسا،مج06،ص234.

(3)شارل بانز: المرجع السابق،ص223.

(4)نفسه،ص183.

÷...من أمير المومنين...الشريف الحسني أيده الله...إلى عظيم الروم لويس الرابع عشر.
أما بعد، فاعلم أن الذي ظهر لنا أن ليس عندك قول صحيح...فالإنكليز تكلموا معنا كلمة وفبضنا ووفوا بها.فحين ذهب خديمنا لبلادهم...فرحوا به وأكرموه وبروا به وأتى من عندهم بعشر مائة مكحلة وستة عشر مائة قنطار من البارود...ثم بعد ذلك،قدم لعلي مقامنا صاحبكم انبشدور وأتانا من الخرو مع بالطو الحرير.وهل نحن ممن يعجبه ذلك ويسره؟ فنحن معشر العرب لا نعرف إلا الصحيح...× [1].

وإستطاع المولى إسماعيل أن يجعل من القرصنة أداة ضغط على فرنسا،بفضل رياس مهرة كإبن عائشة والحاكم وفنيش وقنديل،حيث من الملاحظ أن الأسطول المغربي القليل العدة،كان يسترعي إهتمام القناصل والسفراء الذين كانوا يعملون على رصد تقارير عن عدد سفنه وعدد المدافع التي تتوفر عليها المراكب الجهادية،وكانوا يذكرون أسماء قواد هذا الأسطول. [2]

وهذا "روجي كواندرو"(Roger Coindreau) الذي أعتبر القرصنة السلاوية والمغربية على العموم،بأنها آلة تعكس الدمار على الأوروبيين،وتفرز معاناة التجارالمسيحيين ،ورغم ذلك ظل الجهاد البحري أو القرصنة كما يسمونها ممارسة عادية في البحر والمحيط،ويصعب فصلها عن الظروف العامة التي سادت ضفتي البحر عبر مراحله التاريخية. [3]

وينبغي القول أن الدولة الأوروبية سعت جاهدة لضرب وخنق السفن المغربية،حيث إستعملت كل الوسائل لأجل ذلك، التجسس والمطاردة والحصار،وتسبب ذلك في إلحاق أضرار جسيمة على هذه البحرية،فركزوا على الأرض بشكل كبير وغيبوا البحر ،حت قال المولى إسماعيل

---

(1) دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع السابق، السلسلة 02،فرنسا،مج02،ص434.

(2) خصصت الكتابة الأوروبية لظاهرة القرصنة المغربية حيزا هاما ،كغرار مع فعلته مع البحرية الجزائرية،وأستعملت فيها العبارات القاسية ،الخارجين عن القانون وقطاع الطرق وعش اللصوصية،ووكر القرصنة والنهب المتسارع،حيث ينطلقون من خلفيات صليبية وحاقدة على كل ما له صلة بشمال إفريقيا،التي عبروا عنها بالباربارياسك،وهو مصطلح يثير نوعا من الشبهة في التسمية، فكل كتاباتهم وحتى اليوم نرى بعضهم يعيد نفس الأحكام ويصف هذه المنطقة بنفس المصطلحات التي أصطنعت زمن التصادم بين الضفتين،ورغم ذلك نجد كتابات جريئة وحديثة تعيد الإعتبار لشمال إفريقيا كلها والمغرب منها،حيث أظهرت القرصنة كظاهرة كونية لا تتوقف على ضفة دون أخرى أو على جنس دون آخر أو على دين دون آخر،وأنها ضاربة في أعماق التاريخ، أنظر، Fernand Braudel: **la mediterrannée et le monde méditerraéen à l'époque de philippe 02**,vol 02,A.collin,paris 1949,pp 191,192.

(3) روجي كواندرو:المرجع السابق،ص 14.

قولته،والتي يصف فيها البحر: ÷ . . . بأن الله وهب البر للمسلمين وترك البحر لأهل الوثنية،لأن العرب تحسن ركوب الخيل والإبل لا السفن في البحر... ×[1]

(1) السلطان المولى عبد الحفيظ: **داء العطب قديم**، ضبطه وحققه محمد الراضي كنون الإدريسي الحسن ، مخطوط الخزانة الحسنيةبالرباط، تحت رقم 11400، غير منشور.

المبحث الثالث

مسائل الأسرى بين الدولتين

يعتبر موضوع الأسرى من بين أهم القضايا التي طبعت أكثر من غيرها العلاقات بين المغرب وفرنسا،وإزدادت خطورة هذه القضية بحكم طبيعة الظرفية التاريخية التي هيمنت على المنطقة خلال القرنين 17م و18م. وبتفاقم التحرشات الفرنسية على شواطئ المغرب،وتصاعد وتيرة الجهاد البحري،ويمكن القول أن ذلك يشكل عنصرا أساسيا في تنشيط التواصل الدبلوماسي بينهما.

ولمعالجة هذا الموضوع لابد لنا أن نسرد مظاهر ذلك بين البلدين ،المغرب وفرنسا:

1- الأسرى المغاربة في فرنسا:

لقد كانت حاجة الأسطول الفرنسي لسواعد المغاربة كمجدفين كبيرة للغاية،وللإتيان على حركية الأسرى المغاربة في الأراضي الفرنسية،يمكن لنا التحدث عن وقوعهم في الأسر،وحياتهم وعيشهم في ذلك الجحيم ،وطرق إفتداءهم.

أ)-الوقوع في الأسر:

يجدر الإنتباه إلى أن ضحايا العمليات القرصانية المتواجدين في فرنسا، لم يتم أسر غالبيتهم من طرف مراكب فرنسية،بل ساهمت في العملية سفن دول أوروبية أخرى،سلمتهم للدولة المعنية،حيث أشترى الفرنسيون 33 أسير مغربي من الإنكليز في سنة 1681م[1].

ويتم شراؤهم من ليفورن "Livourne"أو مالطا"Malte"،عن طريق قناصلهم في هذه المدن كما حدث بالنسبة للوزير الفرنسي "بابتيست كولبير" الذي بعث برسالة إلى قناصله في هذه المناطق بتاريخ 16ديسمبر 1686م،يدعوهم لشراء الأسرى المسلمين،وتكفل الموكلين بالموانئ الفرنسية بشراء أعداد أخرى كما حدث بالنسبة لمأمور ميناء مرسيليا في 05أوت 1687م من شراء أسرى مسلمين من الإنكليز.[2]

ومن ذلك الأسر المباشر ،كما حدث في سنة 1681م حين أسرت البحرية الفرنسية،أكثر من 300 مغربي أغلبهم من "سلا" بعد أن كانوا في طريقهم إلى الحج،أرسلوا إلى مرسيليا ومن بينهم شخصيات مرموقة ومسنة [3].وكان من بين الذين يعملون على شراء الأسرى "أنطوان ماري" ابن

---

(1) إدريس أبو إدريس:**الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي**،الندوة الدولية المقامة من أيام03-31ماي و1و4جوان1997م،سلا،المغرب،منشورات جمعية سلا،المغرب،ص310 .

(Paul Masson**:les Galéres de Frances**,hachette,paris,p281 2)

(3)شارل بانز،المرجع السابق،ص97.

الوزير كولبير،الذي كلف بمهمة شراء الأسرى المسلمين من مالطا[1]،ففي 1662م وهي السنة التي أتت بعد تولي لويس الرابع عشر الحكم في البلاد وتولية الوزير "كولبير" أمر البحرية،كانت القطع البحرية لا تتعدى الستة(06) ،غير قادرة على إجتياز معظم البحار الطويلة مع وجود 1655رجلا للتجديف،وبعد ثلاثين سنة مابين (1690م–1700م)قفزت البحرية الفرنسية إلى 40 وحدة بحرية و18000رجل منهم 12000أسير للتجديف،ومن الملاحظ أنه ما بين (1680م–1700م)كان بفرنسا 12000أسير مقسمين بين "مرسيليا" التي يوجد بها 1329 أسير مسلم ، و"دانكرك" التي يوجد بها 334 أسير مسلم[2].

ب) العيش في الأسر:

لقد عانى الأسرى المغاربة كغيرهم من الأسرى المسلمين من ويلات ظروف العيش في الأسر الفرنسي،بدأ بتنقلهم إلى المراكز الرئيسية وهي في الغالب عبارة عن الموانئ التالية(Marseille Brest-Toulon-Dunkerque) والتي ستكون مسرحا للمعاملات اللاإنسانية.

عنما يتم تسفيرهم إلى مدينة أخرى عبر البر،يتم ربطهم بالسلاسل من أعناقهم ويسيرون مثنى مثنى بإنتظام في صف طويل ،وتوضع سلسلة طويلة في الحلقات الموجودة بسلسلة الأعناق،فيصبح الكل مربوط بسلسلة واحدة،ويكون العدد في القافلة ما بين 200 إلى 500أسير[3].

يشير السجل الخاص بالأسرى المشتغلين بالتجديف أن 44 % من هؤلاء يموتون بالمعاملات القاسية،والبؤس والأمراض،كما أن 71% منهم يموتون في السنوات الثلاثة الأولى،خاصة وأن الظروف الصعبة المختلفة بين بلدانهم الأصلية والوسط الجديد مختلف تماما[4].

كل سفينة كانت تضم 300 مجدف ،يعيشون لمدة شهرين إلى ثلاثة أشهر ،وهم مكدسين في مساحة لا تتعدى 50م في الطول و13م في العرض،وفي مترين في العمق،وحيث نجد 25 مجدفا في اليسار ومثلهم في اليمين،في مقعد طولي لا يتجاوز المترين والنصف،عليه خمسة مجدفين مقيدين يقومون بتحريك مجداف طوله 16 مترا ووزنه 130كيلوغرام[5].

---

(1)هنري ميشولان: **الدولة الكلاسيكية،رؤية على الفكر السياسي لفرنسا في النصف الثاني من القرن17م**. . . . . .
Henry Méchoulan:**L'etat Classique,Regard sur la pensée Politique de la France dans le seconde 17 émes siecles**.ed.vrin,paris 1996,p325.

(2)نفسه،ص317.

(3) إدريس أبو إدريس:المرجع السابق ،ص310 .

(4) نفسه .

(5)هنري ميشولان : المرجع السابق،ص324.

يستمر التجديف دون إنقطاع حسب الظروف،حيث يصل أحيانا إلى 12 ساعة،يصاحبه إستعمال السوط من طرف جلادين يمنح لهم من الإمتيازات على قدر قسوتهم ،و من النادر أن يستحمل شخص من 10 إلى 20 جلدة[1]،كماكان المسلمون يواجهون ذلك الوضع بترردد الله أكبر،الله أكبر يأملون في الخلاص ذات يوم .

كان نظام الأكل قاسيا ،يتكون من وجبة يومية من قطع من الخبز اليابس وشيء من الفول السيء الطهي والصلب وزيت وملح[2]،أما بالنسبة للألبسة فقد كان يعطى لهم ألبسة حمراء كل سنة ، تتكون من قميص وسروالين قصيرين وجوارب وسترة ،ويحدث أن لا يتم تغيير هذه الملابس،وتوزع ثياب المتوفين، وغالبا ما تكون بالية،هذا بالإضافة على إرغام المسلمين على الإرتداد عن دينهم،أما الهروب من هذا الجحيم كان مستحيلا ،والهارب غالبا ما يتم القبض عليه بسرعة،نظرا لملابسه الحمراء وللسلاسل المكبلة في رجليه،وكان العقاب بعد القبض هو قطع الأنف والأذنين،ولكثافة المراقبة والحراسة المشددة،تم تسجيل حالات كثيرة لفرار المغاربة،فمثلا حالة فرار أسيرين مغربيين باءتا الفشل ،أولاهما المدعو،إبراهيم الشاوش والذي نفذ فيه حكم قطع الأذنين وجذع الأنف سنة 1690م،ثم حالة أسير من فاس عاد إلى المغرب مقطوع الأنف والأذنين،وأستاء السلطان أيما إستياء من هذا الفعل.[3]

ج)- جهود إفتكاك الأسرى:

عمد مولاي الرشيد على إستخلاص رعاياه بالرغم من ظروفه الداخلية،ولما جاء المولى إسماعيل إزدادت مشكلة الأسرى بين البلدين،وأستفحلت،حيث إهتم بها، وجعل منها كامل إهتمامه،من خلال المفاوضات مع سفراء فرنسا في المغرب،وفي ذلك قال للسفير: "سانت أمانس" سنة 1682م÷... لوحملت لي أسيرا واحدا من رعيتي الموجودين عندكم بفرنسا لفضلته على كل أموال العالم...×[4] ، ورسائل المولى إسماعيل إلى لويس الرابع عشر كثيرة،من ذلك رسالته المؤرخة في

---

(1)جون مارتاي: مذكرات مجذف. . . . Jean Marteille:**Mémoire d'un Galerien**,paris 1928,p208.

(2)نفسه، ص275.

(3)نفسه، ص329.

(4)يوسف نكروف : المرجع السابق،ص329.

14ديسمبر 1682م بشأن تحرير الأسرى المغاربة،قدمها القائد علي بن عبد الله إلى السفير "سانت أماند" أثناء رجوعه إلى وطنه[1].

عمد إلى إرسال سفراءه ،بدءا بالحاج تميم،التي كللت سفارته بالتوقيع على إتفاقية سلام في 29جانفي 1682م،ومن بين بنودها ما ينص على إفتداء الأسرى من كلا الجانبين بمبلغ 300جنيه،تمّ على إثرها تبادل 85 أسيرا[2]،وعند قفول السفير من مهمته بباريس راجعا ،عرج على طريق مرسيليا لتفقد أسرى بلده،وفي طريقه إليها أرسل الملك لويس الرابع عشر رسالة مستعجلة إلى"برودار(Brodart)،مأمور ميناء مرسيليا يحضه على الحيلولة دون رؤية السفير لأسرى بلده،ثم رجع "محمد تميم"الكرة سنة 1685م،في قضية الأسير "الحاج محمد التاج"الذي أسره "إبراهام ديكيسن"(Abraham Duquesne) في سنة 1684م،مع 26 من طاقم سفينته،وضموا إلى ميناء طولون[3].

وفي هذا الشأن أرسل المولى إسماعيل رسالة مؤرخة في 09 شعبان 1095هـ/21جويلية 1684م،بشأن" عبد الحق معنينو" الذي أسر في جوان 1681م وأطلق سراحه في مارس 1683م،جاء فيها:÷... فإنني ضمن هذا الكتاب ...وحيث أن خديمنا "الحاج علي معنينو"على سلا،قد أسر له ولده،مع كثير من المغاربة،وفي زمن الهدنة بيننا،فهو يطلب مني أن يذهب إليكم من أجل التوسط لابنه،ولكل المغاربة المأسورين معه....فلا يطلب هؤلاء منكم ...إلا أن تطلق سراح أبنائهم،وانت تعرف ماتعني حالة الأباء،وأبناءهم في الأسر...× [4] .ثم رسالة أخرى مؤرخة في22ربيع الثاني 1093هـ/ 29 أفريل1682م بعثها الأسرى المغاربة بمرسيليا إلى المولى إسماعيل،جاء فيها: ÷...نعلم أن لشفقتكم بنا أنكم بعثتم يامولاي سفيركم إلى ملك فرنسا،لكن هؤلاء الكلاب،ما إن علموا بالأمر حتى أرسلونا إلى البحر،ما عدا العجزة وغير القادرين على التجديف،والذين تم إرسالهم إلى السجن غير بعيد عن الميناء ،كي لا يعرف السفير مكانهم،لقد أستغفلوه،وقلبوا له الحقائق و لم يهنأ لهم بال حتى غادر فرنسا دون أدنى خبر عن معاناتنا... × [5].

---

(1)بوشطة بوعسرية:باب منصور باريس. . . . . Boucheta Bouasria:**Bab Mansour paris**,ed.eddif,paris 1999,p43.

(2) عبد الرحمن بن زيدان: المرجع السابق ،ص195.

(3)يوسف نكروف : المرجع السابق،ص ص143، 629.

(4) بوشطة بوعسرية: المرجع السابق ،ص43.

(5)يونس نكروف : المرجع السابق،ص692.

ثم رسالة عبد الله بن عائشة إلى الأسرى المغاربة في مرسيليا،ومنها: ÷...إلى كافة الأسارى المسلمين بمرسيلية،أخص بالذكر منهم محمد بشير...رعاكم الله بعين رعايته،وأسبل علينا و عليكم رداء ستره،أمين...إنني قد بعثني مولانا أمير المؤمنين "باشدورا"على شأن فدائكم وفداء غيركم من المسلمين،فلما بلغنا هذه البلاد وتلاقينا مع ملك أفرنسية ،قال لنا تكلم مع الوزراء فيما جئت به إلينا... وقالوا لنا منا إلا رأس مسلما برأس نصراني،فقلت لهم إنني بعثني سيدي نصره الله فيما ذكرت لكم فقط... فقلت ننظر في الأسارى الذين نحتاج منهم، نأخذ منكم رأسا برأس كما ذكرتم ،فقالوا أيضا لا نقبل منك هذا ،وإنما نجعل لكل أسير 150 ريالا ،أنت تفدي ونحن نفدي...فأمتنعوا من هذا كله ،وسقطنا في أمور الصلح وغيره...فلا تيأسوا من هذا الأمر فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون... ×[1].

2- الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى 1672م-1727م :

في إطار ذلك التصادم بين القوى المسيحية الأوروبية وحركية الجهاد البحري التي يعتمد عليها أغلب الدول المغاربية في القرنين 17م و18م،والتي تخللتها إنعكاسات راح ضحيتها عشرات الألاف من الأسرى من الجانبين،ومن هؤلاء نجد الأسرى الفرنسيين الذين كتبت في معاناتهم ألاف الكتب،وأنشئت عشرات المنظمات لغاية إفتدائهم،ولتتبع هذه القضية علينا تحديد ذلك في النقاط التالية:

أ- ظروف أسر الأرقاء الفرنسيين في المغرب مابين 1672م-1727م:

في غالب الأحيان تتم عمليات أسرالفرنسيين عن طريقتين هما الشراء والأسر في البحر أو البر،حيث تتحدث الكثير من المصادر على ظروف شراء الأرقاء الفرنسيين في الموانئ المغاربية الأخرى ونقلهم إلى المغرب،وخاصة في فاس وتيطوان،ففي رسالة وجهها قنصل فرنسا في قادش بإسبانيا مؤرخة في 05 سبتمبر 1688م،السيد "يير دي كاتالان"(Pierre de Catalan)إلى وزير البحرية الفرنسي"جون بابتيست كولبير"(Jean Baptiste Colbert)جاء فيها : «...لقد أبحر الخميس الماضي القبطان "شاطو رونو"ومعه أربعة عمارات بحرية لملاحقة قراصنة من الجزائر أسروا 160فرنسي وهولندي ،ويتم بيعهم في موقادور...»[2].وفي رسالة أخرى مرسلة من نفس القنصل إلى نفس الوزير مؤرخة في 8نوفمبر 1688م يقول فيها: «...حسب ركاب سفينة فرنسية وصلوا

(1) (Magali Morsy:**Thomas Pellow,une lecture du Maroc du 18e siecles**,paris 1983,p21.

(2) أنظر "ميزين"مع "بتروتان دبمون"، المرجع السابق ، المجموعة رقم (AE/B/I/213/FOL:156-157).

إلى قادش ،بتاريخ 04نوفمبر 1688م،فإنه يوجد في "أسفي" أربعة سفن للقراصنة من الجزائـــر... أسروا 13 قطعة بحرية تجارية تابعة للفرنسيين عليها حوالي 200 رجل من طاقمها ...أرسل بعضهم إلى الجزائر حوالي60 شخص وأخد ملك المغرب منهم60 أسير ،وبيع الأخرون في الأسواق..»[1] .

وتبرز طرق الأسر على متن البحر من طرف المغاربة أنفسهم،فقائد البحر عبـــد الله بـــن عائشة ،قام في 12جـــوان 1687م بأســـر الســـفن "Non-Pareille"و " Notre Dame de Bomport"و"La Françoise" ثم أسر "Saint Esprit"و"Saint Marie" ثم "Saint Anne" على متنهم حوالي 55 بحار[2].

وفي يوم 18جوان 1688م،تمّ أسر 35 فرنسيا ،حث تشير بعض الوثـــائق إلى أن الأســـرى الفرنسيين قد كانوا في إزدياد منذ عهد المولى الرشيد وبداية المولى إسماعيل،فهذا الأب "لويس دي سان أوغستين" الذي كان يعالج الأسرى، يقدر عدد الأسرى بـــ 1200أســـير،منهم 20%مـــن الفرنسيين،وفي سنة 1687م بلغ عدد الأسرى الفرنسيين أربعمائة أسير[3].

وبعد أربعة سنوات نزل العدد إلى 286 أسير،حسب إحصاء مؤرخ في 12 فيفـــري1691م ثم قفز الرقم إلى 240 أسير سنة 1717م،ونزل إلى 110 أسير سنة1714،ثم صعد العدد إلى 130 أســـير سنة1727[4].

ب- ظروف عيشهم :

كان الأسرى الفرنسيون مقسمين في المدن المغربية،وحين جاء السلطان مولاي إسماعيل والذي جعل مسائل الأرقاء من إختصاص الدولة،وأستقدم الأسرى المسيحيين للعمـــل في بنـــاء قصـــبة مكناس،ووصلت الأفواج الأولى إليها يوم11جوان 1672م،قادمة من فاس وسلا ،بعدما إشـــتراهم بـــ 250ليرة لكل أسير[5] ،أقام لهم أماكن لأداء شعائرهم الدينية في 07 ديسمبر 1672م،وإرسال مرشيدين دينيين للإشراف على الأسرى،ويذكر "بريت ويت"(Braithwait) أن هناك من 600 إلى 1500أسير إعتنق الأسلام في المغرب في القرن 17م ،وأستطاعوا أن يرتقوا في السلم الإجتماعي

---

(1) "ميزين"مع "بتروتان ديمون"، المرجع السابق ، المجموعة رقم (AE/B/I/213/FOL:179/179V).

(2)شارل بانز: المرجع السابق،ص155.

(3) دوكاستري: م.م.ت.م ،المرجع السابق ، السلسلة 02 ، فرنسا، مج03،ص123.

(4) (Laila Maziane:**les captifs europiens en terre marocaine,au 17/18é**me **siecles,in** cahiers de la mediterranée,n 65,2002,p02

(5) بوشتى بوعسرية:المرجع السابق،ص213.

ولعبوا أدوارا مختلفة في كل الميادين العسكرية و الأجتماعية،حتى أستطاع أحدهم ان يصبح عاملا على سلا،وآخر على فاس[1].

يقول الأسير "جوزي دوليون" بمكناس (1728/1708): «... إن الأسرى الذين كانوا يخدمون في البناء والحدادة،كانوا يسكنون في مقر عملهم،أما الأخرون فهم بسكنون في مكان وسط المدينة كان يسمى"القنوط"..وكان بعضهم يحصل على ما يحتاج إليه بالعمل في أوقات الفراغ،والذين كانت سيرتهم حسنة يعطى لهم ترخيص بفتح حانة أو ممارسة حرفة أخرى في القنوط،..الأسرى المهرة والمستقيمين والذين يتكلمون اللغة العربية،كانوا يوظفون في معامل السلطان،وفي مهمات أخرى تتطلب الثقة والأمانة،وكانت تعطى لهم حرية التجول داخل المدينة...ويحدث أن يقف السلطان بجانبهم في خصوماتهم مع المسلمين...الموتى يدفنون نصف مرحلة خارج المدينة...القداس يقام كل يوم في الدير الفرنسييسكاني،المرضى الإسبان يتلقون العلاج في مستشفى الدير حيث الصيدلية وجراح،وكل جنس كانت لهم مستشفيات خاصة...وفي مكناس كان يوجد دير فرنسيسكاني يضم 10قساوسة وراهبان وعيادتان ... »[2].

كان الأسرى يقيمون في مقرات خاصة بهم عبارة عن مطامير أو أحياء سكنية ،أشهرها المعروف بالسرداب،المجاور لدار المخزن،ومن بين أشهر الأسرى الذي ضمهم هذا المقر "جرمان مويت"(Germain Mouette)،صاحب الرحلة الشهيرة الذي قضى به مايقرب من عشر سنوات 1672م-1671م.

ونظرا لتزايد عدد الأسرى والأرقاء أمر السلطان سنة 1676م ببناء مقر جديد في حي "الروى"غير بعيد عن القصبة ثم درب القنوط،وخصص كل قسم من هذه الأقسام لجنسيات الأسرى،وكان الفرنسيون في القسم الأخير به،يترأسهم واحد منهم يدعى"ماجوردوم" [3] .

كان أغلب الأسرى الفرنسيين يعملون في البناء، ولا تمثل نسبة النساء سوى 1% منهم فقط،وكان أكثرهم من الشباب المتراوحة أعمارهم مابين 20 و 40 سنة،وقضى البعض منهم في سجون مكناس مددا تتراوح ما بين عام وستة أعوام،أو مابين تسع وعشرسنوات ،كما كان شأن "جرمان مويت"وأخيرا من قضى 14 عاما أو أكثر من 30 سنة.

---

(1)ج.ليون ، شونتال دو لا فيرون:حياة مولاي إسماعيل. . . . J.Léon,Chantale de la véronne:**La vie de Moulay Smai**l,paris 1974,p p 69,70.

(2) نفسه : ، ص ص 71،72.

(3) شارل بانز:المرجع السابق ،ص 288.

كان منهم الرخامون والحدادون والعمال في الجير،وغراسة الحدائق ،كما كان منـــهم الأطبـــاء والمهندسون ،وأعفى السلطان المتزوجون من أي خدمة لفسح المجال أمامهم للبحث عـــن قـــوت أبنائهم القاصرين،وخصص لكل أسير أجرة يومية ،قدرت بربع ريال مغربي[1].

إضافة إلى ذلك المبيت والأكل والملبس مجانا،ويعطى لكل أسير جزء من الطحين والزيـــت كل يوم،ويسهر بعض الأسرى على إعداد الطعام لأبناء جلدتهم منهم ثلاثة خبازين فرنسيين،الأمر الذي يبين بجلاء طريقة تعامل المولى إسماعيل مع الأسرى المسيحيين.

وفي تقرير البعثة الدينية لمنظمة "أباء الرحمة" جاء فيها: ÷... إن الأسرى كانت تعطى لهم كل سنة جلابية،وكان لهم الحق في الدفاع عن أنفسهم من كل من أعتدى عليهم...×

ج- طرق الإفتداء:

إذا كان سفراء فرنسا في المغرب،"سانت أمانس" و"سانت أولون"،قد نزلوا بالمغرب علـــى أساس إطلاق سبيل الأسرى الفرنسيين،فكان ذلك يتجلى من خلال الصعوبات في مهمتـــهم،نظرا لتشابك هذه القضية، فمن خلال المفاوضات،التي جرت بين الوفود ،كانت الخلفيات السياســـية وراء ذلك التأخر في تبادل الأسرى بين الدولتين[2].

وكانت مسائل إفتكاك الأسرى وتبادلهم،ضمن العديد من أكثر المشكلات المعقـــدة،وكانت الحكومات الأوروبية،ومنها فرنسا تجد في هذه المسألة حرجا، لأنها نوعا من الإذلال ولهذا تركتها في الغالب،للمؤسسات الدينية،وكانت من جهة أخرى'ترفض تحرير الأسرى المسلمين،المجبرين على العمل القاسي في السفن الفرنسية[3].

فبعد محاولات السفراء الفرنسيين بشأن الأسرى وفشلهم،جاء دور المنظمات الدينيـــة،التي كانت موجودة منذ عهد الرشيد،ولما تولى المولى إسماعيل الحكم سنة 1672م،طرد رهبان "المذهب الفرنسيسكاني" سنة 1677م،وعوضوا برهبان" المذهب الثالوثي" وجاؤوا إلى المغرب،وألتمسوا من السلطة الحاكمة إقامة المستشفيات،والتوسط في إفتكاك الأسرى[4].

فهدا مولاي الرشيد لم يقم أي محاولة لبحث مشكلة الأسرى أو إفتدائهم، من المنظمـــات الدينية،ومنها"منظمة أباء الرحمة"(Les Ordres de la Merci)التي سمح لها مولاي إسماعيل ســـنة

---

(1) شارل بانز:المرجع السابق ،ص ص 275-287.

(2) جلال يحي:المرجع السابق،ص136،137.

(3) محمد خير فارس ومحمود علي عامر: المرجع السابق ،ص97.

(4) بديعة الخرازي:**تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى**،ط1،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط2007،ص97.

1676م، الذي أتبع سياسة جديدة في علاقاته مع المنظمات الدينية للإفتداء،وتعامل معهم بكل إنسانية،ووافق على دخولهم التراب المغربي،وصنف التعدي عليهم كالتعدي على خدام السلطان نفسه.

وبدخولهم المغرب وافق على توسطهم في إفتداء الأسرى الفرنسيين في 1681م و1689م مما جعلهم يفتدون المئات من الأسرى الفرنسيين[1].

وكتب لهم السلطان مولاي إسماعيل جوازا مؤرخا في 14ربيع الثاني 1115هـ/27أوت1703م للترحل في اماكن مملكته مفاده:«... إن هذا الكتاب،أسماه الله تعالى،وأعز أمره، بيد حامله،رجال الدين الفرنسيين الموكلين بمهمة الأفتداء والقيام بمسعاهم بعون الله،... أن يحافظ على سلامتهم،وان لا يتعرضوا لمكروه،..هذا ما عهدناه لهم من حماية وسلامة لهم في كامل إيالتنا الشريفة،في البحر كما في البر،...وان لا يكرهوا على شئ ... ،حتى يعودوا إلى بلادهم،نأمر كل خدامنا بالعمل به..،والعمل بكل مامن شأنه أن يطبق هذه الأمرية ،وذلك تحت طائلة العقوبة... »[2]

وقد كان الأب "بسنو"(Busnot) الذي كلف بمهمة التوسط لتحرير الأسرى في سنة 1704م، قد وجد صعوبة بسبب الأوضاع،وقدم له المولى إسماعيل 12 أسير فرنسي هدية منه،بعد أن فشلت المفاوضات ،ومات أحدهم من كبار السن قبل أن يصل إلى فرنسا[3]. ثم جاءت رحلة منظمة "الأباء الثلاثيين"في سنوات 1723م و1724م ثم سنة 1725م،وتوسط في هذه المهمات اليهودي "موس العطار" قائد اليهود بمكناس،وتزعم هذه الرحلات الأب (Mackar)،وأسفرت عن إفتداء المئات من الأسرى الفرنسيين[4] .

وكان تحرير الأرقاء يشكل هاجسا كبيرا للحكام والملوك، من أجل تخليصهم من العبودية في المغرب،فهذا أسير فرنسي في المغرب،كتب بتاريخ 29جوان1680م قائلا:«... لماذا هذا الكم

---

(1) ف.برنارد لوراي:علاقة ماحدث لثلاث رحلات. . F.Bernard le Roy: **relation de ce qui cést passé** . **dans les trois voyages que les religieux de l'ordre de notre dame de la merci ont faits dans les etats du roy de maroc,pour la redemption des captifs en 1704,1708,1712**,ed.coustelier, paris1724, p26.

(2)نفسه ،ص27

(3) جلال يحي:المرجع السابق،ص136،137.

(4) (Jean,B,de la faye,Denis Mackar**: relation en forme de journal du voyage pour la redemption des captifs aux royaume de maroc et alger,pendant les annés 1723,1724,1725**,ed sevestre1726,p06. .

الهائل من المنظمات المسيحية للإفتداء في فرنسا ،إذا كنا لا نراهم إلا مرة واحدة في كل عشـــرة سنوات،من أجل تخليص40 أو 50 أسير من أصل 400 وهو عددنا ... »[1] .

وخلاصة القول:

– إن العلاقات العدائية التي ميزت العلاقات المغربية الفرنسية،كانت بسبب سياسة الغطرسة للملك الفرنسي لويس الرابع عشر،ومحاولاته لفرض شروط السلام على الأقطار المغاربية بـــالقوة ،ومـــن بينها المغرب الأقصى.

– لقد كانت التوازنات الموجودة بين المغرب،والإيالات المغاربية الأخـــرى مـــن جهة،والضـــفة الشمالية من جهة أخرى،تمثل تلك الحماية التي إكتسبتها ضد مجمل الحملات التي تعرضت لها هذه المناطق طيلة هذه القرون.

– شكلت الحملات الفرنسية وردود الفعل المغربية عليها،ومحاولات الجهاد البحري،وتوسع ظاهرة الأسركسمة من سمات ذلك الصراع الذي احتدم طيلة مدة حكم السلطان مولاي إسماعيل.

– أدت الصدامات المغربية الجزائرية،إلى التدخلات الخارجية ومنها الفرنسية،لتأجيج ذلك الصراع بين الأخوة الأعداء.

---

(1) هيغ كوكار:منظمة أباء الرحمة في فرنسا. . Hugue Cocard**: l'ordre de la merci en France ,1575-1792,un ordre voué à la liberation des captifs**,ed.l'harmattan,paris 2007,p207.

الباب الثاني

العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى و إسبانيا (1659م-1727م)

الفصل الأول :العلاقات الصدام والمواجهة.

المبحث الأول: **تحرير الثغور المحتلة.**

المبحث الثاني: **الجهاد البحري (القرصنة)**

المبحث الثالث: **قضايا الأسرى بين البلدين.**

الفصل الثاني :علاقات السلم والمهادنة.

المبحث الأول: **تبادل السفارات بين البلدين.**

المبحث الثاني: **دور الرسائل في العلاقات بين البلدين**

المبحث الثالث: **المبادلات التجارية بين المغرب وإسبانيا.**

تمهيد:

إن العلاقات السياسية بين المغرب وإسبانيا في الفترة الممتدة،مابين سنة1659م إلى غاية 1727م،قد كانت هي الأخرى متقلبة بين العداء والحرب تارة،بل في معظم الأحيان،وبين السلم والمهاذنة في أحيان أخرى،فالعلاقات العدائية مرجعهاأساسا ملاحقة الإسبان للمسلمين حتى عقر دارهم بالمغرب،وإقدامهم على إحتلال مواقع عديدة فيه ،وتخريبهم لأخرى،وهذا بغية إنشاء حزام أمان متقدم في الديار المغربية،تمكنها من مراقبة الملاحة في المضيق، وتخوف الإسبان من الخطر الآتي من الجنوب،و تباينا وإستمرارا للعداء التاريخي بينهما ، وذلك منذ أن سقطت غرناطة، وبالرغم من تلك الظروف العدائية ،كانت تقوم بعض الإتصالات الدبلوماسية بين حكام البلدين حتى وهم في أوج الحرب بينهما،لأن قرب إسبانيا من المغرب، ووجود جاليات أندلسية وموريسكية،فيها والتأثير الإسباني في الحياة الإجتماعية داخله،من حيث كثرة الأعلاج الإسبان،وإستعمال اللغة الإسبانية كلغة ثانية بعد العربية في التخاطب وفي كتابة الرسائل.

كل ذلك أوجد مجالا لذلك التواصل بين البلدين الجارين حتى في أسوأ أحوال العلاقات بينهما. ثم إن إقدام المغرب على تحرير ثغوره الممتدة على الساحل الأطلسي وإستخلاصها من أيدي الإسبان،كان له التأثير البائن في دفع عدد كبير من الإسبان إلى سوق العبيد المغربي،والذي كان له إنعكاس على إرسال مفاوضين لفك الأسرى في المغرب،ثم محاولة هذا البلد الضغط على إسبانيا التي إستشرى بها الضعف السياسي والإقتصادي ،حتى جاءت حرب الوراثة والتي كان من نتائجها التدخل الأوروبي في صيرورتها،ثم تأثير ذلك على مسار العلاقات بينها وبين المغرب.

وقد إستعمل المغرب الحنكة السياسية، بإستمرار للضغط على الثغور المحتلة،وحصارها وإفتكاك الكثير منها في عهد السلطان المولى إسماعيل، والذي توفي وجيشه يحاصر مدينة سبتة في سنة1727م،فهدف الدولتين هو البحث عن أمنهما وسلامة ترابهما، واستمرارية قوتهما وسيطرتهما ونفوذهما.ولكن كل ذلك قد تأثر بالواقع الداخلي والخارجي المحيط بهما.

ولإدراك ذلك التطور الذي شهدته تلك العلاقات في فترة موضوع البحث،ينبغي لنا أن نطرح تساؤلات عن المجالات التي ربطت تلك العلاقات بين الدولتين ومداها ونتائجها، فماهي مظاهر تلك العلاقات ؟ وما الذي كان يميزها بين الصدام تارة والمواجهة تارة أخرى؟ وما هي الأسباب

التي أدت إلى السلم والمهادنة بين البلدين ؟ فوجود ذلك التواصل الدبلوماسي بينهما أملته الوقائع الدائرة بينهما،من علاقات صدامية ومواجهة مستمرة كأصل عام ،ثم سلم ومهاذنة كإستثناء عـــن ذلك.

ولذلك يتضمن الباب الثاني فصلين فقط ؛ تناولت في الفصل الأول،العلاقات حـــين تكـــون ذات طابع صدامي وفي الفصل الثاني تناولت بالبحث في العلاقات حين تميل إلى السلم والمهاذنة.

الفصل الأول:

علاقات الصدام والمواجهة :

إن المغرب الأقصى في إطار توليه لتأمين حدوده،وبناء قواعده الداخلية، وصده للأخطار الخارجية،وفرضه لعلاقات متوازنة مع جارته إسبانيا، أدّى في الأخير إلى مؤشرات أساسية تعبر عن ذلك التوازن في فرض الأمر الواقع ، منها تحرير ثغوره من يد الإسبان،ومواكبته لذلك الصراع في إطار الجهاد البحري والقرصنة،وما تلاه من إنتشار لظاهرة الأسرى بين البلدين ثم علاقة هذه الأحداث في مواكبة ودور الجارة الجزائر في ذلك كله، وفي الفترة نفسها ،ولتبيان ذلك نأخذ العناصر التالية:

- تحرير الثغور المحتلة.
- الجهاد البحري (القرصنة).
- قضايا الأسرى بين البلدين.

المبحث الأول:

تحرير وحصار الثغور المحتلة

بعد تسلم العلويين السلطة عام1070هـ/1660م،أراد سلاطينها تقليص نفوذ زعماء الطرق الصوفية،وتحجيم دورهم،في الحياة السياسية،فتولوا الجهاد وتحرير الثغور بأنفسهم وعدّوا القضية من المسائل الأساسية والهامة،وعلى هذا الأساس نجد أن كل سلطان من سلاطين الدولة العلوية الأوائل قد وطّد نفوذه و سيطر على القبائل واتجه مباشرة إلى ممارسة الجهاد لتحرير الثغور، فالمولى الرشيد قد بعث جيشا نحو طنجة في يوم الثلاثاء 17جمادي الأول من 1078هـ/03نوفبر1667م،تحت قيادة "عبد الله أعراص الريفي"[1]في محاولة جدية لإنتزاعها، ولكن المحاولة باءت بالفشل[2].

ثم في عهد السلطان المولى إسماعيل ،والذي حكم قرابة نصف قرن ،حيث كان من أكثر السلاطين إهتماما بتحرير الثغور وواضع الأسس الأولى لهذا النشاط[2]، فأولى الثغور التي حررها هي ميناء المعمورة (المهدية)،التي إحتلها البرتغاليون سنة 920هـ/1515م،في عهد أبي عبد الله الوطاسي،ودخلت تحت نفوذ الإسبان سنة1022هـ/1614م[3].

جرت عدة محاولات لتحريرها قبل مجيء العلويين،ولكنها باءت بالفشل ،وفي يوم السبت 12ربيع الثاني 1092هـ/03ماي1681م،قامت القوات المغربية بقيادة"عمر بن حدو البطيوي"،[4]تساندها قوات كبيرة من المتطوعين الموجودين في حاميات كل من مكناس وفاس وتيطوان،[5]فحاصرت المدينة ثم نصبت القوات المغربية بعض المدافع على نهر"سبو"من ناحية البحر،لكي يمنعوا وصول الإمدادات إلى الإسبان المحاصرين ثم حضر السلطان إسماعيل على رأس جيش آخر بلغ تعداده خمسة عشر ألف مقاتل،مما جعل القائد الإسباني يعترف أن الأمل في المقاومة ضعيف ،فأضطر إلى الإستسلام،وقد حصل المغاربة من جراء ذلك على غنائم كثيرة منها مائة

---

(1) هو إبن أحمد أعراص قائد إمارة آل أعراص التي أستمرت من1636م-1666م في عاصمتها المزمة،أسرة ريفية من بقيوة سكنت ناحية بادس،أنظر أحمد البخلاخي:**التعريف بجزبرة بادس**،دار الرشاد الحديثة،طنجة1982، ص55.

(2) محمد بن عبد السلام الرباطي: المرجع السابق ، ص151.

(3) جلال يحي:المرجع السابق،ص ص177 ،178 .

(4) إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ** ، الدار البيضاء1985، ج3 ، ص46.

(5) محمد الصغير اليفرني :**روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف** ،تحقيق عبد الوهاب بنمنصور،ط3،المكتبة الملكية،الرباط2007 ،ص72.

مدفع،وكميات كبيرة من الذخائر وأسر ثلاثمائة جندي إسباني ،وبعد تحريرها غيّر السلطان اسمها من المعمورة إلى اسم المهدية،[1]وأسكن فيها مجموعة من جيش السوس(العبيد) لتعميرها وحراستها،وشيد سورا حولها،كما خصص الأراضي المجاورة للقوات العسكرية الموجودة فيها و منحهم الرواتب الخاصة بهم.[2]

كتب القنصل الفرنسي "بيير دي كاتالان"(Pierre de Cattalan) مذكرة إلى "كولبير"، تطرق فيها إلى مسألة تحرير المعمورة،بواسطة"عمر بن حدو"القائد العسكري لمولاي إسماعيل،الذي أشرف على ذلك يوم 12من ربيع الثاني 1092هـ/30أفريل1681م،بحضور السلطان،ودخول المعمورة،وإستيلاءهم داخلها على كمية كبيرة من البارود،و104مدافع،منها60من صنع الفونت"Fonte"،وعدد من الكريات الحديدية[3] ويمكن أن نذكر وقائع تحرير بعض المدن منها :

أ- العرائش:

وهي من المدن التي حررها السلطان مولاي إسماعيل،وكان لتحريرها أثر بالغ في كامل المغرب،علما أنها قد سلمت في عهد السلطان "محمد الشيخ المأمون السعدي"1610م-1613م ابن أحمد المنصور،إلى الأسبان سنة 1018هـ/1610م،مقابل مساعدته على إقصاء منافسه على العرش[4].

وتعتبر العرائش أكثر الثغور أهمية ،نظرا لموقعها الإستراتيجي على نهر اللوكوس،يعطيها منعة وقوة،فضلا عن أنها محاطة بالأسوار والحصون القوية، وكانت تحتوي على ثكنات عسكرية ومخازن للقمح ومصانع للبارود[5].

كان حصار مدينة العرائش قد بدأ من يوم 28شوال 1100هـ/14أوت1689م،واستمر لمدة خمسة عشر شهرا،بقيادة"أحمد بن حدو"فأضطر الأسبان إلى التحصن بحصن" القبيبات"الذي شيّده المنصور الذهبي، وعلى الرغم من المقاومة الشديدة التي أبداها الأسبان ضد هجومات الجيش المغربي،لكن سرعان ما أضطروا إلى الإستسلام ،يوم 19محرم1101هـ/01نوفمبر1689م ،وتم

(1) أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق،ص63.

(2) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ص48.

(3)دوكاستري: م.م.ت.م، المرجع السابق،السلسلة 02،فرنسا،مج01، رسالة بيير دي كاتالان إلى كولبير بتاريخ 19 ماي 1687،ص536.

(4) إبراهيم حركات:المرجع السابق ، ص47.

(5) جلال يحي:المرجع السابق،ص116.

نقلهم إلى مكناس لإستخدامهم في بناء القصور،والقصبة الملكية، حيث تراوح عـــددهم حـــوالي 3200 رجل،بعد ما قتل منهم 1200 حسب الرواية المغربية،[1] حيث جاء في رسالة من "بيير دي كاتالان" قنصل فرنسا في مدينة قادش بتاريخ 28 نوفمبر1698م، يخبر فيهـــا "كـــولبير"بســـقوط العرائش ومقتل حوالي 500رجل إسباني[2].

ب– أصيلة :

كانت المحطة التالية في مخطط السلطان لتحرير الأراضي المغربية،كونها تقـــع بـــين طنجـــة والعرائش،فأصدر أوامره بمحاصرتها،وبعد حصار دام سنة كاملة،إستأمن الإسبان السلطان علـــى مغادرة المدينة، فأمنهم ولكنهم لم يطمئنـــوا إلى عهـــده،فغادروها لـــيلا عـــن طريـــق البحـــر سنة1691م،فدخل المغاربة المدينة وعادت إلى حظيرة الدولة من جديد[3].

ج– سبتة :

أظهر السلطان مولاي إسماعيل رغبة قوية،وطموح كبير في تحرير مدينة سبتة،فهذه المدينـــة التي إحتلها البرتغال،وضمت إلى التاج الإسباني سنة 1580م،ثم في سنة 1640م خـــلال أحـــداث إستقلال البرتغال عن إسبانيا،طلب أعيان هذه المدينة البقاء تحت التاج الإسباني،وتجمهروا أمام قصر الحاكم،وسويت هذه الوضعية بعد إتفاقية "لشبونة" بتاريخ 13 فيفري 1668م،وأرجعت بذلك إلى إسبانيا[4] .

قام السلطان مولاي إسماعيل بالتعبئة العامة في البلاد،وكوّن جيشا خاصا لهذه المهمة، بلـــغ عدد أفراده خمسة وعشرون ألف مقاتل"25000"،من بينهم مجندون من مختلف المدن المغربية،وبدأ الحصار في سنة 1691م ثم تجدد سنة 1694م و1695م إلى غاية 1713م،وكان علي بن عبد الرحمن الريفي يقود الجيش حتى وفاته،وخلفه ابنه الذي واصل قتال الجيش الإسباني حتى وفاة السلطان[5].

يعود إخفاق محاولات السلطان مولاي إسماعيل في تحرير سبتة،إلى إصرار الحكومة الإسبانية على الإحتفاظ بهذه المدينة بأي ثمن،لأنهم كانوا يخشون فقدان قواعدهم نهائيا في شمال إفريقيا مـــن جهة،وإنفتاح سبتة على البحر من جهة أخرى ، مما سهل على الأسبان الإســـتمرار بتزويـــدها

---

(1) ليلى مزيان: المرجع السابق ، ص239.

(2) "ميزين"و "بتروتان ديمون": المرجع السابق ،المجموعة رقم (AE/B/I/213/FOL:234-236).

(3) إبراهيم حركات:المرجع السابق،ص ص48 ،49.

(4) (Robert Rezette:**les englaves espagnoles au maroc**,ed latines,paris1976,p36.

(5) أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص77.

بالإمدادات.وفي أواخر أكتوبر 1720م،جهز فيليب الخامس،حملة سرية كانت تتألف من ستة عشر ألف"16000" جندي،تحت قيادة كل من"كباليرودوليدو ثم ماركيز دوليدو" (Cabaliero de ledo)و(Marquis de ledo)،كان الهدف منها إبعاد الجيش المغربي عنها[1].

لذلك طالت مدة حصارها التي إستمرت ثلاثين عاما[2].وفي سنة1132هـ/ 1720م جاء "المركيز دو ليد"(Le Marquis de Leyde) يرأس قوة إسبانية إستطاع بواسطتها أن يرفع الحصار المغربي.وقد ترك ذلك أثرا في معنويات المغاربة،على الرغم من أن المحاصرين كانوا يستبدلون دوريا حتى يدفعون عنهم السأم ويجددون العزيمة حتى وفاة السلطان ،لتظل بعده تحت السيطرة الإسبانية إلى اليوم.

د- مليلية :

بدأت محاولات المغاربة لتحريرها مبكرا،فوقعت من أجلها غزوات في عهد المولى الرشيد،بقيادة القائد "بلقاسم الشاوي"،إبتداء من سنة 1079هـ-1081هـ/1668م-1670م،وأحكم حصاره على المدينة سنة 1666م[3].وفي عهد مولاي إسماعيل تجددت محاولات تحريرها وهذا لإستكمال رسالة إسترجاع الأراضي المغتصبة،فالمدينة التي إحتلها الإسبان منذ 1498م،أحاطها المغاربة بالأبراج، وحركوا ضدها العمل الجهادي ونظام النوبة ،وقسموا الفرق إلى 104 فرقة من كل القبائل الريفية.

إستطاع المغاربة هدم الأبراج وعلى رأسهم القائد عمر، الذي عينه السلطان مكان أبيه،محمد بن مسعود،وعلى الرغم من أن المجاهدين كانوا قد تخطوا منطقة الأبراج، وراقبوا أسوار المدينة،وبابها الغربي،حيث أشرفت القوات المغربية على هضبة علوية تراقب من خلالها المباني الداخلية لمليلية ،ففي هذا الشأن وجه القنصل الفرنسي في مدينة قادش الإسبانية"بيير دي كاتالان" (Pierre du Cattalan)رسالة إلى "كولبير" بتاريخ23أوت1671م،يخبره فيها بأن المدينة بكاملها محاصرة من طرف سلطان المغرب بستة عشر ألف جندي[4]،وأستمرت هذه الهجمات حتى وفاة

---

(1) محمد بن عبد السلام الرباطي: المرجع السابق،ص191.

(2) إبراهيم بن خلف العبيدي:**حركة الجهاد البحري في المغرب خلال العهد العلوي**،منشورات المجمع العلمي،بغداد 2002، ص13.

(3) حسن الفقيقي: **مواقف جهادية للمولى الرشيد والمولى إسماعيل في الدفاع عن مليلة**،في مجلة دعوة الحق،عدد258، الرباط1986،ص ص28-41 .

(4) "ميزين"و "بتروتان ديمون": المرجع السابق ،المجموعة رقم (AE/B/I/211/FOL:107-108 V).

السلطان،دون نتيجة تذكر، فخلال سبع سنين تمكن من تحرير كل من المهدية و العرائش ثم طنجة وأصيلا على التوالي،وجرت محاولات تحرير كل من سبتة ومليلية.

ولا يخفى عن أحد أن الجزائر الحاضرة الغائبة في معظم العلاقات المغربية الإسبانية بحكم التواجد الإسباني في وهران، والمرسى الكبير.

ففي هذا الشأن ، و من خلال وثيقة مستخرجة من أرشيف سيمانكاس (Simancas) بإسبانيا،مؤرخة في سنة1070هـ/ 1660م عثر عليها المؤرخون المغاربة[1] من خلال الرزمة (2677^{E})،وبها تقرير أو مذكرة صادرة من أحد أعضاء المنظمات الدينية التابعة للبعثات الفرنسيسكانية في دير مراكش،والمسمى الراهب خوليان بستور(Juliane Pasteur) تبين بشكل واضح الدور المزدوج لأعضاء هذه البعثات.

فقد جاء في هذا التقرير، بالإضافة إلى الإستراتيجية الإسبانية لإحتلال مرسى سلا،دور الصراع الإسباني الجزائري على التواجد في هذا المرفأ،حيث دفع هذا الجاسوس الراهب من خلال تقريره إلى مسألة الحصار الذي ضربه الهورناشيون والأندلسيون على عبد الله الدلائي،والذي حاول تبعا لذلك تسليم قصبة سلا إلى الأتراك الجزائريين،حيث جاء في تقريره :÷...كانت المفاوضات بهذا الشأن قد تقدمت كثيرا،وقد علمنا بهذا الأمر من مصادرنا بسلا وكذلك من مصادر الجزائر،فقد كتب حول هذا الأمر أسير بندقي محتجز في الجزائر،في رسالة إلى أخ له في مدينة قادش،يخبره فيها أنه في أواسط شهر أكتوبر من الستة الماضية (1660م) كانت ستبحر من الجزائر أربعة عشرة سفينة حربية متجهة إلى قصبة سلا،ولما كنت في قادش ونظرا لإهتمامي بالأمور المغربية بسبب ديرنا في مراكش،ومن أجل أن أتيقن من هذا الخبر قصدت البندقي- و لم أتذكر إسمه الآن-لأتحدث معه،ولما كان بصدد الحديث عن الموضوع، كشف لي عن رسالة أخيه المتضمنة الخبر المذكور،وهي مؤرخة في الجزائر يوم 16سبتمبر 1660م ولكن تلك السفن لم تصل في تلك الأونة إلى سلا...× [2] ومن خلال ذلك يتبين لنا مايلي:

- التواصل الجزائري المغربي في هذ الفترة ،رغم التواجد الإسباني في أهم المدن المغربية الأطلسية.

---

(1)الحسين بوزينب: **مذكرة الراهب خوليان بستور،تحث على إحتلال قصبة الرباط**،مجلة التاريخ العربي، العدد22 السنة2002، ص ص 8-10.

(2)الحسين بوزينب:المرجع السابق ، ص 8.

– التقرير يبين بشكل واضح تلك الحرية التي يتمتع بها الأسرى في الجزائر،وذلك من حيث حرية التواصل بينهم وبين أقربائهم،حتى أنهم يقدمون معلومات تجسسية على الجزائر وسياستها الداخلية والخارجية.

– يبين التقرير بما لا يدع للشك التسامح الذي يحظى به الأوروبيين في الأقطار المغاربية،عكس ما ذهبت إليه أقلام مؤرخيهم.

ثم تابع هذا الجاسوس في تقريره إلى مسألة الأسطول الجزائري في عرض الشواطئ المغربية على بعد أميال من جبل طارق وتخوفه منه فيقول:÷...ولكن في أواخر شهر جانفي من السنة الحالية 1661م،وبينما أنا في قادش،وصلت إلى مضيق جبل طارق إثنان وعشرون فرقاطة حربية جزائرية قادمة من الجزائر،وموزعة على ثلاثة أساطيل،كانت تجري بالقرب من شواطئ ذلك البلد بالقرب من المضيق إلى رأس القديس "بيثانتا وكنتين"،وقد أسرت سفينة شراعية سريعة (Carabela) كانت قادمة من العرائش وغنائم أخرى،كما عاينت بعض السفن الإنجليزية وفتشتها،بالرغم من الصلح القائم بين الجزائر وإنجلترا،وأخرجت منها بعض الأمتعة وبعض المسافرين من أجناس أخرى. كما ضرب أتراك الجزائر قبطانا إنجليزيا في أسفل قدميه ضربا مبرحا كي يصرح بالأمتعة التي يحملها على سفينته لمسافرين آخرين،وقد كنت أخشى كثيرا– نظرا للأخبار السالفة الذكر– أن يأتي أولئك الأتراك الجزائريين طامعين في قصبة سلا...× [1].

يتبين لنا من ذلك :

– أن الجزائر كانت في هذه الفترة،في أوج قوتها البحرية،والتي أستطاعت بواستها أن تفرض سلطتها على أعالي البحار وعلى المضايق.

– يشير التقرير إلى مسألة المعاهدة الجزائرية الإنجليزية،والتي جاءت بعض حملة "روبير بلاك"(Robert Black) في نهاية سنة 1654م ،على رأس عمارة بحرية محكمة التنظيم،في عهد الباشا محمد، والتي أبرمت سنة 1655م بين حامد باشا رئيس ديوان الجزائر و اللورد"أليفر كروموبل" (Oliver Cromoell) وتبعتها معاهدة سلم وتجارة بين بابا رمضان وشارل الثاني ملك بريطانيا سنة 1660م.[2]

---

(1)الحسين بوزبنب:المرجع السابق ، ص 9.

(2) مولود قاسم نايت بلقاسم:**شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م**،ط1،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر 2007،ج1،ص ص188 ، 189.

ثم يعرج التقرير إلى توصيات من كاتب التقرير يحذر فيها إسبانيا من التفريط في ميناء سلا،وترك المجال لأتراك الجزائر،فيقول:÷ . . . بدخولكم، سيمتنع أتراك الجزائر من الدخول هناك، لأنهم سيكونون أسوأ جيران للشواطئ الإسبانية القريبة جدا،وكذا للقواعد الإسبانية الإفريقيـــة،وحرب هؤلاء تختلف تماما عن حرب المغاربة،وسيتسببون لنا في مشاكل كثيرة ،ويضـــعوننا في ورطـــات كبرى.ويستحيل على كفار الشمال من إنجليز وهولنديين أن يدخلوا الأسلحة الناريـــة والبـــارود واللوازم الحرفية الأخرى،إلى ذلك المرس المغربي،وكلها أشياء يتخدها أبناء البلد من المغاربة لخلـــق المشاكل العديدة لنا في المعمورة والعرائش وباقي القواعد.

فحتى الأغلال والسلاسل التي يستعملها المغاربة لوضع المسيحيين المساكين في السجن يجلبـــها هؤلاء الكفار إلى سلا. كما أنني متيقن من أن أندلسي سلا سيفضلون كثيرا أن تكون القصبة عند الإسبانيين على أن تكون عند أتراك الجزائر،لأن هؤلاء يعاملون الأندلسيين بإحتقار في كل مكان ولا يسمحون لهم بالإرتقاء إلى مناصب مشرفة...× [1].

من خلال هذا المقطع،ندرك جيدا الموقع الإستراتيجي لمدينة سلا،وإزدهار التجارة بها،وعـــدم رضى إسبانيا بالتغلغل الإنجليزي الهولندي في المنطقـــة، والـــذي يختلـــف تمامـــا مـــع التواجـــد الإسباني،فالإسبان يحاولون الإستحواد على المنطقة بشكل أو بـــآخر،ويمنعون أتـــراك الجزائـــر أو الأوربيين الأعداء لهم من الإقتراب من هذه المناطق، ويتخوفون مـــن تواجـــد تلـــك القـــوى في المنطقة،وتبين مدى تزييف الوقائع،فقوله بأن أتراك الجزائر يعـــاملون الأندلســـيين بإحتقـــار ولا يسمحون لهم بالإرتقاء إلى مناصب عالية في المجتمع لا أساس له من الصحة،وتعكســـه الأعمـــال الجبارة التي قدمها الأتراك العثمانيون للقضية الأندلسية منذ نشأتها،ودورهم المشرف في إســـتقبال هؤلاء في كل هجراتهم إلى الجزائر وتونس،وإعطائهم الإمتيازات الكبرى في تلك الديار،وتقســـيم الأراضي عليهم، وإنشاء أوقاف الأندلســـيين لصـــرف الأمـــوال عليهم،وإدمـــاجهم في تلـــك المجتمات،عكس ما عانوه من تشريد وقتل وسبي وطرد من قوم صاحب التقرير.

ولما تولى السلطان المغربي المولى إسماعيل الحكم في المغرب، حاول في عدة محاولات الهجـــوم على المنطقة الغربية للجزائر وعلى وهران بالـــذات مـــن إقتحـــام تحصـــينات "كحصـــن روزا

(1) الحسين بوزبنب:المرجع السابق ، ص 10.

الكزار""Cosa Alkasar"[1]،لكنه فشل بسبب شدة التحصينات الإسبانية، ومقتل عدد كبير من جنده ، وقد أثار ذلك حفيظة الأتراك العثمانيين في الجزائر.[2]

جاء في رسالة مرسلة من السلطان العثماني مصطفى الثاني بـــن محمـــد(1695م-1703م) - ضمن سفارة عثمانية - إلى المولى إسماعيل مؤرخة في 1696م،جاء فيها:

«... لقد ورد علينا كتابكم الذي يعبر عن الود والصداقة المتوارثين فيما بين الأمتين...وأنه حين جلوسنا على العرش ،ونحن نقوم بأنفسنا على تقرير قواعد الملة،خدمة لمصالح الأمة ورفعـــا لرايـــة الجهاد وحماية للثغورالإسلامية،وأننا لن نسمح بقيام المحظورات الشرعية في بلادنا...» [3].

ثم أرسل نفس السلطان العثماني رسالة أخرى مطولة في 22شوال 1110هـــ،22 أفريـــل 1699م،باللغة التركية جاء فيها: «... أن الجزائر ضمن ممالكنا المحروسة....وإن ســـكان الـــبلاد وأهلها وحكامها، وجندها منقادة من بعد أجدادنا لنا...وإنه ما تزال توجد مليلية، والبريجة ،وسبتة وبادس. وهي تقع في جوار تلمسان ،وهي "وهران" تريدون أن تحوزوها بأعذار واهية على عكس ما تشير به الآية { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِي يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِـــيكُمْ غِلْظَـــةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**}....» سورة التوبة،الأية 123.[4]

يبدو من تاريخ هذه الرسالة، أن الهجوم على وهران، قد وقع في الفترة مابين سنتي 1996م و1699م،وأن الرسالةكانت ردا على تلك المحاولة ،التي أثارت حفيظـــة الأتـــراك العثمـــانيون في الجزائر،بدعوتهم له بأن يقوم بتحرير ثغوره المحتلة قبل أن يحرر أراضي غيره. وقد عبر الشاعر المغربي "القاضي البوعناني" مفتي فاس عن هذه الحملة ،ودعا فيها المولى إسماعيل بتحرير وهران بقوله:

ووهران تنادي في كل يوم متى يأتي الأمير متى يزور[5]

---

(1) يقصد به كذلك "برج مرجاجو" الكائن فوق جبل المائدة،والذي بناه الإسبان بإيعاز من رجل من بني عامرالمناصرين للإسبان،أنظر في ذلك محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المرضية**،تقديم محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر2007، هامش رقم 01 ص 216. .

(2) (Louis Abadies:**oran et Mers El kébir,vestiges du passé espagnol**s ,serre ed,paris2002,p19 .

(3) عبد الهادي التازي:المرجع السابق، ص19.

(4) نفسه،ص20.

(5) نفسه.

وفي يوم 24 محرم 1120هـ الموافق ل16أفريل1708م ،قام الداي محمد بقطاش (1707م/1710م)بفتح مدينة وهران ،على يد صهره "حسن أوزن"،وذلك بعد حصار دام ثلاثة أشهر سنة1119هـ/1707م.[1]

فقد كتب "جاك ميراسول"(Jacque Mirasol) قنصل فرنسا في قادش،بتاريخ 01 أفريل 1708م،يخبر "جيروم فيليبو"(Jérome Phélypeaux)السكرتير العام للدولة الفرنسية،في رسالة جاء فيها: «...إن وهران قد سقطت منذ ثلاثة أشهر،في حين أن القائد علي قد فشل في الإستيلاء على "سبتة"مما جعل السلطان مولاي إسماعيل يغتاظ بذلك لذلك، ويهدده بأن يقتله.وبعد ذلك عمد الإسبان إلى إرسال تعزيزات عسكرية منها 600 رجل و400 قنطار من البارود..» .[2]

وفي إطار التواصل والعلاقات المستمرة بين المغرب والإسبان، والأتراك العثمانيون في الجزائر، فقد قدم إلى المولى إسماعيل حوالي عشرة من الإسبان يحملون رسائل دبلوماسية،يطلبون فيها توسطه مع حكام الجزائر في مسائل التهدئة بمنطقة وهران.وكان ذلك في يوم عرفة من سنة 1108هـ، ويبدو أنها جاءت عقب الحملة التي قام بها إبراهيم خوجة أو دولة إبراهيم كما تسميه المصادر الإسبانية على وهران،والتي إنضوت تحته أغلب القبائل الحليفة للإسبان،بينما فرت قبائل أخرى إلى المناطق الجبلية،وحاصر المدينة لعدة شهور.[3]

---

(1) محمد بن عبد السلام الرباطي:المرجع السابق،ص191.

(2) "ميزين"و "بتروتان ديمون": المرجع السابق ،المجموعة رقم (AE/B/I/216/FOL:309,311V .

(3) محمد الطيب القادري:المرجع السابق ، ص1841.

المبحث الثاني

الجهاد البحري (القرصنة)

يقصد بالجهاد البحري (القرصنة)،تلك العمليات العسكرية البحرية ضد المصالح الإسبانية والمسيحية،ذات الخلفية والمصلحة الإقتصادية،والتي إختلف المؤلفون في الدلالة عليها،حسب درجة موضوعيتهم،مستعملين عدة مصطلحات متفاوتة،من حيث المفهوم،فمنهم من يدرجها في عداد العمل القرصني (Course)،كحرب مشروعة وذات صبغة قانونية في ذلك العصر،وآخرون يجعلونها مرادفا للصوصية البحر(Piratrie) والخروج عن القانون،وصيد المغانم(Flibustrie)،والإحتيال و المخادعة(Ecumeur)[2]،وهناك فريق ثالث تتداخل المصطلحات لديه،فلا يميز بين القرصنة واللصوصية عند الحديث عن المجاهد البحري ،فيتم التشويه على وضعيته كقرصان شبيه بالمتطوع العسكري،وكمحارب قانوني يتوفر على ترخيص من قبل إحدى القوات المتحاربة لمهاجمة السفن التجارية،محاولين إلى حد كبير نزع هذه الصفة عن البحارة المسلمين[3]، في الوقت الذي يجعلونها وساما دالا على الشهامة والبطولة عندما يتعلق الأمر بقراصنة العالم المسيحي،وفرسان مالطا أبرز مثال على ذلك.

وهذا "دوكاستري" يعترف بجلاء ،دون غيره من المؤرخين الأوروبيين بقوله: « ... إن الإختلاف بين القرصان واللص،بين القرصنة كوسيلة مشروعة في الحروب البحرية،وأعمال اللصوصية في البحر المباشرة في كل حين،وضد أي دولة ،هذا الذي لم يعترف به المسلمون،إذ بالنسبة لهم يعتبر المسيحي عدوا بسبب إختلافه الديني،لذلك كانوا يرون أنفسهم في وضعية قانونية دائمة ناصبة العداء ... » [1]

أ- الجهاد البحري المغربي ضد الإسبان:

رأينا من إختلاف رؤى المؤرخين ما يضفي على مصطلح الجهاد البحري أو القرصنة، نوعا من الإطار أو الغطاء الذي يستعمله الأعداء التقليديون للمجتمعات المغاربية،والنيل من كل رموزها، حتى ولوكانت في أطر الدفاع عن الذات،فما بالك في هذا الحراك التاريخي الذي لاقى منه المغاربة والجزائريين بشكل خاص شتى النعوت والأسماء التي شوهت الكتابة التاريخية،لما لها من تداعيات على مستقبل الدعاية نحو الأخر .

---

1) (Dan(P):**Histoire de Barbarie et ses Corsaires**,,paris1649,p09.

(2)روجي كواندرو:المرجع السابق،ص15.

(3)دوكاستري:المرجع السابق ، م.م.ت.م، السلسلة 01،فرنسا،مج03،ص16.

هذا هو الإطار النظري الذي بوشرت فيه عمليات الجهاد البحري،إنطلاقا من "مرسى سلا"الجديد،والذي يتفق المؤرخون أنها إنطلقت مع الإستقرار الأندلسي،ووصول المطرودين مع حقدهم الدفين على إسبانيا[1]،ورغبتهم العارمة في الثأر ممن ساموهم الذل وسلبوهم ممتلكاتهم،وشردوهم من أوطانهم،فتمركزوا في السواحل المغربية"كسلا"و"تيطوان" وغيرها،وقدبدأوا في تفعيل أليات الجهاد البحري منذ النصف الأول من القرن السابع عشر[2]،فبادروا إلى تضييق الخناق على مصالح أعدائهم الإسبان،وشن حرب استنزاف حقيقية طويلة الأمد،يمتد مجالها الحيوي من عرض الشواطئ المغربية إلى سواحل إيبيريا.

وقد سكن وباشر الجهاد البحري ضد الإسبان في هذه السواحل العناصر التالية:

1-الحرناشيون (Hornacheros):

وهم ينتسبون إلى مدينة "هورناتشوس"(Hornachos)، وهي إحدى بلديات مقاطعة بطليوس،التي تقع في منطقة "إكستريمادورا" في غرب إسبانيا،وهم مخلصون للعقيدة الإسلامية،ويجيدون اللغة العربية،إحتفظوا بألقابهم الإسلامية،ولم يخضعوا للتعميد،وهم إضافة إلى ذلك أصحاب إمتيازات وثروات،لعبوا دورا كبيرا في تأسيس وتشجيع الجهاد البحري[3].

2- الأندلسيون المنصرون"النصارى الجدد"(Cristianos nuevos):

وهم فئة من الأندلسيون اللاجئون الذين يمزجون بين المظاهر الكاثوليكية الإسبانية،والشعور بالإنتماء إلى العالم الإسلامي،وقد وصلوا بأسماء إسبانية ،ويجهلون العربية،لكنهم يمتلكون القوة العددية الرئيسية في المنطقة،ولذلك سيكونون إلى جانب الأخرين القوّة الرئيسية في تسيير عمليات الجهاد البحري وكان من بينهم الكثير من القادة ورياس البحر في العهد السعدي الأخير.

---

(1) سارعوا إلى تنشيط أدوات وآليات الجهاد،بملاحقة السفن الإسبانية،ومفاجئة سواحل إيبيريا،منذ إستقرار آخر أفواج النازحين إلى مصب أبي الرقراق،وهو ما تؤكده بجلاء،شهادة أحد الإسبان بقوله:÷... بمجرد وصوله إلى المغرب،يعلن المورسكي عن إسلامه صراحة،ويلجأ إلى المجاهدين البحريين،وأصبح بعد ذلك يقوم لعدة سنوات بالتهب والسلب على الشواطئ الإسبانية،فحصل بذلك على مغانم هامة إلى أن أصبح يمتلك سفينة خاصة،وظل كذلك إلى أن أصبحت له ثلاث عشرة سفينة،يهاجم بها السواحل الإسبانية،سالبا وناهبا الرجال والنساء والأطفال،وبهذا ينتقم للإهانة التي تعرض لها بإسبانيا كما يقول ...× أنظر محمد رزوق : **الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16و17م**،ط1،مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1991،ص323.

(2)نفسه،ص16.

(3)ليلى مزيان: سلا خلال القرن السابع عشر،أرض المنفى للمورسكيين على الساحل الأطلسي المغربي. Laila Maziane: **Salé au 17 émes siecles,terre D'azile morisque sur le littorale Atlanique Marocaine**,in cahiers de la mediterranée,n 79,2009,p02 .

وقد ساهموا في العهد الإسماعيلي ،وتأقلموا مع النمط الإجتماعي والثقافي السائد في كل المدن التي هاجروا إليها كسلا[1].

3- المدجنون (Mudijares):

وهي عناصر أندلسية كانت خاضعة للإسبان قبل سقوط غرناطة، وسكنت في مقاطعات بلنسية وأرغون وقرطبة و إشبيلية وحتى ليون، تنصرت طوعا،وأطلق عليهم الإسبان إسم الموريسك(Morisque) [2]،وعلى اليهود إسم "مارانوس"(Maranos)،وأنصهروا داخل المجتمع الكاثوليكي،قبل أن يجبرهم قرار الطرد على الجلاء بدورهم،لذلك كانوا فاقدين لكل ما تبقى لهم من مقوماتهم الأصلية،،محرومين من ثرات أجدادهم الفكري ،وكتب دينهم ولغتهم،ولذلك سماهم البعض بمسيحي قشتالة وأراغونة،و يدل ذلك على طول مكوثهم بهذه المناطق ،وإختلاطهم بسكانها،ولربما كانوا هم الراغبين في تحقيق تقارب مع الإسبان كلما سنحت لهم الفرصة،فمنهم أسماء إسبانية مثل(Vergas) تغير إلى بارقاش و(Pelafres) إلى بلافرج،ثم (Blanco) إلى باركو،و(Cararsco) إلى كاراشكو[3].

ففي رسالة من "جورج ماسكاريناس" (Jorge Mascarenhas) إلى فيليب الثالث ،بتاريخ ماي 1698م،يخبره فيها بأنهم مسيحيون ويطلبون الله بأن يموتوا في إسبانيا.

4- الأعلاج :

وهي الفئة الأخرى التي إتخذت من سلا محطة للقرصنة،وكلمة العلج تعني لغويا الرجل الشديد الغليظ،وأعتلج القوم، أي أتخذوا صراعا وقتالا،أما إصطلاحا فيقصد بهم المسيحيون الأسرى أو غيرهم الذين إعتنقوا الأسلام،ويورد الأستاذ "بن نصار"(Benassar)أن نسبة 13.98% من العلوج، رجالا ونساءا ، الذين قدّموا أمام محاكم التفتيش ،صرحوا بأنهم أختاروا بكل رغبة وطواعية

(1)ليلى مزيان،المرجع السابق ،ص11.

(2) أول إشكالية تصادف الباحث في هذا الصدد، هو إلى أي حد يمكن إضفاء المصداقية على إعتماد لقب "المورسكي" كصفة للدلالة على الأندلسي المنصّر، ورغم شيوع اللقب وإعتباره مصطلح تاريخي متدول،فإن القبول بهذه اللفظية فيه نوع من التجني على العناصر الأندلسية،وإقرار بوضعياتهم التي يعتقدها من أسدل عليهم هذا اللقب،بم يحويه من تحقير وإنتقاص من قدرهم،إذ ما عرفوا بذلك إلا من طرف مضطهديهم كأصاغر أذلاء،وما حرص على إستعماله للدلالة عنهم إلا في المؤلفات المسيحية،وبالمقابل لم نقف من خلال المؤلفات المغاربية المعاصرة للقرنين 16م 17م،على من يذكرهم من دون لقب الأندلسيين أو بلقب الغرباء عند الإشارة على من أجبروا على التنصر بالأندلس.

(3)ليلى مزيان: **سلا خلال القرن السابع عشر،أرض المنفى للمورسكيين على الساحل الأطلسي المغربي**، المرجع السابق، ص11.

إعتناق الإسلام[1]،و لم يرغموا من طرف المغاربة على ذلك ،وأثنى عليهم المغاربة، بأنهم يتصفون بالنزاهة والشرف والإستقامة والتمسك بالإسلام ، بينما يورد المؤرخون أن بعضهم كان لا يحظى بالود من طرف المسلمين،لكونهم كانوا يتظاهرون بالإسلام ،ولا يقومون بتادية الشعائر الدينية، كما كانوا يتزوجون فقط بالعلجات أو الأسيرات من المسيحيين،وقد أجاب أهل الدلاء محمد الشيخ بن زيدان بقولهم:÷... وأنت تعمل بتدبير وإشارة الأعلاج المجبولين على طبائع الخداع والغش...× [2] وقد نجح الكثير منهم في التفوق وأصبحوا في أعلى مراتب الجند والتأثير في أعلى مستويات الدولة السعدية أو حتى في العصر الأول للدولة العلوية[3] .

وهكذا إزداد دور الأعلاج بالمغرب في عهد السعديين،واستمر تواجدهم إلى العصر العلوي،أي خلال القرنين 17م و18م، حيث ويتكون أغلبهم من الجنود الفارين من المراكز الإسبانية ؛ كمليلية وحجر بادس،وسبتة،ومن الأسرى الذين اعتنقوا الدين الإسلامي،وقد ساهم هؤلاء الأعلاج في مهام مختلفة، منها حركة الجهاد البحري،فكل الحملات البحرية،ضد السواحل الإسبانية والسفن الموجودة في أعالي البحار،كان هؤلاء من طواقمها،وتكاثر الأعلاج في عهد السلطان مولاي إسماعيل،فكانت"سلا" والرباط وتطوان ،أهم المراكز الخاصة بهم ،فمنهم "الرايس بيي" قائد أسطول سلا،و"بلاميثو"و"كريبيو"و"كرامكو"و"تيلو" وهم كلهم من أصل إسباني[4].

يؤكد الكثير من المؤرخين مهارة الأعلاج التقنية والقتالية ،مشكلين بذلك قوة ضاربة على متن السفن،ويضطلعون بأدوار القيادة في الحملات،فمن بين الرياس العشرين الموجودين في النصف الثاني من القرن 17م،شكل الأندلسيون نصفهم،وتنوع الباقي بين الأعلاج والأتراك والمغاربة،وهم المتفوقون في صناعة وإستعمال مختلف الأسلحة،ومنهم كذلك" أمارودياز" (Amaro Diaz)العلج

---

(1) بارتولومي وليسيل بن نصار:مسيحيو الله، التاريخ الإستثنائي للأعلاج في القرنين 16و17م، Bartolomé et lucile Bennassar: **Les chrétiens D'allah,L'histoire Extraordinaire des renégats(xvi/xvii)**,ed .prerrin,paris 1991,p202.

(2) أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ج04، ص101 .

(3) (R.dozy:**lettre a M.Fluster,contenant des remarques critiques et explicatives sur le texte d'al-makar**i,paris1871,p39

(4) الصديق بن العربي: **طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب**،في مجلة تطوان،العدد01،يصدرها مركز الأبحاث المغربية والأندلسية، تيطوان 1956 ،ص157.

الإسباني الذي قام بنهب الشواطئ الإسبانية ،واستولى على ثلاثة عشرة سفينة إستعملها في القرصنة[1].

ب- مظاهر الجهاد البحري السلاوي ضد الإسبان:

ففي هذا الإطار إنتظم المجاهدون البحريون بمختلف أصولهم، إلى تجهيز حملات على شكل مجموعات تضم كل منها ثلاث إلى خمس سفن شراعية مجهزة بالمجاديف،ومحماة بطاقم من 100إلى 150فردا،مدعومين بالمدفعية ومختلف الأسلحة،وكان موسم الجهاد يبتدئ مع ملاءمة الموسم الملاحي بالأطلسي مع حلول أفريل إلى مطلع شهر أكتوبر غالبا[2].

أما مجالات الجهاد البحري ،فتنصب على إرتياد المنطقة الممتدة بين رأس "القديسة ماري" و"رأس الروك" على الشواطئ البرتغالية شمالا،إلى نواحي جزر" الأزور "و"ماديرا"،في إنتظار ورود الأساطيل الإسبانية الأتية من الهند الغربية(أمريكا اللاتينية). ثم منطقة الكناري ؛ حيث يتم إعتراض السفن المحملة بالذهب والفضة،والسلع المختلفة الأتية من تلك المناطق[3].

وبإنتباهنا إلى خريطة عمليات السفن الجهادية،ونجاحها سنوبا في تحقيق المغانم على السفن والسواحل الإسبانية،بصورة مستمرة ومتعاظمة موسما بعد آخر،نفهم الضرر البليغ الذي تعرضت له المصالح الإسبانية،مع العلم أن مشارف الخطوط الأطلسية التي ترتادها سنويا ،أزيد من مائتي سفينة تجارية إسبانية بمحمولاتها الثمينة،وإعتراض مجالها البحري المفضل،في المنطقة الممتدة في شكل مثلث (الخالدات،الأزور،المضيق)،والمحدود عموما بالخط الأفقي الموازي لرأس "فينيستر(Cap Finisterre) في الشمال[4].

ولتبيان حجم الخسائر التي تعرضت لها الملاحة التجارية بالمحيط عموما،وخاصة منها الملاحة الإسبانية،يؤكد المؤرخون بأن جبايتها كانت تفوق أكثر من مداخيل سنة واحدة ضريبية في عموم المغرب،على عهد مولاي إسماعيل،وخاصة إذا أعتبرنا بأنه وحده يملك أكثر من نصف السفن الجهادية القرصانية.

---

(1)ليلى مزيان: **سلا خلال القرن..**، المرجع السابق،ص13.

(2) حسن أملي:**الجهاد البحري بمصب أبي الرقراق**،ط1،منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء1997،ص20.

(3) نفسه.

(4)دوكاستري: المرجع السابق ، م.م.ت.م: السلسلة 01،فرنسا،مج03،ص503.

ومن مظاهر الجهاد البحري،ما جاء في رسالة وجهها"بيير دي كاتلان"(Pierre de Catallan) إلى كولبير بتاريخ15ماي 1684م،يعلمه فيها بتعرض سفينة إسبانية للقراصنة المغاربة،وأنهم غنموا ما بها من أشخاص وسلع،منها 37مدفع،و14أسير،وغنائم أخرى.وفي رسالة مشابهة مؤرخة في 29 ماي 1984م،يذكر فيها غنم المغاربة لسفينة على متنها 37مدفع وكمية كبيرة من الفضة وسلع مختلفة[1].

وفيما يتعلق بدور الجزائريين في هذا المسار ، فرغم التنافر والعلاقات الحذرة بين الجزائر والمغرب الإسماعيلي،إلا أننا نرى تلك الفجوات التي تنبع من حال – أنصر أخاك ظالما أو مظلوما – فنرى حومة للسلاويين في الجزائر،ومثلها في ميناء سلا،وفي باقي المدن التي تأوي أبناء البلدين،ويستعملون موانئهم لخدمة مصالحهم،يقفون صفا في مناوئة العدو الإسباني،سواءا في الجهاد البحري أو في بيع الغنائم البحرية،والأمر ينبع من حكام الطرفين الذين يؤيدون تلك العلاقات بين سكان البلدين،وحتى بين القيادات السياسية والعسكرية.

وأمام تعرض مصالحها التجارية للقرصنة والهجومات،إضطرت إسبانيا إلى إعادة تعزيز أسطولها البحري في المجالات التي يرتادها المجاهدون البحريون،إلى جانب سياسة خفر أساطيلها التجارية وسواحلها الغربية الجنوبية لمنع المهاجمين من الوصول إليها،بعد ما لمست فشل جهودها في تأمين ملاحتها بغير ذلك[2].

وعلى ذكر المجاهدين البحريين السلاويين،والتيطوانيين،لا بد لنا أن نذكر تلك الأعمال القرصانية التي قام بها القراصنة الإسبان أنفسهم ضد المغاربة،والأساطيل الأوروبية،فهذه رسالة من "جون دي مونتار" (Jean de Montart)وكيل قنصلية "قادش" إلى كولبير،بتاريخ13 أكتوبر1669م جاء فيها :÷...بأن تجار فرنسيين كانوا على متن سفن تجارية،قرب الشواطئ المغربية،قد تعرضوا لأعتداءات من طرف قراصنةإسبان،في محيط مدينة "سبتة.."×ويطلب منه التدخل لحماية هؤلاء[3].

تدل المصادر الفرنسية أن بعض القراصنة الأوروبيين كانوا يعملون لصالح إسبانيا ومنهم من جاء من مدينة "دانكيرك" ومن الأراضي الواطئة،تحت أسماء إسبانية فهذا "بيير كولان"(Pierre

(1) "ميزين"و "بتروتان ديمون"، المرجع السابق ،المجموعة الأرشيفية الغير منشورة، رقم (AE/B/I/212/FOL:220-221)و(AE/B/I/212/FOL:222,2235).

(2) حسن أملي: المرجع السابق،ص24.

(3) "ميزين"و "بتروتان ديمون"، المرجع السابق ،المجموعة رقم (AE/B/I/211/FOL:14,14V) .

Collant)أصبح اسمه الجديـــد الإســـباني "بيـــدرو كـــولاني"(Pedro Colatri) و"أنطـــوان ميني"(Antoine Mény)أصبح يسمى "الدون أنطونيو"(Don Antonio Meni)وهذا في السنوات مابين 1666م إلى غاية 1668م،على متن سفن ذات أسماء مختلفة ،مثل "ســـانت لـــويس"(Saint Louis)و"سانت ماري"(Saint Marie)و"سانت يعقوب"(Saint Jacob)[1].

(Patrick villiers:**les corsaires du littoral(1568/1713)**press univ,septentriom2000,p146,148 .1)

المبحث الثالث

قضايا الأسرى بين البلدين

إن موضوع الأسرى قد ترتب في إطار الإحتكاك الحضاري ،والعسكري، والقرصنة بين البلدين،ومن ضمنها المغرب ودول أوروبا الغربية المسيحية،فهكذا نجد الأسرى يباعون في الأسواق المغاربية التي إشتهرت بهذا النشاط كالجزائر وتونس وطرابلس الغرب،وتطوان وفاس ومراكش،ثم سلا،بينماا كان الأسرى المغاربة يباعون في الأسواق المسيحية،كالبندقية وجنوة ومالقا وبلنسية،وليفورن[1].

ترتب على هذه الظاهرة تحرك بعثات مغربية،وأخرى مسيحية،من أجل إفتكاك الأسرى من الجانبين ،سواء عن طريق مبادلتهم أو شرائهم،وفي هذا الإطارنشطت الديبلوماسية المغربية،والبعثات الدينية الإسبانيةالتي لعبت دورا كبيرا في مسألة الأسرى.

وقد تمّ التركيز على الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي والربع الأول من القرن الثامن عشرميلادي، بسبب تزايد أعداد الأسرى الإسبان بعد سقوط الثغور المحتلة،وهي المعمورة والعرائش وأصيلا،وأسر أعداد هائلة من الضباط والجنود الإسبان[2].

هذا فضلا عن العمليات التي كان يقوم بها قراصنة سلا في مهاجمة السفن الإسبانية والذي نتج عنه العديد من الأسرى الإسبان .

أ-الأسرى الإسبان في المغرب (1659م-1727م):

ذكر الأب"خوان دال بيورتو"(Juan de Puerto) في سنة 1672م،بأن الأسرى الإسبان بلغ عددهم بسلا وحدها حوالي 250 أسير، حيث كان الأسرى الإسبان يمثلون أكثر من النصف ،ثم زاد عددهم بالآلاف،إلى أن نقص إلى 400 أسير سنة 1708م ثم إلى 200 أسير سنة 1723م[3].

أما عن أوضاع حياة الأسرى الإسبان في المغرب،فقد كانت لهم حظوظ كبيرة ،عكس ما كان عليه الأسرى المسلمين على متن قاليرات السفن الإسبانية ،فقد أصدر السلطان مولاي إسماعيل أمره لرؤساء الأسرى بألا يجبروا هؤلاء على الإشتغال خارج ساعات العمل المحددة،وأن

---

(1)بارتولومي وليسيل بن نصار:المرجع السابق، ص 19.

(2) أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص ص63،64.

(3)ليلى مزيان:**الأسرى الأوروبيين في الأراضي المغربية**...،المرجع السابق،ص13.

لايضربون،وأن لا توضع السلاسل في أرجلهم أوأيديهم،ولا يلزم ذلك إلا المتعين إجرامه لسرقة أو محاولة فرار[1].

فقد حاول أسير إغتيال السلطان،بإطلاق رصاصتين عليه فلم تصيباه،فعاتبه السلطان على فعلته وبكل هدوء بعثه إلى الورشات ليعمل مع بقية المسيحيين[2]،وكان السلطان يتعهد شؤون الأسرى ويقف على أحوالهم بنفسه، و ينفق عنهم من أموال الدولة وما يأتي من هبات من الدول الأروبية[3]،و ضمن لهم حرية التدين ، فكانوا يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية،ويقيمون حفلاتهم الدينية،ويدفن الأموات منهم حسب شعائرهم في مكان مخصص لهم،وجرت العادة أن يعرض السلطان على الأسرى المسيحيين المعروضين عليه إعتناق الإسلام،ويوضح لهم أنهم بإسلامهم يستطيعون التمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها رعاياه،ويعدهم بالحرية،و لم يجبر أحد على إعتناق الإسلام عكس ما يدعي الأوروبيون من أن أسراهم كانوا يعيشون في ظروف مزرية ويجبرون على ترك ديانتهم[4].

ويجدر بنا أن نعطي وصفا موجزا لحفلة من تلك الحفلات التي كانت تقام بمناسبة إعتناق الأسير الإسباني للديانة الإسلامية،كما وصفها أحد الأسرى وهو الأسير "مويت"(Mouette)،فعندما يبدي الأسير رغبته في إعتناق الدين الإسلامي،يتم إخراجه من مراكز الأسر،ويؤتى به إلى المسجد الأعظم صحبة قائد الأسرى الإسبان،وهناك يقدم أمام القاضي والإمام،وتلقن له الشهادة،فيرددها مرارا،إلى أن ينطق بها سالمة،ثم يعلمونه قواعد الإسلام ثم يخرج الجميع إلى الشارع،فيمتطي الأسير صهوة جواد ويخترق الموكب أزقة المدينة،فيصبح العلج منذ ذلك الحين فردا من المسلمين[5].

وبعد إعتناقه الإسلام يتم تزويده بعشرين أوقية ومترل وبعض الحيوانات ،ويتم تزويجه، وتعطى له بعض اللوازم للحياة وللعمل.

---

(1)ألبير سافين:في أغلال المغرب أصداء للأسرى المسيحيين في المغرب خلال القرن 17و18م. . . Albert Savine: **Dans les fers du maghreb, recits de chretiens esclaves au maroc,au 17éme et 18éme siecles**,ed.louis méchaud,paris,pp 14.55.

(2) زهراء إخوان:**صورة المغرب في أوروبا في القرنين 17و18،من خلال بعض الكتابات الأوروبية**،في مجلة منبر الجامعة،،جامعة مولاي إسماعيل،مكناس 2001، عدد03، ص66.

(3)ألبير سافين:المرجع السابق،ص100.

(4)نفسه.

(5) الصديق بن العربي: المرجع السابق ،ص157.

ب- دور البعثات الدينية الإسبانية في قضايا الأسرى بالمغرب:

طرح موضوع البعثات الإسبانية إلى المغرب الكثير من التساؤلات،ومن بينها ما حقيقة هذه البعثات الدينية التي كانت تأتي إلى المغرب؟وما الدور الذي لعبته في قضايا الأسرى؟

فنلاحظ أن البعثات الدينية التي إنتقلت إلى المغرب،كانت تتكون من ثلاثة مجموعات دينية مسيحية وهي:

1- مجموعة الثالوت المقدس(Les trinitaires):

وينسبون إلى أخوية (La sainte Trinité) وقد تم تأسيسها في إسبانيا سنة 1198م على يد "سان خوان دو ماطا"(S.jean de Matha).

2- مجموعة الفرنسيسكان (Les franciscans):

وهي مجموعة دينية كاثوليكية،أسست من طرف القديس "فرنسيس الأسيزي" (Francois d'assaise) عام 1208م وثبتها البابا "أنوشينسيوس الثالث"سنة 1209م.

3- مجموعة "المرسيدير"أو(les Mercedaires):

وينتسبون إلى أخوية السيدة الرحيمة (Notre Dame de la Merci)،نشأت في غرناطة سنة 1208م من طرف القديس "بيير تولاسك" (Pierre Tolasque)،صادق عليها البابا "غريغوار السادس" عام 1235م.[1]

وتتفق معظم المصادر على أن التنافس والصراع البيني، كان موجودا قائما بين رجال البعثة الفرنسيسكانية،وبين مجموعة الثالوث المقدس،على كيفية الإنتشار بالمغرب،وهذا ماتؤكده واقعة الطرد الذي تعرض لها رجال البعثة الفرنسيسكانية من المغرب،وإنسحابهم المؤقت إلى مدينة "سبتة".

ففي هذا الإطار وحين بسط المولى الرشيد سيطرته على مراكش،تقدم إليه الرهبان بإلتماسا بالبقاء في مملكته،فسمح لهم بذلك ،وأذن لهم ببناء دير في مدينة فاس،التي كانت فيها أنذاك ثلاثمائة 300 أسير،و أن يأتوا بما شاؤوا من الرهبان.[2]

---

(1) عبد الحي بنيس:**البعثات الدينية الإسبانية إلى المغرب ودورها خلال النصف الثاني من القرن 17**، ط 1،منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية،الدار البيضاء1997،ص32.

(2) بديعة الخرازي: المرجع السابق ، ص31.

وعندما وصل مولاي إسماعيل إلى الحكم سنة1672م،قام بترحيل أسرى مراكش إلى فاس،ومنح رجال الدين الإسبان الإذن بالبقاء فيها،ووعدهم بالمساعدة وتوفير العيش الحسن لهم في مملكته،حيث بنوا كنيسة في فاس سميت "بكنيسة الولاّدة الطاهرة".

هذا الإستقرار لم يدم طويلا،إذ تم طرد الرهبان الفرنسيسكان سنة1677م،وعوضوا برهبان المذهب الثالوثي الذين عينوا من قبل المجمع المقدس ،وجاؤوا إلى المغرب وألتمسوا من السلطة إقامة مستشفيات في فاس وتطوان وإفتداء الأسرى(1).

هذه المجموعات أسست لأغراض مختلفة،فإذا كانت الحركة الفرنسيسكانية تهتم بالسهر على الحياة الدينية والروحية للأسرى الإسبان،فإن مهمة المجموعتين الأخيرتين،كانت تعمل على جمع الصدقات والهبات من أجل إفتكاك الأسرى من المغرب .

ومن رجال البعثات الفرنسيسكانية في المغرب الأب"ألونزو دو جيسيس ماريا"(P.Alonzo de Jesus Maria)،الذي أقام بالمغرب مابين (1656م-1658م)وكذلك الأب لويس دو سان أغيستان(Louis De San Augustan) الذي عمل مابين (1670م-1672م)،ثم الأب "ألونزو دو لاكونسيبسيون"(Alonzo de la Coseption)فيما بين (1672م-1675م)،وفي تيطوان أقام الأب "فرانشسكو فرناندو دو سان خوسي"(P.fernando de San José)ما بين (1675م-1677م) ثم جاء بعدهما الأب "دييغو دو لوس أنخليس"(Diego de los Angeles) الذي كان بالمغرب في الفترة مابين (1692م/1695م)(2).

أدّى كثرة الأسرى الإسبان بالمغرب،إلى إنتشار اللغة الإسبانية ،وكان تنظيم مثل هذه الرحلات إلى المغرب لايتم إلا بعد حصول رجال البعثة الدينية على إذن من ملك المغرب،كما حذث بالنسبة لظهير سلطاني وجهه المولى إسماعيل إلى الأب "دييغو دي لوس أنخليس" (Diego de los Angeles) جاء فيه :

«... ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،لا رب غيره ولا معبود سواه،لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون،إسماعيل إبن الشريف الحسني أيده الله ونصره،وأيد أوامره وظفر جنوده وعساكره،أمين يارب العالمين.

---

(1) بديعة الخرازي: المرجع السابق ،ص 31.

(2) عبد الحي بنيس: المرجع السابق ، ص ص 33،34.

يستقر هذا الظهير الكريم والأمر الحسيم الصميم المتلقى بـــالإجلال والتعظيم،بيـــد حاملـــه الفرايلي(الورديان دياكو دي لوس أنخلس) في وقته ،يتعرف من يقف عليه أننا أعطينـــاه الإذن في المقام ببلادنا،هو وإثني عشر فرايلي مـــن جنســـه، مـــن الأندلوســـية البروفنســـية"دي ســـان دييغو"وأعطيناهم جميعا الإذن بالبقاء في أيالتنا،حرسها الله تعالى ،وذلك بقصد معالجة النصـــارى الأسارى،ومداواتهم ومعافاتهم ،وأذنا لهم أن يعملوا من أحبوا في حاضرة فاس وثغري تيطوان وسلا على يدهم من هذا العدد المذكور ومن شـــاؤوا،ومهما أحبـــوا الإنصـــراف فهـــم "ســـيكورو ليبرس"ومعناها بالعربية مأمونون مسرحون،بحيث لا معارض ولا منازع ولا مدافع،وكما عهـــدنا لهم أن يكونوا في الخدمة والإمتثال لما أمرناهم به فألتزموا ذلك،وقبلوه،والواقف عليه يوفي لهم بذاك العهد،ويعمل بمقتضى هذا الظهير الشريف،ولا بد،والسلام على من إتبع الهدى،وكتب في أوائـــل ربيع الثاني عام عشرة ومائة وألف». أي 1698/10/10م.

وفي هذا الإتجاه نفسه، أصدر المولى إسماعيل كثيرا من الظهـــائر الـــتي ظمنـــها إمتيـــازات كثيرة،بدأ بمنح الرهبان حرية الإقامة والتنقل وممارسة العبادات والأعمال الإنسانية وإنتهاء بـــإلزام كل من في مملكته بإحترام هذه الظهائر والإلتزام بقراراتها .

يقول في أمر ملكي أخر عام 1111هـــ/1699م

«وتعالى عما يصفون.

الحمد لله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،لا رب غيره سبحانه.

إسماعيل إبن الشريف الحسني رعاه الله،كتابنا هذا،أسماه الله تعالى وأعـــز أمـــره...بيـــد حاملـــه الفرايلي"دياكو" يتعرف منه أنا أذنا له أن يبعث الفرايليين الإسبانيول الذين يذهبون ويجيئـــون في سخرتنا،وهم معروفون لخدمتنا،فلا سبيل لأحد من رياس سفننا والفرسان أينما وجدوهم وأينمـــا خرجوا فيهم،فليتركوا سبيلهم ولا يتعرضوا لهم بمكروه،ولا يطالبهم بشئ،فهم منا على أمن مـــا داموا في خدمتنا وسخرتنا،ولما نأمر خدامنا بالمراسي الذين بإيالتنا الشريفة ...ولا يطالبهم بشـــئ ومن تعرض لهم أو فتش صندوقا من صناديقهم،أو طالبهم بإعطاء شئ ،لا يفر من عقوبتنا،والوقف عليه يعمل به ..كتب في الثالث من ذي الحجة الحرام 1111هـــ»[1].

كما أن ملوك إسبانيا يعطون تراخيص لرجال البعثات الدينبة،لتنظيم مثل هذه الرحلات،والتي كانت تقليدا في إسبانيا،إذ كان على رجال الدين بهذا البلد طلب الإذن من ملكها للسماح لهـــم

(1) بديعة الخرازي: المرجع السابق ،ص33.

بالسفر إلى المغرب من أجل إفتكاك الأسرى،وقبل تسليم الإذن الملكي لرجال البعثة،يتم التصـــديق عليه من قبل المجلس الإستشاري للملك[1].

وكان أفراد البعثات الدينية الإسبانية الذين يأتون لرعاية الأسرى الإسبان،والإقامة معهم بالمغرب لمدة طويلة، يتزلون بجانب الأسرى في سجونهم أو بالمطامير المخصصة لهؤلاء.

تم إسناد قضية إفتكاك الأسرى لرجال البعثات الدينية نتيجة لرفض سلاطين المغرب إدراج أي إتفاقية سلام بينهم وبين بلاط إسبانيا.[2]

وذلك بسبب تراكم العداء الشديد بين الدولتين،فقد بلغت فيها الرحلات الـــتي نظمتـــها المجموعات الدينية الثلاث إلى المغرب،حسب المؤرخين 82 رحلة في الفترة مابين 1575م –1764م تم خلالها إفتكاك 15500 أسير إسباني[3]،ومن بينها الرحلة التي قام بها" المرسدير" سنة 1645م إلى تطوان ،تمكنوا خلالها من خلالها إفتكاك 210 أسيرا إسبانيا،ثم رحلة التي قام بها "الترنتير"ســـنة 1669م إلى نفس المدينة ،بواسطتها أفتكوا 127 أسير ،وفي سنة 1674م نظم هؤلاء أيضا رحلـــة أخرى إلى تيطوان ،وأفرجوا عن 128 أسيرا إسبانيا.[4]

وبعد سقوط ثغري المعمورة والعرائش بالخصوص إزداد عدد الأسرى الأسبان،مماجعل هـــذه البعثات يكثفون نشاطاتهم بالمغرب،مثلما حدث في سنة 1690م بالنسبة لرحلة كل من الرهبـــان "فراي خوان مونور"(Fray Juan Munor)و"ألفريس ميقايل برادو(Alfred Miguel Prado).

بالإضافة إلى ذلك التأطير الديني، والرعاية الصحية.فقد تمكنوا من الحصول علـــى موافقـــة المسؤولين المغاربة لإقامة كنائس صغيرة، أشرفوا فيها على تعميد 40 حالة ما بين 1684م و1700م للمسيحيين غير الكاثوليكيين،وأشرفوا على 19 حالة زواج مابين سنتي (1689م–1698م) وتأبين حوالي 15حالة وفاة، بين سنتي (1690م–1700م). [5]

---

(1)دوكاستري: المرجع السابق ، م.م.ت.م،السلسلة 02،فرنسا،مج01،ص ص438،439.

(2) عبد الحي بنيس: المرجع السابق،ص38.

(3) إلينق فريدمان:الأسرى الإسبان في شمال إفريقيا. . Elleng Fridman:**spanish captives in north africa . . in the early age**, wiscosin 1983,p129.

(4) نفسه،ص37.

(5) هنري كوهلر:الإعدامات الهمجية لمولاي إسماعيل على الأسرى المسيحيين. . Henry koehler:**les exécutions sanglantes de moulay ismail et les captifs chretiens,d'après un manuscrite inédit de son temp**,bulletin hispanique,tome 35,1933 pp 428.447.

إن إزياد أعداد الإسبان بالمغرب خلال هذه الفترة وإنشغال المسؤولين الإسبان بمصير هؤلاء،وبالخصوص بعد الوباء الذي عرفه المغرب في سنة 1691م،والذي ذهب ضحيته حوالي 328 أسيرا إسبانيا،هو ما جعل ملك إسبانيا "كارلوس الثاني(Carlos ii)أن يكلف رجال البعثات بإقامة مستشفى، وصيدلية لعلاج الأسرى بمدينة مكناس، وذلك سنة 1693م،وفعلا تم شراء أرض وبني عليها مستشفى، وصيدلية وكان يسهر على تسيير هذا المستشفى إثنا عشر فردا من رجال البعثة،و كان تمويله يعتمد يتم على الصدقات والهبات،ومساعدات ملك إسبانيا [1]،هذا المستشفى كان يعالج أمراض الحمى وكسور العظام والجروح الخطيرة والأمراض المعدية،وضربات الشمس،أما الصيدلية فكانت تحتوي على حوالي 110 مادة صيدلية متنوعة.[2]

بينما زعمت المصادر الإسبانية والفرنسية على أنه كان متشددا مع الأسرى المسيحيين،وخاصة الإسبان منهم ،وقتلهم لمجرد التسلية،ففي 28ديسمبر1684م أوردوا قتل مولاي إسماعيل الأسير الإسباني بالتسار دوكاستيلو(Baltssar de Castillo) بضربة رمح، وفي نفس اليوم قتل كل من الأسرى بارتيليمي(Barthélemy n)و بيار دو سيلار(Pierre de Cuellar)وجيمي كزاراس(Jaimie Casares)بطلقة نار،وفي يوم 15جانفي 1685م قام بقتل الأسير الإسباني فرنسيسكو كوليكسوس (francisco Collexos)،وفي 19 ماي 1685م قتل أيضا برمح الأسير "أونطونيوتكادا" (Antonio Taguada)، وفي 01 جانفي 1686م قتل جوزيف فرناندز(Joseph Fernandez)برمح،وقد قتل حسب الوثيقة، كل من ألونزو سييرا (Alenzo de Siera) وبيرنارد دو ريدا Bernard de Rueda"وجيروم بينودا"Gérome Pineda"و بيدرو ألاران" Pédro Alaran"وبانكوردو دو جان"Pancordo de Jaen"وديغو دو سوتو"Diego de Sotto" ثم فرانسوا دي شوسو"Francois Chuso" وبارتيلومي إسبينوزا"Bartholomé Espinosa"وأنطوان سالقادو"Antoine Salgado وخوان غريغوريو"Juan Gregorico"

ثم سالفادور بريتو"Salvador Prietto"وفرانسيسكو ألفاريس"Francisco Alvrez"وقاريا دي ليبريسا"Garia de Libresa" وغيرهم الكثير ممن دفعوا حياتهم في الأسر،وهذا طيلة حياة مولاي

(1) إلينق فريدمان:المرجع السابق،ص101.

(2) هنري كوهلر:المرجع السابق،ص ص428،447.

إسماعيل. [3]وهذه عينة من تلك المزاعم التي إحتضنتها الكتابات المغرضة للمؤرخين الأروبيين للنيل من شخصية السلطان مولاي إسماعيل.

ج-الأسرى المغاربة في إسبانيا(1659م-1727م):

لم تورد المصادر الغربية إلا القليل عن تفاصيل حياة ومعاناة الأسرى المسلمين والمغاربة خاصة في أوروبا،في القرنين السابع عشر والثامن عشر،وتؤكد كل الدراسات على أن الأسرى المغاربة في إسبانيا، كانوا يعانون من نفس تلك المأساة التي كان يعيشها إخـــوانهم في فرنســـا،من ربطهـــم بالسلاسل،والإرغام على العيش داخل السجون بالموانئ الإسبانية.فقد كان في إسبانيا حوالي ألف أسير مغربي[1].

أستخدم الأسرى كمجدفين على ظهر السفن الإسبانية،مكدسين،وعددهم يربوا على مائـــة 100 إلى 150 مجدفا ،حسب طول وعرض السفينة،وكانوا يعانون من جحيم التجديف، والعمل الشاق،ولم يستطع أحد أن يكشف أو يطلع على وضعهم المزري،نتيجة صنوف المعاملة القاسيةالتي كانوا يتعرضون لها. [2]

وقد تعاقبت في حياتهم ،كل أصناف العذاب.فنظام الأكل كان أسوأ ،والألبسة هـــي نفســـها حسب القوانين الأوروبية،ثم ضربات السوط التي كانت تتهاوى على الأجسام،إذ لم يحترم هـــؤلاء الإسبان حتى قواعد النظام العام هنالك.[3]

عمد السلطان "مولاي إسماعيل" إلى تحرير الكثير من الأسرى،حيث بعث سفيره "محمد الوزير الغساني" في نوفمبر 1690م لهذا الغرض،وعلى إثر ذلك تمّ تخليص ألف أسير.[4]

وفي إطار المساعي الإنسانية،ذات العلاقة بصلات الأخوة الإسلاميةوالمغاربية، ثم ما جـــاء في تدخل السلطان مولاي إسماعيل في مسألة تحرير الأسرى المسلمين وخاصة الجزائريين من ضـــمنهم وأكثرهم،في كل مفاوضاته مع الإسبان،حيث جاء في رسالة وجهها بتاريخ 12 من ربيـــع الأول سنة 1028هـــ،إلى فيليب الخامس،يطلب منه تحرير أسير من الجزائر،قال فيها:

---

(3) نفسه.

(1)دوكاستري:المرجع السابق، م.م.ت.م،السلسلة 02،فرنسا،مج03،ص453.

(2) جون مارتاي:المرجع السابق،ص200.

(3) نفسه،ص201.

(4)دوكاستري:المرجع السابق ، م.م.ت.م ، ص376.

«... إلى طاغية قشتالة، ليون،راغون،نبارة، ميورقة، منورقة الأندلسية العليا والسفلى وغيرها فيليب كينط.....أما بعد فقد ورد لمقامنا العلي بالله رجل مسكين من أهل جزائر مزغنة،وتلاقينا معه في يوم عيدنا المبارك القريب من التاريخ،وذكر لنا بأن ولده "محمد بن صوفة" أسير عندك في إيالتك إسبانية،وهو الأن في الغراب المسمى "قباطنة"....فلذاك كتبنا لك هذا الكتاب الكريم أسماه الله لتسرحه لنا بعد أن عيّنا نصرانيا واحدا من جنس الإسبنيول اسمه"منويل أبانيس"ووجهناه إلى مدينة تطوان[1]، يجلس بها إلى أن يقدم الأسير المسلم،نسرحه حتى هو بحول الله وقوته...والسلام على من أتبع الهدى.» .[2]

جاءت هذه الرسالة لتبين ذلك التواصل الأخوي بين الجزائريين والمغاربة في صراعهم ضد الإسبان،وتلاحمهم في مسائل إفتكاك الأسرى من الجانبين،كما تبين عمق العلاقات الثقافية والإجتماعية،وما الإستقبال الذي حظي به أب الأسير الجزائري إلا خير دليل على ذلك.

ونجد من جهة أخرى أن السلطان المولى إسماعيل إستعمل الأسرى الإسبان المتواجدين عنده كقوة ردعية في مسائل إفتكاك الأسرى المغاربة والمسلمين.فقد تدخل هذا السلطان في أكثر من مرة في إستخلاص الأسرى المسلمين،كما نستشف من الرسالة معرفة أهالي الأسير مكان تواجد ابنهم في الأسر،الأمر الذي يعطينا القدرة على إدراك وصول التواصل بين المناطق.

ويبين كذلك عمق الترابط الأخوي والديني،ومدى تأثير الخلفية الحضارية لهم على ما تفرزه الضفة الأخرى من تصادم في القيم والأخلاق ،وتبين كذلك المسعى الإستراتيجي الذي يلعبه الحاكم في علاقته مع المحكوم،وتبين نزييف الكتابات الغربية المغرضة على التاريخ المغاربي عامة،وسموم تلك الأفكار التي صدرت من جهات حاقدة ومتطرفة بنظرها إلى كل ما هو منظور من الجهة المغربية .

---

(1) مدينة مغربية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط،سكنها الأندلسيون بعدما خربها البرتغاليون والأسبان،وأصبحت من الموانئ المهمة في العهد العلوي،كان بها أهم قيادات السلطان مولاي إسماعيل ،وكانت من بين المدن التي أسست لذاتها إمارة محلية في عهد الفتنة التي حلت بالمغرب بعد موت أحمد المنصور،أنظر في ذلك مارمول كربخال:المرجع السابق ، ص ص 222-223.

(2) محمد الصغير اليفرني:المرجع السابق ، ص131.

ومما تقدم يمكن القول:

– إن العلاقات المغربية الإسبانية،في هذه الفترة،تميزت العلاقات بالحذروتخللتها أزمات وصراعات دامية،وبرز بشكل كبير ذلك التوازن الملحوظ في الميدان العسكري، الأمر الذي أدى إلى تحرير الكثير من الثغور المغربية.

– إن ذلك التوازن جاء نتيجة للضعف الذي تهاوت فيه المملكة الإسبانية،طيلة النصف الثاني من القرن السابع عشرالميلادي،وطيلة الفترات التي جاءت بعده.

– تخللت تلك العلاقات الصدامية،ظاهرة القرصنة،وهي من إحدى المؤشرات الأساسية التي تعبر عن ذلك التوازن بين الدولتين،من حيث أن هناك قرصنة موجودة في البلدين.

– تفشي ظاهرة الأسر بين الدولتين،وذلك نتيجة للتصادم الكبير والعداء الذي ظهر في تلك الفترة فبالرغم من تواصل حركة الجهاد البحري ضد الإسبان،فإن قراصنة "سلا" قد تم الحد من نشاطهم وأضحوا أداة في خدمة الدولة.

الفصل الثاني

علاقات السلم والمهادنة

إن العداء بين إسبانيا والمغرب،وما نتج عنه من صدامات عنيفة،نتيجة للإحـــتلال الإســـباني للأراضي المغربية، والحقد الكبير الذي يكنّه المغاربة للإسبان،ورغم ذلك فقـــد واكبـــت تلـــك العلاقات محطات وقنوات دبلوماسية، شرع فيهـــا كـــلا الطـــرفين جهودهمـــا لمـــد جســـور التواصل،للوصول إلى حلول أفرزتها وضعية الدولتين،وقد نتج عن ذلك نقاط إلتقاء منها:

- تبادل السفارات بين البلدين.
- دور الرسائل الدبلوماسية.
- المبادلات التجارية بين المغرب وإسبانيا وأثرها في العلاقات.

المبحث الأول

تبادل السفارات بين البلدين

لقد تعددت الإتصالات بين المغاربة والأوروبيين ،مع تفوق هؤلاء في الإطلاع والتعرف على هذه البلاد بشتى الوسائل، وبالأخص مع فرنسا وإنكلترا وهولندا، و لم تتوصل الدولتان المغرب وإسبانيا إلى إقامة علاقة ديبلوماسية ،كتلك التي أقامتها الدول الأوروبية الأخرى،بسبب عقدة العداء الشديد التي كانت بينهما،مما جعل الوسائل الديبلوماسية القليلة التي إعتمد عليها البلدين تتمثل في السفارات المتبادلة بين الدولتين.

أ- السفارات المغربية إلى إسبانيا(1659م-1727م/1069هـ-1139هـ):

لما إستلم الأشراف العلويون أمر المغرب،ووحدوا أطرافه ،وأجلوا الأجانب عن شواطئه،إتجهوا إلى الناحية الخارجية،وبدأ نشاطهم الدبلوماسي الذي نتجت عنه من الناحية السياسية والأدبية،ثروة قيّمة، تتجلى في رحلة واحدة على طوال هذه الفترة وهي التي قام بها أحد رجالات المخزن "أبو عبد الله محمد المدعو حمو بن عبد الوهاب،الوزير الغساني الأندلسي الفاسي،المتوفي سنة1119هـ/1707م[1].

هذا السفير كان أحد كُتّاب المخزن الإسماعيلي،وهو من عائلة مجيدة أندلسية، نزح سلفها إلى فاس ،وتُعرف هذه العائلة بأبناء الوزير، وكان محمد المدعو حمو أديبا شاعرا تجلت مواهبه في كتابه، الذي لخص فيه سفارته،تحت عنوان"رحلة الوزير في إفتكاك الأسير" حيث جاءت هذه الرحلة بعد خمسين سنة من رحلة أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي، الموسومة" بناصر الدين على القوم الكافرين" المختصرة برحلة الشهاب [2].

ففي سنة 1102 هـ الموافقة لعام 1690م،رحل الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني إلى إسبانيا التي كانت تحت حكم "كارلوص الثاني"[3]،في سفارة لديه،هذه السفارة أسترعت أنظار

---

(1) محمد الفاسي: **الرحلات السفارية في عهد العلويين** ، في مجلة البينة،السنة الأولى،1962، عدد05،ص15.

(2) محمد الغساني الأندلسي:**رحلة الوزير في إفتكاك الأسير(1690م-1691م)**،تحقيق،فوزي الجراح،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبوظبي2002 ، هامش رقم1 ، ص11 .

(3) كارلوص الثاني أو شارل الثاني ملك إسبانيا من سلالة الهابسبورغ،ولد في مدريد سنة 1661م وتوفي بها سنة 1700م،ورث العرش عن أبيه فيليب الرابع،ثم خلفه فيليب الخامس بعدما إندلعت حرب الوراثة الإسبانية في إسبانيا،أنظر أكثر:- Marie-francoise Maquart:**L'Espagne de Charle ii et la France, 1665-1700**,press univ Murail, Toulouse 2000,p 07-10.

الباحثين،فألم بها كل من : "إ.ج.ستانلي"في كتابه"وصف سفارة من المغرب إلى إسبانيا سنتي 1690م و1691م ،صدر سنة 1868م « E.j.stanley:Account of an Embassy from Morroco to spain in 1690 and1691,jras,1868.»

وكذلك هـ.سوفير في كتابه :رحلة إلى إسبانيا لسفير مغربي سنتي 1690م-1691م،صدر بباريس سنة 1869م H.sauvaire:voyage en Espagne d'un ambassadeur marocain(1690/1691),paris1868. »

وهناك العديد من المؤرخين غربيين الذين تناولوا هذه الرحلة بالتفصيل،من إسبانيا،وفرنسا،فهذه السفارة كانت مهمتها السعي لتحرير الأسرى المغاربة في إسبانيا ،الناتجة عن الصراع المغربي الإسباني الذي دام أكثر من قرنين من الحملات والحملات العسكرية المضادةبيهما.

- أسباب الرحلة :

لقد كانت الغاية من هذه السفارة على حسب ما ذكر الوزير الغساني هي السعي في إفتكاك الأسرى،الذين كانوا بيد الإسبان،ثم البحث عن المكتبة المنهوبة ،حيث قال: ÷... كانت همته (أي مولاي إسماعيل) مصروفة لفكاك الأسارى واستخراجهم بيد من كانوا في يد النصارى،ليغتنم تواب فكاك الأسير ويفوز بما ورد في ذلك عن الرسول البشير$.....×.[1]

فالغاية من السفارة هي مسألتين، المسألة الأولى هدفها إنساني،ويتعلق بفداء وتبادل الأسرى،والثانية ثقافي،وتتعلق بمسألة الكتب الموجودة في "الأسكوريال"،وجاءت رسالة المولى إسماعيل إلى"كارلوص الثاني"المؤرخة في 16ذي الحجة1101هـ/13سبتمبر1690م : «...رددنا إليكم جواب كتابكم ووجهناه مع خديم دارنا العالية بالله ،كاتبنا ومتولي الخط الأقرب من بساطنا،السيدمحمد بن عبد الوهاب الوزير...وخديمنا عبد السلام بن أحمد جسوس معاشرا له ومرافقا...». [2]

- ظروف ومسار الرحلة:

خرجت السفارة من مدينة سبتة يوم16محرم1102هـ/ 19 أكتوبر1690م متجهة إلى جبل طارق،وتعرضت مثل العديد من الرحلات إلى مصاعب في الطقس،أجّلت إبحارها لعدة أيام،وسار

---

(1) لطفي عبد البديع:**وثيقة مراكشية بالإسبانية،كتاب مولاي إسماعيل سلطان مراكش إلى كرلوص الثاني ملك إسبانيا**،في مجلة معهد المخطوطات العربية، تصدر عن الجامعة العربية، ماي 1959، مج03 ،ج01، ص324 .

(2) عبد الرحمن بن زيدان:**المترع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**،تحقيق عبد الهادي التازي،ط1،مطبعة إديال،الدار البيضاء 1993،ص191.

الغساني بطول الساحل الإسباني بسفينته،ولم يترل إلى البر إلا في ميناء"قادش" وهنـــاك كـــان في إنتظاره إستقبالان،أحدهما رسمي،يتمثل في حاكم المدينة[1]،والآخر في عشرات الأســـرى الـــذين كانوا ينتظرون من يفك أسرهم،كانوا مطلقي السراح،ولكن حالتهم كانت بائسة،يقومون بأحط الأعمال ،كما كانوا معرضين للسخرية خاصة من جانب الأطفال الإسبان،كانت "قادش" أنذاك الميناء الرئيسي الذي يتدفق منه الذهب القادم من العالم الجديد[2].

جاء في رسالة بعثها القنصل الفرنسي في "سلا""جون بابتيســـت إيســـتيل" (Jean Baptiste Estelle) بتاريخ 23 فيفري 1691م،يقول فيها بهذا الخصوص: ÷... هذا لقـــاء جميـــل ،يـــتم بموجبه،إطلاق سراح الأسرى،على كل قائد إسباني عشرة أسرى مغاربة،يعطي هؤلاء المغلوبـــون الحرية أخيرا...» [3].

وهكذا وصل السفير إلى مدريد،مارا بعشرات البلدان والقرى،وراقـــب في طريقـــه بقايـــا الأندلسيين،واليهود،ومر بقرطبة،ثم وصـــل إلى مدريـــد يـــوم07ربيـــع الثـــاني1101هـــــ/08 جانفي1691م،وقابل الغساني ملك إسبانيا ،وتبادل معه بعض كلمات المودة،وقدم له رسائل المولى إسماعيل،وبدأت المفاوضات [4].

وأثناء وجوده في القصر الملكي،قدم الملك تلك الرســـائل إلى الحلـــبي المتـــرجم في الـــبلاط الإسباني،ليترجمها إلى الإسبانية،وجاء فيها إقتراحات المولى إسماعيل إلى الديوان الملكي،ففيما يخص الكتب التي طلبها سلطان المغرب،قال الديوان أنها حرقت في سنة 1671م،بعـــد رفـــض رجـــال الدين،أي مفاوضة تتعلق بموضوع الكتب،ذلك أن المولى إسماعيل إشترط ربط موضوع الأســـرى بموضوع الكتب،كما جاء في رسالته: «..ثم أردناكم تعلمون لنا وجه خلاص هذه المائة بالوجـــه الذي عملناه لكم وأعطيناكم نسخة فيه،وإلا فالمائة المذكورة أرقاء أسارى من جملة إخوانهم وذلك أن تعطونا في الخمسين نصرانيا من هذه المائة خمسة ألاف كتاب،عن كل نصـــراني مـــن كتـــب

(1) محمد المستي قنديل:**رحلة الوزير الغساني إلى بلاد الإسبان**،ندوةكليـــة الأداب بجامعـــة الكويت،منشـــورات جامعـــة الكويت،الكويت2007 ، ص74.

(2) نفسه.

(3)دوكاستري:المرجع السابق ، م.م.ت.م ،ص355،356.

(4) لطفي عبد البديع : المرجع السابق،ص329.

الإسلام الصحيحة المختارة المثقفة في خزائنهم بإشبيلية،وقرطبة،وغرناطة،وما والاهم من المدن والقرى حسبما يختارها خديمنا المذكور...» .[1]

فقد قام المسؤولون الإسبان بأخده إلى مكتبة الإسكوريال – تقع شمال غرب مدريد ، أسسهافيليب الثاني تحتوي على الآلاف من المخطوطات القديمة– ،وجعلوه يرى بعينه أثار الحريق الذي إلتهم كل ما في المكتبة،من كتب ومخطوطات،وكيف طالت النيران حتى أخشاب السقف،وقد إقتنع الغساني كما يبدو بهذه الحجة،حيث تبين فيما بعد أن حوالي ثلاثة ألاف مخطوط منها كانت موجودة في أقبية الدير لم تمسسها النار.[2]

وبعدما تعذر الحصول على الكتب،تم التعويض عنها بإطلاق سراح ألف أسير من المسلمين،وقد وافقوا على ذلك،حيث قال الغساني:«...ولم يمكنهم إلا المساعفة بالبحث عن الأسارى وجمعهم...»[3].

في تلك الظروف التاريخية الصعبة لإسبانيا،وضعفها البين، أدّى بالمولى إسماعيل إلى التشدد في مطالبه،لعلمه بما يحدث في إسبانيا،أما الغساني فقد تجول في مدريد،وتابع مظاهر الحياة في إسبانيا الحديثة،ولعل أولها هي مظاهر التحضر التي ظهرت في أوروبا عامة،مثل إنشاء المؤسسات المتخصصةكالبريد والصحافة والخدمات الصحية المختلفة،وغيرها.

وبعد إكتمال رحلته،عاد في طريقه إلى قرطبة،ورأى التغيير الذي حدث في الأندلس،كما مر بطليطلة،ثم إتجه إلى قادش،ورجع إلى المغرب في 05 شوال 1102هـ/01 جويلية 1691م،وبذلك بدأت ملامح تطبيق ذلك الإتفاق ،فبتاريخ 06 جويلية 1691م أرسل مولاي إسماعيل المائة المتفق عليها من القيادات الإسبانية المأسورة لديه إلى مدينة سبتة،في إنتظار الألف من الأسرى المغاربة الموجودين في إسبانيا،إضافة إلى أن الكثير من منهم في مكناس قد إعتنقوا الأسلام.[4]

كان المولى يشك في القادة الإسبان،في أن يرسلوا له الأسرى من كبار السن والمعطوبين والمرضى،وأن يتركوا الأقوياء والأشداء في مراكزا التجديف لديهم غير أن هذه المخاوف لم تكن في محلها، ويبدو أن مبادلة الأسرى ستكون في سبتة من شهر سبتمبر1691م حسب شهادة القنصل

---

(1) عبد الله العمراني:**سياسة مولاي إسماعيل الخارجية**،في مجلة البحث العلمي ،منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط،1965، عدد 4،5 ، ص298.

(2) محمد المنسي قنديل:المرجع السابق ، ص74.

(3) محمد الغساني الأندلسي:المصدر السابق ،ص57، 58.

(4)دوكاستري: ، م.م.ت.م ، المرجع السابق، ص376.

الفرنسي في تيطوان"جون بابتيست إيستيل" الذي صرح : أن هذه العملية قد أدت بالإسبان إلى دفع بالإضافة إلى ألف أسير مغربي وحوالي مائة وخمسين بياستر،و لم يسعف للأسرى الإسبان الباقين الذين تم إفتدائهم فيما بعد،وخاصة يوم 12 سبتمبر 1692م،حيث كتب القنصل الفرنسي المشار إليه ،بأن الملك الإسباني" كارلوص الثاني" قد إفتدى مجموعة كبيرة من العائلات الإسبانية،تم أسرهم في المعمورة سنة 1681م،والعرائش سنة1689م،و لم يبق في إسبانيا أسرى مغاربة يجب مبادلتهم،وهكذا بقي حوالي 800 أسير إسباني في مكناس،الأمر الذي أدى إلى إرسال مبعوثين إلى السلطان مولاي إسماعيل.[1]

– نتائج الرحلة:

كانت الرحلة الدبلوماسية أو السفارية التي قام بها الوزير الغساني،إلى البلاط الإسباني،في عهد كل من السلطان مولاي إسماعيل،والملك الأسباني"كارلوص الثاني"تصور ماكان من علاقات دبلوماسية بين المغرب وإسبانيا في العقد الأخير من القرن السابع عشر.

إن الغاية من الرحلة السفارية،كان يمكن أن تصل إلى عقد هدنة بين الدولتين،ولكن ذلك بعيد لكون السلطان مولاي إسماعيل لم يعد يهاب الدولة الإسبانية،وهو يعلم ماآلت إليها،من ضعف في هذه الفترة.[2]

يبدو أن إسبانيا إستجابت لأغلب شروط هذه السفارة ،ويظهر أن الملك "كارلوص الثاني" لا يستطيع أن يقرر في الأمور وحده،بل يعيد الأمور في كثير من الأحيان إلى المجلس الملكي،أو أصحاب الحل والعقد الإسبان،ورجوع الملك إليه في كل ما يعرض له من أمور تخص السياسة العامة للدولة.[3]

ب– السفارات الإسبانية إلى المغرب من سنة 1659م إلى سنة 1727 م:

نظرا لتعذر الإتصالات الدبلوماسية المباشرة،بين المغرب وإسبانيا في العهد العلوي الأول،وعدم وجود قتاصل إسبان يضمنون المصالح الإسبانية،إتجهت الأنظار إلى الإستعانة برجال البعثات الدينية الإسبانية بالمغرب ،في إفتكاك الأسرى،ومنحهم لأدوار مهمة على المستوى الدبلوماسي وفي توثيق الصلات بين المغرب وإسبانيا.[4]

---

(1) دوكاستري: ، م.م.ت.م ، المرجع السابق ، ص930.

(2) لطفي عبد البديع:الرجع السابق ، ص325.

(3) نفسه،ص 376.

(4) عبد الحي بنيس: المرجع السابق ، ص38.

تشير بعض الدراسات إلى أن تنظيم عمليات إفتكاك الأسرى وهيكلتها بإسبانيا،قد تمت على عهد ملكها "فيليب الثاني"وأصبحت العمليات الكبرى تشرف عليها المجموعات الدينية الثلاث،"الفرنسيسكان" و"الترنتير" و"المسدير"،إلا أن ذلك لم يمنع من تدخل بعض الجهات الأخرى في هذه القضية.

ويبدو أن إسناد هذه المهمة لرجال البعثات الدينية،جاء نتيجة رفض سلاطين المغرب إدراج مشكلة الأسرى ضمن أي علاقة دبلوماسية، إلا في إطار تحرير الثغور المغربية، وكان يشترط في الرهبان المكّلفين بهذه المهمة عدة شروط من بينها:

الشخصية المحنكة، التي تملك خبرة في مجال التعامل مع المسؤولين المغاربة،وكذا معرفتهم للغة العربية،كما يشترط فيهم التمكن من العلوم الدينية لمواجهة الحجة بالحجة،هذا فضلا عن التحلي بالصبر واللباقة مع المغاربة،حتى يتمكنوا من إقناعهم بالأهداف التي جاؤوا من أجلها.[1]

فقد أستطاع رجال البعثات الدينية أن يتمكنوا من تحرير المئات من الأسرى الإسبان في الفترات ما بين سنتي (1645م- 1674م)وفي سنة 1674م تمكن رئيس البعثة "خوان دوسان أوغيستان" (P.juan de saint Augustin)من إطلاق مجموعة لا يعرف عددهم بالضبط.[2]

وبتزايد أعداد الأسرى الإسبان وبالخصوص بعد سقوط ثغري المعمورة والعرائش،الأمر الذي جعل رجال البعثات الدينية الإسبانية يكثفون من نشاطهم بالمغرب،وفي هذا الإطار نظم الأب "جيرولامو دي كاستلفترانو"(P.girolamo de Castelverano)-وهو إيطالي - وقد نزل في آخر سنة 1684م في مهمة كان قد كُلّف بمسألة إفتداء الأسرى الإسبان،بعدهارجع إلى مدريد وبالتحديد في سنة 1687م،ليجمع الأموال اللازمة والتي بلغت مائة وخمسة وخمسين ألف "بياستر"[3]،بغرض شراء خمسمائة أسير إسباني،وخلال عودته للمرة الثانية للمغرب ، وصل إلى مكناس في سنة 1688م،ولكن المهمة التي كلف بها في رحلته الأخيرة إنتهت بالفشل.[4]

ثم جاء دور منظمة "الفرنسيسكان" التي نظمت في فيفري 1690م،بعثة إلى مكناس،وقد كان على رأسها هؤلاء الرهبان مجموعة قد تهيأت لهده الأعمال ومنهم:

---

(1) عبد الحي بنيس: المرجع السابق ، ص38..

(2) هنري كوهلر:المرجع السابق ، ص246.

(3)هيي عملة ونقد إسباني مصنوع من الفضة،بدأ تداوله في القرن 16م،أنظر،

Graham.h.Gorge: **N umismatique Mahométane**,in revue de l'orient,de l'algerie et des colonies,vol 04 .paris 1844,p p 46,47.

(4)دوكاستري: المرجع السابق ، م.م.ت.م ،ص154.

"فراي خوان موتور"(Fray juan Munor)،وكذلك"الفاريس ميغايل برادو"(Alfarez Miguel Rado)ثم الأب"مانويل دوفيرا لوبو"(Manuel de viera Lobo)،وقد إستقبلهم مولاي إسماعيل عدة مرات ،وأطلق معهم عدد من الأسرى،لكنها في الأساس لم تلق نجاحا كما كان مسطرا لها.[1]

غير أن هذه البعثة تمكنت كذلك في سنة 1692م من إفتكاك 123 أسير إسباني ،ولعلّ تردد بعض رجال الدين الإسبان على المغرب ،جاء من أجل إطلاق الأسرى ،الأمرالذي جعلهم يكسبون صداقة المسؤولين المغاربة،ويحظون بثقتهم،حتى أصبح بإمكانهم تحرير بعض الأسرى وتأجيل أداء فديتهم إلى حين عودتهم مرة أخرى إلى المغرب،والمثال على ذلك أن الراهب الفرنسيسكاني الإسباني "الأب دييغو"(Diego)كان قد كسب صداقة السلطان مولاي إسماعيل،إذ تمكن هذا الراهب من إفتكاك ستمائة أسير إسباني مابين (1688م- 1723م).[2]

وضمن هذا السياق كتب "جاك ميراسول"(Jacque Mirasol)- وهو قنصل فرنسا بقادش – وذلك يوم 13 جوان 1703م إلى "جيرومي فليبو" (Jéromie Phelippo)- السكرتير العام للدولة الفرنسية- جاء فيها: «...لقد مرّ بجبل طارق إلى المغرب الأب دييغو دي لوس أنخيليس"،يحمل معه رسائل من المجلس الملكي إلى مولاي إسماعيل...» .[3]

وفي رسالة أخرى بتاريخ 02 جويلية 1703م بعث برسالة عبر فيها بقوله: «... لقد نزل بجبل طارق رجل الدين " دييغو دي لوس أنخلس" ومعه مجموعة من الأسرى المغاربة أطلقهم ملك إسبانيا ،قاصدا السلطان مولاي إسماعيل...» [4]. فهتان الرسلتان تعبران بجلاء مدى جدية رجال الدين الإسبان في مساعيهم لتحرير أسراه.

في إطار التوسط في العلاقات السياسية بين إسبانيا والجزائر في العهد الإسماعيلي،ما جاء في نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري،من أن هناك تواصلا بين الإسبان المتواجدين في وهران ،فقد حلّ حوالي عشرة من إسبان هذه المدينة،يوم عرفة "ذي الحجة سنة 1108هـ/1696م" على

---

(1)نفسه،ص355.

(2) عبد الحي بنيس: المرجع السابق،ص40.

(3) "ميزين"و "بتروتان ديمون": المرجع السابق ،المجموعة رقم (AE/B/I/212/FOL:329,331 .

(4) نفسه، المجموعة رقم ، .AE/B/I/214,FOL334,335V .

مولاي إسماعيل،يحملون رسائل دبلوماسية ،ويطلبون توسطه مع الأتراك العثمانيين في الجزائـــر في مسألة التهدئة في منطقة وهران.[1]

وضمن هذا الإطار جاء في كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشـــية في بـــلاد الجزائـــر المحمية،أن القائد أوزن حسن صهر ووزير الداي محمد بكداش بن علي، لما تم له الإستيلاء علـــى حصن بن زهوة يوم 05 شعبان 1119هـــ/31أكتوبر 1707م[2]،قتلوا جميع ما فيه من الأعـــداء وعددهم مائة وعشرين،إلا تسعة أو ثمانية فروا إلى حرم الباي،فأعطاهم هدية إلى سلطان المغرب مولاي إسماعيل[3].

(1) محمد بن الطيب القادري:المرجع السابق،ص1841.

(2) وهو حصن سمي بهذا الإسم،لأن أحدا من اليهود إسمه زاوي بن كبيسة،المعروف بـــ"بن زهرة" إتفق مـــع الإســـبان أن يعينهم على دخولهم لوهران وإستيلاءهم على المدينة،شريطة أن يسلموا له هذا البرج فكان ما كان،وأعطي البرج وسمي بإسم ملته،وكان قبل ذلك يسمى بـــ"برج المرسى"،أنظر محمد بن ميمون الجزائري،المرجع السابق،هامش رقم 03،ص222.

(3) نفسه،ص222.

المبحث الثاني

دور الرسائل في العلاقات بين الدولتين

كشفت الأرشيفات الأوروبية والمغربية،عن مجموعة كبيرة من المراسلات الرسمية،التي تبادلها السلطان مولاي إسماعيل مع القادة الإسبان،وقد تضمنت هذه المراسلات دعوات المسؤولين من الطرفين إلى تحرير الأسرى المغاربة والإسبان.

وقد شغلت قضية الأسرى الإسبانيين بالعرائش كل إهتمام من السلطان المغربي،وكارلوص الثاني،فتبادلا بشأنها عدة رسائل ومبعوثين،ومن ضمنها ماكتبه،حاكم قادش،في رسالة،بتاريخ27 فيفري1690م إلى المسؤولين،يخبرهم أن راهبا فرانسيسكانيا يحمل رسالة "مولاي إسماعيل" إلى "كارلوص الثاني"،يوجد بمدينة قادش في طريقه إلى البلاط الإسباني جاء فيها: ÷... إن الراهب "خوان موتيوت"الذي حمل رسالة سلطان المغرب،إلى صاحب الجلالة،في أوائل جوان 1690م،والموجهة إلى "المركيز دي فيلا فوفيا" ،يطلب إطلاعه على الحل الذي سيتوجه به إلى مكناس،وذلك من أجل جواب تلك الرسالة،ومن أجل فداء أولائك الأسرى المساكين...× .[1]

ونورد بعض رسائل مولاي إسماعيل إلى ملوك إسبانيا:

أ- النموذج الأول:

رسالة مؤرخة في 16 من ذي الحجة سنة 1101هـ/20سبتمبر1690م،تعتبر جوابا على خطاب "كارلوص الثاني" الذي قدمه إليه كل من السيدين"الدون مانويل فييرادي لوكو"و"الدون أبيل ميسيا"وحلا بمكناس في 15 من سبتمبر1690م،وتمكنا من لقاء السلطان المغربي،وسلّماه جواب ملكهم،يد بيد.

وقد جاء نص الرسالة كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله إسماعيل المتوكل على الله،المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين،الشريف الحسني ، أيده الله ،أمين.

إلى عظيم الروم وملك أقاليم أصبانيا وبلاد الهند،والمتولي أمورها والمتصرف في أقطارها "دون كارلوص"،السلام على من أتبع الهدى.

---

(1) عبد الله العمراني: المرجع السابق ، ص295.

قد بلغنا كتابكم صحبة خديمكم "دون مانويل بيردلون"،وخديمكم"دون أبيل مسيح"،وهو الكتاب الذي وجهتم لنا جوابا من كتابنا الذي أصدرناه إليكم ،ووصلكم صحبة الفرايلي[1] قبل هذا.

وبعد أن قرأناه،وفهمنا معناه،.....رددنا إليكم جواب كتابكم ووجهناه مع خديم دارنا ....السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير....ونحن بلا شك كنا أعطينا القول لهذه المائة من النصارى بالسراح،ولكن وقع من النصارى ماأختل به منهم من الأسباب،ما يوجب عدم الوفاء لهم بذلك فمنهم من كان ينادي بلفظ "مينا"على رؤوسهم ومنهم من لم يرضى بخروجهم على ذلك...وحاجنا مع هذا كبار ملتنا وعلماء شريعتنا...وقالوا لنا هؤلاء المائة يكونون أسارى ويسترقون من كل وجه...

كيف وقد أخدوا العرائش من أول وهلة،بل أضغطوا الشيخ إبن السلطان الذهبي[2] ،وقبضوا عليه حتى أنفقوا عليه أموالا عديدة،ومسكوا أولاده بسببها حتى أعطاهم العرائش على ضغط منه،...وذكرونا في مسألة غدر أسلافكم بأهل غرناطة،وغيرهم من أهل الأندلس في كل بلد وقرية....وإلا فالمائة المذكورة أرقاء أسارى من جملة أخوانهم،وذلك أن تعطونا في الخمسين نصرانيا من هذه المائة خمسة ألاف،مائة كتاب عن كل نصراني،من كتب الإسلام....وأجعلوا عوضها من أسارى المسلمين،وأعطوهم لنا من الأسارى في الأغرفة...فأرجعوا خديمنا الكاتب الذي وجهناه إليكم....وبرجوع خديمنا حامله بما ذكرناه في هذه المسألة فلا ترون إلا ما يعجبكم....كتب في 10ذي الحجة1101هـ» الموافق ل 20 سبتمبر 1690م[3].

- **نظرة على الرسالة:** من خلال إستقرائنا لمحتوى الرسالة تبين لنا مايلي:

– لقد إستعمل السلطان مولاي إسماعيل في هذه الرسالة،بعض الألفاظ العامية أو الدخيلة،وتدل على ما وصلت إليه الكتابة الديوانية،من إنحطاط،وتبين في نفس الوقت قوة المولى إسماعيل وفرضه لشروطه على إسبانيا.

---

(1) كلمة الفرايلي " fraile" وهيي كلمة إسبانية معناها راهب،أو الكاهن،أنظر ، عبد الله العمراني:المرجع السابق ، هامش رقم1، ص296.

(2) هو السلطان أحمد المنصور الذهبي بن محمد الشيخ السعدي،أحد ملوك المغرب العظام ،ولد بفاس عام 1549م،وتوفي بها سنة 1603م،أنظر عنه،الحسن بن محمد البوريني:**تراجم الأعيان من أبناء الزمان**،تحقيق صلاح الدين المنجد،مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق،1959،ج2،ص ص 220–221.

(3) محمد الصغير اليفرني: المرجع السابق،ص ص102– 105 .

– الراجح من هذه الرسالة ،أن السلطان كان يملئ على الكاتب ،ويلزمه بقراءتها بعد ذلك،قبل أن يقوم بختمها ،ولعلّ ما ساهم في تراجع مستواها اللغوي، أنه لم يكن أحيانا يكتبها بنفسه[1].

– كما تبين الرسالة بأن ملك إسبانيا هو المبادر،للآلة الدبلوماسية،والمحرك لها،وأنه هو الذي سعى في طلب المفاوضة بدليل ما أبداه من رغبة في مراسلته ،وهذا ما تقتضيه الظروف السياسية سواء في أوربا أو في المغرب،فإسبانيا في ذلك الحين لم تكن تتحكم في الساسة الأوروبية ،إذ كانت جيوش لويس الرابع عشر تنقص عليه أطراف الأمبراطورية الإسبانية التي أسسها كرلوص الأول في أوربا،ثم بلغت أرض إسبانيا ذاتها ،حتى طبقت الخناق عل قتالونيا ،وأحتلت جزءا منها في 20 سبتمبر سنة 1697م ،كما أن نادرا ما كان المغرب هو الذي يبادر إلى توجيه مبعوثيه من دون تحرك من الطرف الآخر،بل إنه لا يقدم على ذلك إلا بناء على رد مقترحات المبعوثين الأجانب.

– إستغل السلطان المغربي الوضع الدولي السائد آنذاك،وخاصة بعد الضعف الذي مس إسبانيا،وضعف شخصية ملوكها،وخاصة "كارلوص الثاني" الذي كان لا يستطيع أن يبرم أمرا دون الرجوع إلى مجلس الدولة الإسبانية (Consejo de Estado) فالمفاوضة معه لا جدوى منها،وقد إندلعت بعد وفاته سنة 1700م حرب لخلاف،و إنتهت بتنصيب فيليب دانجو (Philippe D'anjou) [2] من طرف الملك الفرنسي لويس الرابع عشر.

–كان المولى إسماعيل على علم بالصراعات الأوروبية،فظهر في علاقاته الديبلوماسية بمظهر القوي،ورجل الدولة الذي يواجه القوى الأوروبية ،وأحاط خطابه هذا،بعدة إعتبارات دينية وأحيانا إنسانية،فبرز كرجل ورع ومتأثر بمعاناة الأسرى.

– تُبيّن الرسالة بأن السلطان المغربي،كان يستشير علماءه وكبار رجاله في شؤون العلاقات الخارجية،وأمور الدولة،عكس ما كان يُروّج له الغربيون،من بربريته وعنفه.

– أدت مفاوضات الوزير الغساني،بفضل هذه الرسالة إلى الإتفاق على شبه معاهدة،في 20مارس1691م،والتي نصت على مبادلة مائة أسير إسباني بألف أسير مسلم،كما أن السلطان لم يثق أبدا في الإسبان،فتشدد في شروطه،وتهديداته.

---

(1) يوسف نكروف:المرجع السابق،ص126.

(2) هو فيليب الخامس ملك إسبانيا،كان أول حاكم من أسرة البوربون الفرنسية التي حكمت إسبانيا،تولى الحكم ما بين 1700م–1746م،وكان يسمى بفليب دانجو لكونه دوقا لهذه المقاطعة الفرنسية،والمعروف أنه حفيد لويس الرابع عشر ملك فرنسا،أنظر أكثر: Vicente Bacallar y Sanna: **Mémoires du Régne de Philippe** v ed.Chatelain,paris 1756,p 200

– في هذه الرسالة الدبلوماسية،يذكر المولى إسماعيل للملك الإسباني بأحداث العهود التي سبقت والتي أمضى فيها أسلافه المواثيق لأهل غرناطة وغذرهم بهم ،مما يوحي له بأنه لا يأتمنه في كل الأحوال،ثم عرّج له على واقعة الإستيلاء على مدينة المعمورة[1] بالخديعة والضغط على الشيخ المامون في ذلك.

– يستقرئ من الرسالة عزة نفس السلطان المغربي مولاي إسماعيل،وهو يخاطب ملك إسبانيا،والذي من شأنه أن يوحي لنا تلك النبرة التي يستعملها نحو أعدائه رغم أنهم مازالوا يحتلون حزءا من المغرب.

ب– النموذج الثاني:

هذه الوثيقة عبارة عن رسالة[2] بعث بها "مولاي إسماعيل"إلى"كارلوص الثاني"وكتبت باللغة الإسبانية ، وهي مؤرخة في سنة 1111هـ/1699م،أي بعد رحلة الوزير الغساني بثمانية أعوام،والحقائق التي تتضمنها تلقي كثيرا من الضوء على تلك المرحلة،ففي هذه الرسالة ،يذكر السلطان ،مبعوث الملك الإسباني واسمه"الفراي دييغو دي لس أنخليس"ويختم كلامه في آخر الرسالة،بمبعوث جلالتكم،دون أن يطلق عليه صفة السفير،أو لفظ"أنباشادور"الذي إستخدمه في العديد من رسائله إلى لويس الرابع عشر،فالصفة التي أضفت على "فراي دييغو"، وهي صفة المبعوث و تدل على أنه جاء لمهمة مؤقتة،أو كوسيط دون أن يكون معتمدا من السلطان.

قد قدم المبعوث ومعه هدايا من "كارلوص الثاني" إلى مولاي إسماعيل،تتألف من أسلحة وفرس ،فقبلها السلطان ،وتدل على أن ملك إسبانيا كان يحرص على إسترضاء السلطان .[3]

وينتقل في هذه الرسالة إلى الإشادة بما أبداه الملك "كارلوص" من رغبة في مكاتبته،مما هيأ السبيل إلى بحث الأمور ،ثم ما يلبث أن يعتذر بعد الدخول معه في مفاوضات ،فالرسالة صريحة في أن "كرلوص الثاني" سعى في طلب المفاوضة بدليل ما أبداه من رغبة في مراسلته.

---

(1) المراد بها تلك البلدة التي تقع على مصب نهر وادي سبو،تعرف اليوم بالمهدية،تكلم عنها الشريف الإدريسي في "نزهة المشتاق في إختراق الآفاق" ثم الحسن بن محمد الوزان في وصف إفريقيا، إحتلها البرتغاليون سنة 1515م ثم إستولى عليها الإسبان سنة 1614م وإسترجعها المولى إسماعيل سنة 1681م،أنظر، حسن بن محمد الوزان الفاسي(ليون الإفريقي):**وصف إفريقيا**،ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الاخضر،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت1983م،ص 364.

(2) لطفي عبد البديع:المرجع السابق ،ص326.

(3) نفسه ،ص326.

وقد عمد "كارلوص الثاني" إلى التفاوض بشأن عقد هدنة وصلح دائم،فقد كان بين الدولتين،زمن الرسالة،ما يشبه حالة الحرب،إذ إشتدت في مدينة سبتة[1] ،بعد أن وصل إليها الحاكم الإسباني الجديد"فرنسسكو دل كستلو فخاردو مركيز دي فيليا درياس" (Francisco de Castello Feggar de Fellia Deriass) إذ بلغها في جويلية عام 1689م،ومضى في سياسة تحصينها،وشرع في بناء "قلعة سنتياغو"في 25 جويلية 1699م.

على أن السلطان قد عرض في نهاية رسالته،قضية الأسرى المسيحيين بالذات ،فقد وعد بالإفراج عن أحد عشر منهم،عشرة من الجند، ثم فارس يدعى"دون فرنديز دي ريوكا دالفارس". ولعل هؤلاء كانوا من أسرى العرائش،فقد أمر السلطان بإحضارهم إلى مكناسة،وكانوا ألفا وثمانمائة يستخدمهم مع غيرهم من المساجين والأسرى في بناء قصوره.

فبمقتضى الأحوال السياسية في الدولتين أن تكون للسلطان الكلمة العليا في المفاوضة التي طلبها آخر الملوك الإسبان من الهابسبورغ،ومنطق الرسالة تدل على أن مسعى كارلوص الثاني ليس بجديد ولا يستبعد أن يكون قد فاتح في ذلك الغساني أثناء مقامه في مدريد.

وكان المولى إسماعيل على دراية بالعلاقات الدولية،حت فيما بين الدول الأوروبية الأوروبية،فيما بينهم،حيث نجد الغساني المقرب منه يقول:"...أن من عوائدهم أن يبعثوا سفراء من بعضهم إلى بعض كما فعل البابا "الكسندرالثامن"[2] ببعثه رجلا كبيرا من علماء ملته إلى مدريد يسمونه "النونسيو"- وهو إسم يطلق على مبعوث البابا وخليفته في المدينة-،ثم يقول كذلك أنه يوجد بمدريد مجموعة من الأبشادورين من ألمانيا وأنكلترا.

جاء نص الرسالة كالتالي:«بسم الله الواحد القدير

إلى دون "كرلوص الثاني"ملك قشتالة وليون وأرغون وغيرهما بتوفيق الله.

وفد علينا الفراي " دييجو الذي أستقبلناه...كما تقبلنا الفرس والسلاح بقبول حسن...وقد عهدنا منكم كرم النفس وحسن الرغبة في الإتصال بنا مما يحدوني أن أعالج معكم شئونا مهمة جدا

---

(1) هي مدينة مغربية،تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط،وهي إلى اليوم محتلة من طرف إسبانيا ،حاول ملوك المغرب بشتى الوسائل إستردادها لكنهم فشلوا في ذلك ،وكان من أشدهم على ذلك المولى إسماعيل.أكثر سكانها من أصل أندلسي،أنظر مارمول كربخال:المرجع السابق،ص ص 216-217.

(2) البابا الكسندر الثامن أو بوب الثامن،تسلم البابوية من 1689م-1691م،وإسمه هو بيترو أوتوني(Pietro Ottobni)من مواليد البندقية،أنظر عن ذلك: Edward.J.Olzewski:**Cardinal Pietro Ottoboni,1667-1740,And the vatican Tomb of pope Alexander,** Philadelphia 2004,p 247 .

....لولا أني علمت أمضاءها رهن بمشيئة مجلسكم....ثم إنصرافنا في هذه الأونة إلى الحرب ،الذي يدعوننا إلى إرجاء القضية....

ولما كان قد صدر منا يمين في الوقت الحاضر ،حيث ألينا ألا نفرج عن مسيحي من أية أمة ،فالآن أسلم الأسرى الأحد عشر.....ونحن راغبون في أن نقابل من طرفكم بمثله...سنة ألف ومائة وأحدى عشر،بمدينة مكناسة» .[1]

ج- النموذج الثالث:

في سياق إهتمام السلطان مولاي إسماعيل ،بمصالح ذلك التواصل،وربط علاقة مع الملك الإسباني الجديد،"فيليب الخامس"،أول ملوك إسبانيا من" أل البوربون"حفيد لويس الرابع عشر،ملك فرنسا،حيث أن "شارل الثاني" أو "كارلوص الثاني"هو الذي أوصى،بتاريخ 02 أكتوبر 1700م،وقبل وفاته في 01 نوفمبر 1700م ،في أن يتولى هذا الأخير الخلافة من بعده .[2]

وعلى إثر ذلك ظهرت حرب الوراثة الإسبانية من (1701م- 1714م)،التي ذهب ضحيتها الآلاف من الإسبان ،وذهبت معها بهيبتها ،وأضعفتها كثيرا.

ويبدو من الرسالة أنها كتبت في سنة 1701م،أي بعد إرتقاء "فيليب الخامس "كرسي الحكم مباشرة،ومما جاء في الرسالة:

«بسم الله الواحد القادر أمين:

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »الآية رقم 33،سورة الأحزاب.

إسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله ونصره،المولى إسماعيل إبن الشريف بن علي ،بحمد الله،سلطان مراكش،وفاس ومكناس،والغرب وتافيلالت،وسوس ونوميديا،إلى "الدون فليبي الخامس" بحمد الله ملك قشتالة وليون وأراكون وسيسيليا وميورقة ونافارا والأندلسيتين،والهند وكونت وأرشيدوق أوستوريا...

جاء إلى حضرتنا "فراي دييكو دي لوس انخلس" من مذهب الحفاة "لسان دييغو" الذي حضر في عاصمتنا بمرافقة بعض الرهبان،الأخرين من مذهبه،من أجل الصحو الروحية للأسرى المسيحيين...

---

(1) لطفي عبد البديع:المرجع السابق،ص331.

(2) محمد الصغير اليفرني:المرجع السابق، هامش رقم 1 ، ص130.

وقد كان حضوره في عاصمتنا من قبل ،بأمر وقرار "الدون كارلوص الثاني"صاحب الذكرى المجيدة،وعندما مات ..فإن "فراي دييغو دي لوس أنخلس" ملزم من جديد بتفويض أوامر الخلف الجديد"الدون فليبي الخامس حفظه الله،طلب إذننا ورسالة منا ليذهب إلى أداء الطاعة إليكم،فأستقبلوه بالطيبة التي نعامله بها،والتي يستحقها بسبب صراحته الكثيرة،ومذهبه الجيج،وقرروا معه ما يناسبكم من اجل راحة رعاياكم الأسرى..» .[1]

ومن إلقاء نظرة على هذه الرسالة تبين للباحث جلي أن تلك العلاقات تعود في تكوينها بفضل المنظمات الدينية،وإلى موقف السلطان مولاي إسماعيل من تلك الشخصيات المحترمة كما تبين بما لا يدع مجالا للشك،دور الأنظمة الحاكمة في تفويض هذه المنظمات، وإعطائها الإشارة القانونية للقيام بأعمالها في المغرب،فالمولى إسماعيل مارس ديبلوماسية متأقلمة إلى حد كبير مع مراعاة مستجدات الواقع الدولي.

فهذه النماذج من الرسائل تؤكد أن الدبلوماسية المغربية في عهد المولى إسماعيل، لم تخرج من الإطار العام للدبلوماسية الإسلامية والمغاربية بصفة خاصة مع جيرانهم الأروبيين،ورغم ذلك التواصل بين الضفتين بقي المغرب وكل أقطار الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط عاجزة عن فهم التحولات التي كان يشهدها هذا البحر،وما يجري في العدوة الشمالية منه،ولم تستطع هذه الدول أن تنفتح على الآخر لاسباب داخلية وخارجية،وبالتالي إدراك التجاوز الذي قفز بأوربا إلى الأمام.

(1) بديعة الخرازي:المرجع السابق ، ص34.

المبحث الثالث

المبادلات التجارية بين المغرب وإسبانيا وأثرها في العلاقات

إذا ما أمعنا النظر في ذلك التبادل التجاري بين المغرب وإسبانيا،نرى أنه مرتبط إلى حد كبير بالمجال السياسي،نتيجة للعلاقات السيئة بين الدولتين،ورغم أن إسبانيا هي أقرب البلاد الأوروبية إلى المغرب،فإنها لم تتبوأ المكانة الكبيرة للعلاقات التجارية بينهما ،وخاصة وأن المغرب كان منفتحا على التجارة الأوروبية كلها،وفرّق بين العلاقات السياسية والمبادلات التجارية.فما الحالة التي إنتهجتها إسبانيا في تجارتها نحو المغرب؟ وما شكل تلك العلاقات ؟ حيث سنبحثه في نقطتين هما:

-التنظيم التجاري الإسباني إتجاه المغرب.

- العلاقات التجارية بين إسبانيا والمغرب.

1- القرارات التجارية الإسبانية إتجاه المغرب وتأثر المغرب بها سياسيا:

لاحظنا سابقا أن النشاط التجاري في أوروبا عموما لم يكن مرتبطا بالقرار السياسي،ولكن كان يرجع بالأساس الحرية التجارية،ولكن السلطات الإسبانية ربطت تلك الأعمال بالقرار السياسي على كل من يتعامل مع المغرب أو الجزائر أوتونس،وبررت ذلك بمحاصرة العدو البرباريسكي،رغم نشاط الحركة التجارية الإسبانية،التي عرفت موانئها حركة نشيطة،وبالخصوص مينائي قادش الذي كان له علاقات مع الملاحة في المحيط الأطلسي، والذي كان أساس التعامل مع الوسطاء التجاريين مع المغرب،ثم ميناء برشلونة بشكل أقل.

ففي إطار هذه السياسة المتبعة في إسبانيا ، قرر ملكها "شارل الخامس" إستصدار أمر ملكي في 29 مارس 1549م،والذي منع فيه كل المبادلات التجارية بين الموانئ الإسبانية،وموانئ المغرب،وبرر ذلك بعدة أسباب نذكر منها :

- الإتجار بالقمح يؤدي إلى نقصه بإسبانيا وغلائه.

- تصدير الأثواب والأقمشة إلى المغرب، يؤدي إلى وفرتها وإنخفاض ثمنها مما يدفع إلى صعوبة إفتكاك الأسرى.

- ستسمح التجارة مع المغرب إلى تهريب الأسلحة،وهي من بين المعدات المحظورة بيعها لكل الدول المغاربية.

- حرية التجارة تمكن المغاربة من الإطلاع على تحركات الأسطول الإسباني وعلى الأوضاع داخل إسبانيا.[1]

وبعدو ضغط التجار الإسبان،وخاصة تجار المدن التي تعتمد إعتمادا رئيسيا أكبر على التجارة مع المغرب،مثل قادش ومالقة،وإشبيلية ،فقد صدر مرسوم يسمح لهم بالتجارة لكن في حدود معينة ومحدودة منها:

- ألا يسمح بالتجارة مع بادس والجزائر إلا بواسطة تصريح خاص.
- يجب أن يتم التبادل إنطلاقا من موانئ الأندلس ومراسيه.
- لا يسمح بتصدير أو الإستيراد إلا البضائع المرخص بها.
- يمنع إدخال البضائع التالية إلى إفريقيا كلها (الذهب والفضة ،الأسلحة).
- لا يمكث التجار الإسبان في المغرب اكثر من سنة،ولابد أن يقضوا بعدها شهرين على الأقل في إسبانيا.
- تسجل البضائع في الموانئ عند التصدير والإستيراد،وتؤخد منهم حقوق الجمركة مسبقا قبل الذهاب.[2]

هذا وقد إمتد مجال تطبيق هذه القوانين إلى العصور المتأخرة من القرن السابع عشر والثامن عشر للميلاد،بسبب الحيطة والخوف من الآخر،ورغم ذلك فقد إستمرت هذه المبادلات التجارية بشكل مباشر أو غير مباشر،فميناء "قادش"الإسباني أصبح منطلقا تجاريا حتى للتجار الفرنسيين مع المغرب،ولعب الفرنسيون دور الوسطاء في التجارة المغربية الإسبانية،فعمدوا إلى تمويل السوق الإسبانية بالحبوب،رغم التوجهات الرسمية في كل من الجزائر والمغرب بحظر تصدير القمح إلى أووربا،ولكن السوق السوداء ،أدت دور كبير ،والتي كان من نشطائها الفرنسيون واليهود،وعملوا أدوارا هامة بين العدوتين.[3]

---

(1) محمد رزوق:**دراسات في تاريخ المغرب**،ط1،مطبعة إفريقيا الشرق،الدار البيضاء 1991، ص92.

(2) نفسه ، ص93.

(3) جاك سفاري:المنجد العالمي للتجارة. . . Jacque Savary: **Dictionnaire Universel de . . . Commerce**, vol 01,paris 1748, P131.

لعبت المستعمرات الإسبانية في المغرب ،في كل من سبتة ومليلية دورا هاما في تبادل السلع،بينها وبين قادش،ومنها إلى أوروبا،رغم أن السياسة الإسبانية كانت تحمل في طياتها ذلك العداء التاريخي للعالم الإسلامي ،وعمدت إلى القطيعة معه سياسيا وإقتصاديا [1].

وإذا ما أمعنا النظر في المواد التي كان الإسبان يقبلون على إستيرادها من المغرب،وفي المواد التي كان مولاي إسماعيل يرغب في الحصول عليها من إسبانيا،نجد في طليعتها بالنسبة للتصدير،العسل المغربي ،الذي كان أهم سلعة يتهافت عليها الأوروبيون وكان ميناء قادش أهم ميناء وسيط للسلع المغربية إلى أوروبا ،ثم تأتي الزيوت النباتية والكتان المغربي[2]،يضاف إلى ذلك المنتجات الفلاحية والجلود والشمع،والمعادن ،والمواد الأولية،والسلع الآتية من إفريقيا ،أما المواد المستوردة من إسبانيا،والتي يتولاها تجار من فرنسا وبعض اليهود،وتتكون السلع من الألبسة والمواد المصنعة،وبعض السلع المستوردة من أوروبا ،بالإضافة إلى الصوف الإسباني المصنوع والقهوة.[3]

2- استعمال المسائل التجارية في الصراع بين إسبانيا والمغرب:

أما عن العلاقات التجارية بين فرنسا وإسبانيا والمغرب،فيمكننا الوقوف على قرار لويس الرابع عشر،الذي صدر بتاريخ 24 جويلية1687م،والذي يقضي بمنع التجارة مع المغرب،هذ ما أدّى إلى إحتجاج التجار الفرنسيين في إسبانيا ،وفي قادش بالأساس،وخاصة الذين لهم مصالح تجارية كبيرة في تيطوان وسلا وآسفي،فالمغرب بالنسبة لهم كان يمثل قاعدة للتجارة،حيث أن السفن الإسبانية الآتية من أمريكا الجنوبية،والمحملة بالسلع المختلفة تتجه نحو المغرب،أثناء عودتها،لشراء العسل المغربي في طريقهم ذهابا وإيابا، وهي في حماية الأسطول الحربي.[4]

جاء في رسالة من "بيير دي كاتالان" قنصل فرنسا في "قادش"مؤرخة في 14 ماي 1685م والمرسلة إلى "كولبير"يقول فيها: «....عمدت البحرية الإسبانية إلى حراسة سفنها التجارية على مقربة من الشواطئ المغربية،خوفا من القراصنة...».[5]

---

(1) (Nahvidad Planas:**les majorquins et le monde musulman,a l'epoque moderne**,bulletin hispanique,t 02,1991,pp115,128.

(2) جاك سفاري: المرجع السابق،ص30.

(3) دلندة الأرقش وأخرون:**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**،مركز النشر الجامعي،ميدياكوم،المغرب2003،ص313.

(4)دوكاستري: المرجع السابق ، م.م.ت.م ، ص145.

(5) "ميزين"و "بتروتان ديمون": المرجع السابق ،المجموعة رقم (AE/B/I/212/FOL:266,267v،وأنظر كذلك:AE/B/I/219/FOL:237,238V .

وفي رسالة أخرى مرسلة من "ريني سيبارفيلا" (René Supervilla)القائم بتلك القنصلية في 1698م،مؤرخة في 31مارس 1698م يقول فيها«... قام الدوق "البوكيرك فرانسيسكو فيرناندیز دي سيلفا" القائد العام للأندلس ،بمنع أي تواصل تجاري ،أو بيع للمغاربة،بحجة تهريب الأسلحة...».[1]

كانت إسبانيا تحرّم التواصل التجاري مع المغرب،حتى على التجار الأوروبيين الأخرين،خوفا من دخول السلع المحظورة بالنسبة إليها ،وخاصة الهولنديين والإنكليز الذين يتاجرون بالأسلحة مع هذا البلد ،وعمدت إلى تفتيش السفن القادمة من و إلى المغرب.

جاء في رسالة مؤرخة في 09 أوت 1658م وجهها نفس القنصل السابق،موجهة إلى الوزير الأول الفرنسي، و فيها يقول:«...إن ملك إسبانيا مازال يعمل على عرقلة التجارة مع المغاربة،وحتى بالنسبة للتجار الفرنسيين،والتي تحولت إلى تجارة سرية،رغم حصول إسبانيا على الكثير من المنتجات الزراعية المغربية...».[2]

وهو ما يبين الدور الفرنسي في تناول الأحداث في المنطقة والتأثير فيها ،ومتابعتها في كل أحوالها.

وتبعا لهذه الأحداث غنمت الطبقات الحاكمة بدرجة أولى من هذه التجارة اللامستقرة،وفئة الحرفيين والتجار والوسطاء ،وجنوا أرباحا طائلة،وكان الريال – وهو الإسم الذي يطلق على البيزو الإسباني – يمثل أقوى عملة في المتوسط ،رغم ضعف الدولة[3].

وفي سنة 1718م قررت الحكومتان الفرنسية والإسبانية،قطع علاقاتهما السياسية والتجارية مع المغرب،وتركوا المجال واسعا للتجار الإنجليز والهولنديين للعب الدور في هذا البلد.

والواقع أن تعدد التدخلات السياسية الإسبانية في المجال التجاري ،يدل على تخوف الإسبان من أن يكوم لهذه العلاقات التجارية مع المغرب تأثير على تسليح المغرب ،وخاصة الأسلحة الجديدة والمتطورة،وإذا حاولنا أن نقوّم هذه العلاقة، فإننا سوف نلاحظ أن هناك جوانب إيجابية وأخرى سلبية للإسبان:

فالبسبة للجوانب الإيجابية:يمكن حصرها في نقطتين أساسيتين وهما:

---

(1) نفس المرجع السابق.

(2) نفسه ، المجموعة رقم (AE/B/I/213/FOL:255,257.

(3) دلندة الأرقش وأخرون:المرجع السابق ، ص320.

- لقد أسدى التجار الإسبان خدمات عديدة لدولتهم،فبواسطة هؤلاء كانت تحصل على ما تريده من معلومات عن أحوال المغرب،كما أن التجارة أتخذت كغطاء لتحركات الجواسيس والمبعوثين السريين لإسبانيا في هذا البلد.

- كان من ضمن أدوار التجار ،العمل على إفتداء الأسرى.

أما الجوانب السلبية فتتمثل في أن حيث نجد أن عددا كبيرا من الإسبان ،كانواقد خرقوا القوانين الإسبانية، وباعوا الأسلحة والمواد الحظورة إلى التجار المغاربة.

ومن أهم ما جاء في رسائل المولى إسماعيل إلى ملك إسبانيا ،في المسائل التجارية،قضية تاجران يهوديان مغربيان،تعرضا للنهب والسطو في ميناء "قادش" وأثار حفيظة السلطان،وبعث برسالة إلى "فيليب الخامس"،مؤرخة في 20محرم1029هـ/26ديسمبر 1619م جاء فيها:

« إلى فيليب كينط، طاغي قشتالة،وليون وراغون وبسكاية وغليسة ،والأندلسية الشرقية والغربيةوالهند،وغير ذلك مما هو منسوب لأيالتك.

سلام على من أتبع الهدى،وعمل بمقتضاه ثم اهتدى.

أما بعد،فلتعلم وأنه قبل هذه الساعة بأيام قليلة ،كنا أرسلنا لمدينة "قالص" أي"Cadiz" يهوديان من اليهود الذين يتسخرون لنا في مقتضيات الأور الدنيوية،ليقضيا لنا بعض الأغراض بها...وإسمه"سيمون ضلضان"(طوليدانو) ومعه ستة من اليهود يخدمونه.....ونحن نذكر له فيه بأن نترك اليهودي المذكور يتمشى بعض ايام محدودة مقدار ما يقضي أغراضنا المباركة فيها....ولهذ نحب منك المكافات في أن تأذن للذمي المذكور يدخل مدينة "قالص"[1] ويستقر فيها نحو شهرين أو ثلاثة حتى يقضي مئاربنا بها مع غير مستعرض له في ذاك...» [2].

فمن المعلوم أن التجارة بين إسبانيا والمغرب في كل العصر الحديث،وفي الفترة الإسماعيلية بالذات لم تكن هذه التجارة تمر بسهولة،نظرا للحيز الهائل من التنافر السياسي بين الدولتين،ورغم ذلك فقد ربط السلطان تلك المصالح بالتجار الأجانب وبالوسطاء من اليهود الذين كانوا بكثرة في المرافق الإقتصادية المغربية.

---

(1) قادش أو (Cadiz)واحدة من أعرق المدن الإسبانية ،تقع على الساحل الشرقي لإسبانيا على المحيط الأطلسي،كان بها أهم ميناء لهذه الدولة في العصر الحديث،تمتعت بمزايا كبيرة بالنسبة للتجارة العالمية وخاصة الاوروبية والأميريكية،هي اليوم عاصمة مقاطعة قادش بالأندلس،أنظر: Antoine de La Tour: **La Baie De Cadix**,ed.Michel Levy, paris 1858,pp 55-80.

(2) محمد الصغير اليفرني:المرجع السابق ،ص134.

الخاتمة

ومما تقدم يمكن القول:

– إن السلم والمهاذنة بين المغرب وإسبانيا في العهد العلوي الأول،قد لقي سنده لتوافر عوامل ذلك الإلتقاء،بسبب وصول شخصية قوية في المغرب،وهو السلطان "المولى إسماعيل" وإعتماده في سياسته على تحرير الثغور المغربية،والتي أدت إلى الإكثار من تواجد الأسرى الإسبان في المغرب،وكثرة الهجومات الجهادية البحرية على السفن التجارية الإسبانية،الأمر الذي دفع بإسبانيا التي كانت في حالة ضعف ،إلى طلب السلام من المغرب والبحث عن مخارج سلمية لأفتداء أسراها بالمغرب.

– تعددت أدوار الدبلوماسية المغربية الإسبانية في فترة "مولاي إسماعيل"فمن بينها السفارات،وتواجد المنظمات الدينية المختلفة،على الأراضي المغربية لهذا الغرض ،وتبادل الأسرى.

– رغم عدم وجود تمثيل دبلوماسي إسباني في المغرب، من وجود للقناصل والبعثات الدبلوماسية في هذ الفترة من تاريخه،كما هو الحال بالنسبة للدول الأروبية الأخرى(فرنسا وإنكلترا وهولندا) إلا أن الإسبان حافظوا على توازناتهم وإمتيازاتهم في هذا البلد.

– أدت التجارة دورا أساسيا في الأمور السياسية،وأثرت كل منهما في الأخرى،وذلك بسبب العداء التقليدي الذي نشأ بين الدولتين،وعدم الثقة الموجودة بينهما.

– لقد كانت المبادلات التجارية بين إسبانيا والمغرب رغم محدوديتها،مربحة للطرفين وخاصة إذا عرفنا أن إسبانيا هي المنفذ الأوروبي القريب من المغرب،والتي أستغلت كموقع للتجار الأروبيون مع هذا البلد.

– لقد أدى وجود الإحتلال الإسباني في الثغور المغربية إلى فرار وهجرة الكثير من المغاربة للسواحل وهم ما أثر على الإلمام بشؤون البحر،بالرغم من وجود مدن بقيت صامدة أمام التحرشات الإسبانية كسلا.

– لقد سادت روح التسامح الديني في المغرب ،فأمكن ذلك من تواصل إنتقال الأسبان إلى المغرب،وخاصة رجال الدين والتجار.

– كانت الجزائر دائما عنصرا هاما في المعادلة المغربية الإسبانية،فلقد عملت المغرب دور الوسيط بين الدولتين في الكثير من الحالات السياسية أو الإنسانية.

– لقد كانت العلاقات المغربية الجزائرية في تلك الظروف،تسير في فضاء التعاون بين القوى الشعبية من الجانبين ،وحتى بين القوى السياسية رغم التنافر بينهما في كثير من الأحيان،وكثيرا ما

كان التعاون بينهما في أمور الأسرى والقرصنة،والتجارة والتعاون ضد الأعداء وخاصة إسبانيا العدو المشترك لهما.

– يتضح من خلال إستعراض العلاقات المتوترة بين إسبانيا والمغرب من خلال نشاط القرصنة وإشكالية الأسرى،إلى إتجاه الطرفين في فترة حكم مولاي إسماعيل إلى المراوحة بين الحرب والسلم، وتغليب السلم كلما سمحت الظرفية بذلك.

وفي نهاية هذه الدراسة توصلت إلى جملة من النتائج أوجزها في النقاط التالية:

1– لقد عاش المغرب منذ وفاة أحمد المنصور إلى وصول المولى الرشيد(1603م–1665م) فوضى عارمة،كانت المرحلة العصيبة من تاريخ المغرب،والتي هزت هذا البلد مايزيد عن نصف قرن،برزت فيه قوة الأشراف العلويين،الدين عرفوا كيف يوظفون نسبهم ويستغلون الفرص،لينفردوا بالسلطة ويعملوا على توحيد البلاد،بعدما دمرت هياكلها الإقتصادية والإجتماعية.

2– عاشت أوربا بشكل عام ،وفرنسا بشكل خاص،وإسبانيا بشكل أقل ، فكرة النمو والتقدم،وأستوعب علماؤها بالتدريج مغزى التحولات التي صاحبت التجديد والإبتكار عبر العصور التاريخية،وبذلك إستطاعت أن تتجاوز غيرها ،لأنها ربطت الفكر بالتطبيق،ولأنها إنطلقت وعرفت كيف تستعمل الفكر وتسخره لتحقيق مكتسباتها المادية.

3– لقد عاصر العلويون التحولات التي عرفتها أوربا،وخاصة دولة فرنسا ،رغم الضعف الذي ساير إسبانيا في هذه الفترة،فلماذا لم يتعاملوا معها بشكل إيجابي؟ بل دفعت بذلك إلى خلل عميق في موازين القوى،فلم يعد المغاربة قادرين على الوقوف في وجه هذه القوة ، بسبب التفوق التقني والعسكري،لذلك سعى السلاطين في هذه الفترة إلى تجنب التصادم الحربي المباشر،وأعتمدوا على أسس جديدة قوامها السلم والمهادنة،التي كانت في مجمل طياتها تحمل المواجهة المؤدية إلى السلم.

4– لقد تخللت العلاقات المغربية الفرنسية ، بنوع من اللاسلم واللاحرب ،فلم تمر هذه العلاقات بدون أزمات وصراعات ،تخللتها في الواقع فترات هدنة وتعايش سلمي،وعقد معاهدات وبناء علاقات تجارية رغم ماكان بينهما من إشكاليات الجهاد البحري أو القرصنة ،ومانتج عنه من مأساة للأسرى من الجانبين،وإنتهاج فرنسا لويس الرابع عشر لسياسة الغطرسة إتجاه الدول المغاربية،والمغرب بالذات.

5- رغم السطو الفرنسي على المغرب في الكثير من المجالات ،لكننا نلاحظ نوعا من السلم الحذر، في هذه الفترة ، بسبب الحروب الأوروبية،وركون المغرب إلى المهادنة ،بسبب بدأ التباين في مسار التقدم الحضاري الملاحظ بشكل عام.

6- يمكن لنا إعتبار الجهاد البحري أو القرصنة كما يسميها الغربيون ، هي التي طغت في هذه الفترة،وجعلها السلاطين المغاربة وخاصة المولى إسماعيل مؤسسة تابعة للدولة ،وحاول توظيفها وتسخيرها في علاقات المغرب مع فرنسا وإسبانيا،حتى أننا نرى الأسطول المغربي رغم ضعفه،يجوب البحار القريبة،ويضايق المصالح التجارية البحرية لهذه الدول،الأمر الذي أدى إلى تبني هذه الدول لسياسات ومواقف متشددة من المغرب لحماية مصالحها. لكن العلاقات التجارية ،هي أهم حلقات ذلك التواصل الحضاري بين البلدين.

7- كما أحتل تبادل الأسرى حيزا هاما في تحديد علاقات المغرب بكل من فرنسا وإسبانيا،حيث أولى السلطان المغربي المولى إسماعيل ،أهمية للأسرى وأحاطهم بعناية خاصة،وأهتمت بذلك فرنسا وإسبانيا،بوضعية أسراهم،ولأجل ذلك إتجهت السفارات بينهم للوصول إلى ربط معاهدات،تأرجحت بين القبول والرفض،بسبب الإطار الإقتصادي لهذه المسألة،إذ كان الطرفان يستغلون الأسرى يدأ عاملة لبناء الطرق وللتجديف في السفن، كما كان المغرب يستعين بخبرتهم وبكفاءتهم من اجل تأطير الدولة وتسييرها.

8 - كما أن ظاهرة الجهاد البحري أو القرصنة كما سماها الغربيون، قد أخذت حيزا هاما من تلك العلاقات، فأصبحت النشاط الأساسي لإقتصاد المغرب حسبهم،وحمّل هؤلاء، المغاربة مسؤولية التوتر الذي ساد العلاقات المغربية الأوروبية في هذه الفترة بالذات،وربطوها باللصوصية والنهب،وأستغلت هذه الفرضية لتبرير كل التحركات الفرنسية وحتى الإسبانية ضد المغرب،وهي نفس السياسة التي إستعملوها ضد الجزائر.

9- إستمر الجهاد البحري في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، بشكل عام في الفترة الإسماعيلية،بسبب الضيق الإقتصادي ،بعد خروج أوروبا من مجالها الضيق ،بهدف إكتساح العالم،بعدما سيطرت على الطرق البحرية العالمية، وأبتكرت التقنيات البحرية الضرورية لذلك،وتغير ميزان القوى لصالح هؤلاء.

10- أعتمدت الرسائل كوسيلة من وسائل الدبلوماسية بين المغرب وجارتيه ،فرنسا وإسبانيا،ولم تكن هذه المهمة تساير التحولات التاريخية التي طرأت على أوروبا،فقد خاطب السلاطين

المغاربة،وخاصة مولاي إسماعيل الملوك الفرنسيين والإسبان،في كثير من رسائله بصيغ وعبارات وحتى بالترفع وبالآمر،وكأنه يخاطب رعاياه،ويستعمل أسلوب الإبتزاز، وهي أساليب تخالف الأعراف الدبلوماسية التي إستعملها ملوك فرنسا وإسبانيا في الرد عليه،رغم غطرسة سياسة لويس الرابع عشراتجاه غيره.

بل على العكس من تلك الرسائل وتلك الممارسات،كان منطق الدبلوماسية الأوروبية،ذا منطق مغاير،لأنه إتصف بالإتزان،ولو ظاهريا،وحرص على المصلحة العامة في كل دروبه.

وحتى في العلاقات الدبلوماسية بينهم ،ظل السلطان هو المنشط الأساسي لها،ويستعين في تحريكها بخدام له،يرسلهم إلى البلدان التي يريد الإتصال بها ،حيث أرسلوا لفترات محدودة وقصيرة جدا،وفي مهام مضبوطة،وغالبا ما كان هؤلاء السفراء يستعينون في رحلاتهم بخدمات القناصل المعتمدين بالمغرب أو بالتجار الأجانب،وأعتادوا التنقل في السفن الفرنسية،وبذلك كانت هذه السفارات تذهب إلى فرنسا أوإسبانيا أو حتى غيرهما،في جو رسمي معروف في الداخل والخارج، وعند وصولهم،يجدون برامج تحركاتهم مسطرة ،ينتقلون من مكان إلى أخر وفق ما رسمته الدولة المضيفة،ومن ثم ظلت معرفتهم بهذه المجتمعات ضعيفة للغاية.

11- من الصعب الإقرار بوجود آلية دبلوماسية على غرار ما كان حاصلا في أوروبا،حيث كانت هذه المؤسسة تعكس مظهرا من مظاهر حيوية الدولة الحديثة وطموحاتها.

12- كما تميزت علاقات المغرب بأوربا في الفترة الإسماعيلية بالخصوص ،بسياسة الحذر والتردد،ونشطت التجارة مع الشرق والجنوب،لأن نمط الإقتصاد السائد آنذاك كان يتطلب طبيعة تلك العلاقات ،ويحددها،فأهمل البحر وأعتبر أحيانا مصدرا لويلات المغرب،رغم تغير الأوضاع العالمية،حيث أصبح المحيط الأطلسي هو المركز الحيوي في الإقتصاد العالمي،وصارت الطرق البحرية أساس المواصلات .

13- عمد مولاي إسماعيل على ربط مصالح البلاد بالتجار الأجانب،وبالوسطاء من اليهود،فكان المولى إسماعيل لا يتردد في إستخدامهم لتسهيل المعاملات والصفقات،وأهتم بإستيراد الأسلحة فمن خلال ما سبق،يظهر لنا أن المغرب في هذه الفترة لم تكن له آلة دبلوماسية هادفة إلى تحقيق مصالح إقتصادية وسياسية، بل على السخرة المخزنية.

14-إستخدمت فرنسا وإسبانيا بشكل أقل،الدبلوماسية لتحقيق أهدافها التي كانت تتمثل في فرض منطق غلبتها،والعمل على الوصول إلى الأساليب الملائمة لهذه الغلبة وهذا التجاوز،وأهتمت

بإستعمال الإطار القانوني القادر على محاصرة وتطويق العناصر التي كانت تعارض مصالحها،بفرض ودعم أسلوب المعاهدات والمهاذنة مع المغرب الإسماعيلي.حتى أننا نرى أن الوفود المغربية لم تسهر و لم تشارك في تحرير المعاهدات،بل كانت الوفود الأوروبية هي الساهرة على تحريرها،ثم مصادقة المغاربة عليها فيما بعد،،فيظهر أن المغاربة عكس الأوروبيين لم يكونوا يولون أهمية لمضمون بنـــود المعاهدات،وكانوا يوقعون عليها من أجل الحصول على هدايا وفوائد مادية.

15- لقد أقام المغرب علاقات حذرة مترددة مع كل من فرنسا وإسبانيا،اثرت في إقامة علاقات إستراتيجية معهم،ولعل السبب يعود كذلك إلى هذه الدول نفسها التي إعتمدت سياسة الإقصـــاء تجاه المغرب وبقية الدول المغاربية.و لم يستطع المغرب ان يوازن في علاقاتـــه مـــع هـــذه الـــدول الأوروبية،بسب النزعة التسلطية والخلفية المسيحية الصليبية التي بقيت حائلا دون ذلك التوازن في تلك العلاقات.وحتى أنه لم يستفد من تلك العلاقات في إنماء ونهضة دولته،فرغم ذلك الإنـــدفاع الأوروبي نحو التقدم الحضاري،نجد إنكماشا وتراجعا مغربيا،فبقدر ما زادت أوروبا يقينا بتفوقهـــا ووعت حيويتها،بقدر ما أبتعد المغرب عن تلك العوامل وعمقت الهوة بينـــهما.ورغـــم ضـــعف إسبانيا،وخروج المغرب من محنته الداخلية،ومحاولات السلطان مولاي إسماعيل المتكـــررة لتحريـــر كامل ثغوره،إلا أنه لم يستطع أن يحرر بعض أراضيه التي بقيت إلى اليوم في يد الإسبان.

16- ورغم المشاركة التجارية للمغاربة مع الأوروبيين ،إلا أن ذلك لم يؤهلـــهم بـــأن يقومـــوا بالمشاركة في التجارة العالمية التي فتحتها كل من إسبانيا، ومن بعدها فرنسا نحو العالم الجديد،ففي الوقت الذي سيطرت فيه هذه الدول على الطرق العالمية البحرية ،نجد المغاربة يتجهـــون جنـــوب الصحراء ، محاولة منهم لربط الممالك الإفريقية بإقتصـــادياتها . إزدادت هـــوة تجـــاوز أوروبـــا للمغرب،لأن الأروبيين أمنوا بالملموس وعملوا على تغييره قصد تحسين حياتهم اليومية،لا التأمـــل فيه.

وهكذا سيطرت أوروبا على التجارة وفرضت شروطها على العالم فركزت على منطق المهادنة والمعاهدة المعتمد عليها في القانون الأوروبي، الذي يبقى قانونا أوروبيا في أساسه ،وضع لضـــبط التصرفات والممارسات التي تعوق مصالحها ،وتشوّش على تجارتها ، فكانت كل مبادرات التواصل بين فرنسا والمغرب ،وبينها والجزائر ، جاءت من الفرنسيين ،ونفس القول يقال على مجموع الدول الأوروبية والمغاربية بصفة عامة.

قائمة المختصرات الواردة في الدراسة

أ) باللغة العربية:

ج: الجزء

ط: الطبعة

ص: صفحة

ص.ص: صفحات عديدة

مج: مجلد

م.م.ت.م:المصادر المغفلة لتاريخ المغرب

غ.م: غير منشورة

ب) باللغة الأجنبية:

-N: numéro
-I:inventaire
-T:tome
-ED:édition
-FOL: folio
-B:Boîtier
-R.O.M.M:Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée.
-S.I.H.M:Sources Inédites de l'histoire du Maroc.

الملاحق

-الملحق الأول:

ويتعلق بملوك الدولة العلوية في القرن السابع عشر والربع الأول من القرن الثامن عشر[1]

المولى علي الشريف بن عبد الله،المعروف بالشريف 1041هـ-1069هـ/ 1631م-توفي 1659م.

⇕

محمد الأول بن الشريف الحسني1045هـ-1075هـ/ 1636م- 1664 م.

⇕

مولاي الرشيد بن الشريف1076هـ-1082هـ/ 1666م- 1672م.

⇕

مولاي إسماعيل بن الشريف1082هـ-1139هـ/ 1672م- 1727م.

---

[1] أنظر محمد بن أحمد أبو القاسم الزياني:**تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**،ط1 ، تحقيق رشيد الزاوية،مطبعة الأمنية،الرباط 2008،ص79.

-الملحق الثاني:

شكل يبين شجرة الملوك الفرنسيون الذين حكموا فرنسا من سنة 1959م وإلى1727م.

لويس الرابع عشر:1643م-1715م.

⇕

فيليب أوليون (وصي على العرش):1715م-1723م.

⇕

لويس الخامس عشر:1715م-1774م.

(1) -أنظر:هيرمن كندر،فيرنر هيلغمن:**أطلس (D.T.V)تاريخ العالم من البدايات حتى الزمن الحاضر**،تعريب إلياس الحلو،ط1،المطبعة الشرقية،بيروت2003،ص ص 260،236

-الملحق الثالث:

ويتعلق بالملوك الإسبان الذين حكموا إسبانيا من سنة 1659م وإلى1727م: [1]

①-عائلة الهابسبورغ

فيليب الرابع:1621م-1665م.

⇕

شارل الثاني:1665م-1700م.

⇕

②-عائلة البوربون

فيليب الخامس:1700م-1724م.

⇕

لويس الأول:1724م.

⇕

فيليب(فيرديناند) السادس:1724م-1774م.

(1) Dominique et Michéle frémy:**QUID 1996**,éditions Robert Laffont,paris1995,pp 1142,1143

-الملحق الرابع:

ويبين حكام الجزائر العثمانيين الذين حكموا الجزائر من 1659م/1727م[1]

-الباشا إسماعيل 1659	الأغاوات	-الدايات
	-خليل أغا 1659م/1660م.	-حاجي محمد 1671م/1681م.
	-رمضان أغا 1660م/1661م.	-بابا حسن 1681م/1683م.
	-إبراهيم أغا 1661م.	- حاج حسين ميزومورتو 1683م/1686م.
	-شعبان أغا1661م/1664م.	- حاج شعبان 1686م/1689م.
	-علي أغا 1664م/1671م.	-حاج احمد 1689م/1695م.
		-قارة بن علي 1695م/1698م.
		-بابا حسن 1698م.
		- الداي علي 1698م/1700م.
		-بابا حاج مصطفى1700م/1705م
		-حسين خوجة1705م/1707م.
		-محمد بن علي 1707م/1709م.
		-دالي إبراهيم 1709م/1710م.
		-علي شاعو1710م/1718م.
		-محمد بن حسن1718م/1724م.
		-قور عبدي1724م/1732م.

[1] Eugéne Plantet:**correspondance des deys d'alger avec la cour de France(1579/1833)**,tome 02,paris 1889,pp585,586.

الملحق الخامس:

رسالة من السلطان مولاي إسماعيل إلى فيليب الخامس ملك إسبانيا يطلب منه تحرير أسير جزائري وهي بتاريخ 1128هـ/ 1716م

(1) نقلا عن أرشيف المكتبة الحسنية بالرباط، قسم الوثائق، 03 ، نقلها محقق الكتاب ،أنظر محمد الصغير اليفرني:**روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ،المطبعة الملكية بالرباط،الرباط2007،ص ص130،131.

الحمد لله وحده ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم،لارب غيره،ولا معبود سواه.

عن الآمر العلي بالله تعالى المؤيدي المنصوري السلطاني الإمامي العلوي

الطابع السلطاني بداخله

إسماعي بن الشريف الحسني أيده الله

وبدائرته:إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا

أيده الله ونصره،وظفر بيمنه جنوده وعساكره ،أمين،يارب العالمين

إلى طاغية قشتالة،اليون،راغون،نبارة،ميورقة،منورقة،الأندلسية العلياوالسفلا وغيرها،فيليب كينط.

سلام على من أتبع الهدى

أما بعد فقد ورد لمقامنا العلي بالله رجل مسكين من أهل الجزائر مزغنة،وتلاقينا معه في يوم عيدنا المبارك القريب من التاريخ،وذكر لنا بأن ولده إسمه محمد بن صوفة،أسير عندك في إيالتك إسبانية،وهو الأن في الغراب المسى قباطنة وأستحيينا منه لكبر سنه ولغربته في بلادنا وقصده إلينا،فنادينا على النصارى الفرايلية الإسبنيول الذين عندنا،وتكلمنا معهم في شأن ولد هذا الرجل المذكور،فقالوا لنا إنهم لا قدرة لهم على تسريحه إلا بإذنك وبمشورتك،فلذلك كتبنا لك هذا الكتاب الكريم أسماه الله لتسرحه لنا بعد أن عينا نصرانيا واحدا من جنس الإسبنيول إسمه منويل أبانيس ووجهناه لمينة تطوان يجلس بها إلى أن يقدم المسلم الأسير محمد بن صوفة المذكور ونسرحه حتى هو بحول الله وقوته،وكذلك نقضوا لك جميع ما يعرض لك من الأعراض الجائزات في إيالتنا المباركة إن شاء الله تعالى بتوفيقه،وقد سرحنا قبل اليوم واحدا من النصارى الفرايلية كان أسيرا عندنا أطلقناه في يد النصارى الفرايلية وأوفوا في فدائه معنا،وكانوا يطلبون منا فداء بعض النصارى الأسارى،واليوم رأيناهم قصروا في ذالك ولم يمدوا أيديهم إلى الكلام فيهم معنا ،فأظنهم لا إذن لهم من قبلك،فإذا أعطيتهم الإذن فما نعمل لهم إلا غرضهم على عادتنا المباركة معهم.

والسلام على من أتبع الهذى.

وكتب في السادس والعشرين من ربيع الأول النبوي المفضل الشريف عام ثمانية وعشرين ومائة وألف.

الملحق السادس:

رسالة من السلطان مولاي إسماعيل إلى فيليب الخامس ملك إسبانيا تتعلق بمعاملة الإسبانيين ليهودي من خدام السلطان [1]

[1] أنظر،محمد الصغير اليفرني: المرجع السابق ،أضافها محقق الكتاب نقلا عن أرشيف المكتبة الحسنية بالرباط،قسم الوثائق،رقم سجل الوثيقة 26203، ص ص 133-135.

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

عن الآمر العلي بالله تعالى،المؤيد المنصور الهاشمي أمير المؤمنين،المجاهد في سبيل رب العالمين،الشريف الحسني.

الطابع السلطاني بداخله

إسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله.

وبدائرته:إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا

أيده الله ونصره،وظفر بمنه وكرمه المباركة وعساكره،أمين.

إلى فيليب كينط،طاغية قشتالة،وإليون،وراغون،وبسكاية،وغليسة والأندلسية الشرقية والغرب والغربية،والهند،وغير ذالك مما هو منسوب لأيالتك.

سلام على من إتبع الهدى،وعمل بمقتضاه ثم إهتدى.

أما بعد،فلتعلم وأن قبل هذه الساعة بأيام كنا أرسلنا لمدينة قالص يهوديا من اليهود الذين يتسخرون لنا في مقتضيات الأمور الدنيوية ليقضي لنا بعض الأغراض بها،وإسمه سيمون ضلضان،ومعه ستة من اليهود يخدمونه،وبيده كتابنا الأسمى مكتوب لخديمك المتولي أمر الكلام على يدك في مدينة قالص، ونحن نذكر له فيه بأن يترك اليهودي المذكور يتمشى بعض أيام محدودة مقدار ما يقضي أغراضنا المباركة فيها،ظنا منا أن الأمر هذا الأمر خفيف وليس فيه تصعب ولا تعنيف،ثم إنه ظهر لنا بما صدر منه أن لا قدرة له بذلك،بالإنكسيسيون،فلذلك كتبنا لك،لأنك ملك،وكل شئ ولا بد فمبرجوعه إليك هنالك،وأما قول أهل ديوان الإنكسيسيون إن مباشرة اليهود تفسد عقائد العامة،لوعلمنا نحن ذلك منهم لا تركنا منهم ذاكرة،لأن الإنسان إذا أختار لنفسه دينه لا تفسده له العقائد الحادثة،مع أنهم إذا كان ولا بد من ذلك فيعينون لهم رجلا عاقلا من أهل ديوانهم المذكور،ويصحبهم ويلازمهم في طريقهم ولا يتكلمون مع أحد من العامة في أمور دينهم،كما هي عادتهم اليوم،أو ما علمت أن في أيالتنا المباركة عندنا من النصارى الفرايلية الكنائس والأماكين الذين يكفرون فيهم على عادتهم بأصنامهم وصلبانهم،وجيع ما يحتاجون في كنائسهم وذاك كله مكروه عندنا في ديننا،ولأجزنا لهد ذلك لأجل ما تقدم لأسلافكم من حسن المخاطبة معنا،ولهذ نحب منك المكافات ،في أن تأذن للذمي المذكور يدخل مدينة قالص ويستقر فيها نحو شهرين أو ثلاثة،حت يقضي مئاربنا بها من غير متعرض له في ذلك،وكل ما يعرض لك من الأغراض الجائزة في إيالتنا السعيدة يقضى لك عندنا بحول الله وقوته.إنتهى.

وكتب في عشرين من محرم الحرام فاتح عام تسعة وعشرين ومائة وألف.

الملحق السابع:

–رسالة من مولاي إسماعيل إلى لويس الرابع عشر وتتعلق بأمور التجارة والأسرى: [1]

[1] – أضافها المحقق عبد الهادي التازي نقلا عن ارشيف الوثائق الملكية بالرباط،أنظر عبد الرحمن بن زيدان : المرجع السابق ، ص272 – 274.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من عبد الله تعالى الغالب بأمر الله المتوكل في جميع أموره على الله،أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الهاشمي المنيف إسماعيل بن الشريف الحسني.

إسماعي بن الشريف الحسني أيده الله ونصره

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا

أيد الله أوامره وظفر جنوده المنصورة وعساكره أمين

إلى عظيم الروم وكبير مملكة الفرنسيس والمتولي أمرهم والمتصرف في أحكامهم،لويس الرابع عشر،السلام على من أتبع الهدى،وأجتنب سبيل الردى.

أما بعد فأعلم انه ورد على مقامنا العلي بالله النصراني التاجر ولد "إصطيل القوصو" وزعم أن بيده من عندكم أمر وتفويض،أستظهر لنا بمكتوب على لسانكم يدل على الإذن له في الكلام فيما يظهر له لدينا من مهماتكم وأغراضكم ويتوسط فيما يعرض لكم بحضرتنا العلية،صانها الله فلم نشك انه مكتوبكم وإذنكم غير أنا لم نعتمد على قوله ولم نر الكلام معه في شئ من ذلك لكونه تاجرا وليس هو من خواص أصحابكم ولا من كبار خدامكم وأعيانهم لديكم إذ ليس من شأن التجار الدخول في الكلام مع الملوك ،وأن يكونوا وسائط فيما يعرض من بينهم في تبليغ،فالتاجر إنما يتكلم فيما هو من وظيفة فقط،إلا إذا كان التاجر يسعى في تبليغ كلام هذا لهذا،أو حصول المواصلة أو حمل رسالة يقع بها البعث من الجهتين،فنعم،وهذا غاية ما يحصل من كلام التاجر لا غير،فإن كان لكم عرض في الكلام بجد وخلوص نية فأبعث إلينا واحدا من كبار أصحابكم الذين يوثق بهم ونتكلم معهم ويأتينا بهذا القصد وبهذه النية،وإن أحببتم أن نوجه لكم واحدا من خيار خدامنا وكبار أهل بساطنا العلي بالله فأبعثوا مركبا يحمله من عندنا ونبعث لكم بالإذن الصحيح وحاصل مانتكلم به معكم في هذه الأساري التي لكم عندنا أن تعمل لكم فيها الفداء نصرانيا واحدا بمسلم،ولا ينبغي عندكم إلا من هو هنالك من أهل سلا والرباط وتطوان وفاس والقصر ومكناسة الذين أخدوا دون العشر سنين إلى ست سنين إلى أربع فأقلهم من ذلك ومن سواهم في غير هذه البالد المذكورة ومن كان فوق العشر سنين لا نتكلم معكم فيه بشئ سوى هؤلاء الأسارى ولولا هؤلاء التجار من عندكم أزعجونا في الكلام والمراجعة في هؤلاء الأسارى الذين لكم عندنا وأهلهم هنالك يزعجون هؤلاء التجار وهم يترادفون علينا بالقول في حجتكم كم من مرة ما أبتغينا فيهم كلاما ولا عندنا هنالك أسارى تكبر عيننا مسألتهم أو من هو معروف عندنا بوجهه يعينونه من خدامكم يأتي معه بجميع من هو هنالك من الأسارى المذكورين إلى قرب المرس ونتفاصل معه بوجه لائق ممكن ونعطيه أساراكم وناخد منه المسلمين هذا بهذا ولا يرجع إلا مقضي الغرض،إن شاء الله،والوجه اللائق بكم من بعث بعض أصحابكم أوبعث المركب لصاحبنا،أعملوا عليه،والله سبحانه الموفق للأمور والمعتد عليه والسلام على من إتبع الهدى .كتب لغرة ربيع النبوي المفضل عام ثلاثة ومائة وألأف. 22نوفمبر1691.

الملحق الثامن:

يمثل عينة من المغاربة الذين أرسلوا إلى التجديف في مرسيليا وطولون في جويلية 1681[1]م.

1-عبد السلام فنيش.	49-بوحاج الخيزي.
2-عبد الرحمن بن إبراهيم بن مسعود بن علي.	50-الحاج محمد المحجوب.
3-عبد الله فنيش.	51-الطالب محمد اليوسفي.
4-أحمد بن الحاج محمد بن الحسين ياملو.	52-محمد بن سعيد الجوا.
5-محم الرايس قنديل.	53-ولد بليفو.
6- محمد بن عبد القادر.	54-محمد العقيد.
7-عبد الرحمن بن علي المديون.	55-حمو السلاوي.
8-علي رحمون.	56-محمد الخال بن معطاالله.
9-الحاج بن عشير المديون	57-الحاج إبراهيم الخابطي.
10-محمد بن عبد الرحمن الحسين.	58-أبويازة بن محمد الوراوي.
11-عبد الله علي عطوب.	59-العربي بن سعيد العلام.
12-محمد بن أعمر فلاح.	60-عبد الله الزردي.
13-محمد بن الحاج عبد الكريم الحاسس	61-الغريب بن محمد بن عزوز.
14-أحمد بن محمد الخليف.	62-عبد السلام السفياني.
15-علي بن بوزة المعقل.	63-المصلح.
16-عبد الله بن عد الرحمن أفران.	64-المنبح.
17-أحمد بن محمد العقيد.	65-الحاج محجوب.
18-عبد الله سليم وصيف التازي.	66-مسعود بن مقبلين.
19-عبد النبي بن محمد زيد.	67-الأنباري بن عبد السلام.
20-أبو الخير وصيف المراكشي.	68-أحمد المسريني.
21-أحمد بن محمد أوزيد.	69-حسان بن الحاج الرياتي.
22-الطالب محمد حركات.	70-قاسم بن عبد الرحمن أحوال.
23-أحمد بن علي بن احمد بن أبي بكر.	71-الناصر الصروخ.
24-التوات بن علي عشير.	72-محمد الجدر.
25-محمد بنأحمد السبتي.	73-قاسم غنام تيطوان.
26-أحمد بن أحمد الحابجي.	74-إبراهيم أمزيل.
27-عبد الرحمن بن علي بن العربي الحابجي.	75-ولد وراس.
	76-عبد السلام بن الحاج بناي.

[1] نقلا عن الأرشيف الوطني الفرنسي،رقم (A.n.p/Marine/B7525/F11 137) أنظر ليلى مزيان ،المرجع السابق، ، ص190.

28-محمد بن الحاج عبد العزيز الجزولي.
29-علي ةلد بن إنمان.
30-عبد الرحمن بن دردور.
31-أحمد وصالح الموساوي.
32-وازج بن الحرارطي.
33-مسعود بن علي الزموري.
34-ولد با إيدر.
35-محمد بن الشويخ اليوطي.
36-محمد القرشي.
37-محمد القرقال.
38-أحمد شبيرة.
39-محمد بن الحسان البردي.
40-عبد الرحمن مويزن.
41-علي اللينتي.
42-حسان بن الصبيحي.
43-علي بن محمد بلاشكو.
44-علي المسناوة.
45-محمد التركلي.
46-العربي بن عبد الواحد.
47-الغازي الفاسي.
48-عبد الرحمن بن عبد الرحيم.

77-حسان بن إبراهيم بن غرينيشي.
78-الطالب السبتي.
79-أحمد كوزو لاطو.
80-إبراهيم الصادق.
81-العربي بن عبدالله الصادق.
82-سناوي بن عبد الرحمن الشلي.
83-عزوز بن منصور.
84-محمد بن عبد الرحمن بي زاكر.
85-سعيد بن عبد الله أخو الشطي.
86-علي بن علي اليسار.
87-أحمد بن صالح الجوطي.
88-الفاتح عبد البدر
89-علي بن يوسف البكاوين.
90-بروال القسري.
91-عبد السلام الشاط.
92-قاسم جرجور.
93-الحاج قاسم الطالب.
94-محمد صنهاجي.

الملحق التاسع: بعض المغاربة الأسرى في مراكب التجديف الفرنسية[1]

الإسم	الرقم	الأصل	سنة الأسر	العمر	مكان العمل	متوفى/مفتدى
عبد الرحمن	3288	سلا	1686م	30سنة	L'clatante	1717م
أحمد/أنطوان فوزينكو	3320	سانت كروا	1686م	42سنة	-	-
سليمان بن أعمر	3292	سلا	1686م	26سنة	La Duchesse	-
عبد الله بن علي	5426	سلا	1691م	36سنة	Solidat	1702م
عبد الواحد بن عبد الرحمن	5430	سلا	1691م	30سنة	-	1703م
قاسم بن فنيش	5423	سلا	1691م	35سنة	Solidat	1702م
مرزوق بن سعيد	5362	تطوان	1691م	30سنة	طباخ	1708م
محمد برادو	5404	سلا	1691م	26سنة	طباخ	1710م
سعيد بن بلخير	7336	السوس	1703م	25سنة	Mortelot	1706م
أحمد بن عبد الله	7380	المعمورة	1707م	20سنة	-	-
بوجمعة بن علي	7383	العرائش	1707م	50سنة	Mortelot	1709م
بوجمعة بن محمد	7370	مراكش	1707م	46سنة	-	1710م
الناصر بن مسعود	7357	تطوان	1707م	40سنة	Mortelot	-
رابح بلخير	7376	مكناس	1707م	28سنة	حلاق	1711م
فاتح بن المبروك	7382	سلا	1707م	-	-	1709م

[1] نقلا عن مجلة (Gezette de France du 15/07/1687) أنظر ليلى مزيان ،المرجع السابق، ص190.

الملحق العاشر:

نص المعاهدة المغربية الفرنسية،لسنة 1682م[1]

أولا: فليبطل كل نوع من أنواع العداوة والمقاتلة من الآن فصاعدا بين الجيش بالبر كان أو بالبحر،وكل العمائر من المراكب والسفن والرعايا الحادثة من جهة الأنبرور الفرنسوي والأنبرور المراكشي.

ثانيا: من تم وبعد فليكن صلح بين أتبرور فرنسا ورعاياه وبين أنبرور مراكش وسلطان فاس ورعاياه فيمكن لهم أن يتعاطو بعضهم مع بعض بكافة أمور المتجر في الملكين والسلطتين معا،وكافة أمتاعهم ومن غير عائق يعين لنا ولهم من المسافرة في البر والبحر قطعا من الجوه.

ثالثا: فالمراكب المسلحة للحرب الذين في مين نبرو المراكشي وسلطان فاس إذا ألتقوا فيالبحر من مراكب والسفن راسية واسقة تحت لواء فرنسا وكافة ميله،فإذا شاهدوا معهم براء ،أمير البحر المنسوخة بحسب هذه النسخة بعيانها حسب هذا الشرط والعهد فللحال عند وقوفهم عليها فليطلقوا حال سبيلهم بكل أمان من كل ما يعوقهم،ولا يعاضوهم بأمر من الأمور وعلى هذه الشروط فليس عدوهم ويعينونهم في كل ما يحتاجون إليه،وقبل ذلك ما تعلموا مراكب الفرنساوية مع مراكب الخاضعين تحت حكم أبرور مراكش وسلطان فاس بعد أن يكون معهم تجديدا ونيشان من قنصل فرنسا والمتوقف في سلا بشرط ان يكون نسخة من هذه العهدة بالسوي فيما إشترطنا وتعاهدنا.

رابعا: أيضا المراكب المتسلحة للحرب ومراكب التجار الدين بهاتين الطائفتين،فليكونوا مقبولين مع بعضهما البعض في المينا كان أو في الشط في حكم نبرور فرنسا أو تحت حكم أبرور مراكش وسلطان فاس فليعط لهم غاية الأمان لمراكبهم ولكافة الركاب معهم في كل ما يحتاجونه فليسقوا لهم كل ما كان يعوزهم بوزن السعر المحمود وعوائد المواضع الراسين بها.

خامسا: فإذا عرض بعض مراكب التجار الفرنسوية ودخل إلى مينا أو شطوط التي تحت حكم أنبرور مراكش وسلطان فاس طابقا وغاشما من بعض مراكب الجهاد التي للأعداء مثل مراكب الجزائروتونس وما يليهما ،فليحامي عنهم ويرادد بالدفاع من القلاع والحصارات وتعطى لهم مهلة أمان كافية كي يخرجوا ويبتعدوا عن المينا والشطوط ومع ذلك الحال فليكونوا معاونين لمراكب العدو من من غير إجازة كان لإلحاقهم وعلى مثل ذلك القياس تكون المساعدة لهم أيضا في جهات المينا التي تحت حكم أنبرور الفرنساوية،وعلى الشرط لكن المراكب المجردة للحرب من قبل أنبرور مراكش وسلطان فاس أو من قبل رباب دولته لا يمكنهم أن يخطفوا شيئا لأحد مسافة ستة أميال من جوانب بلاد فرنسا وبلاد مراكش أيضا.

---

[1] – توجد نسخة فرنسية أصلية منها في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس، تحت رقم : vo01,inv,fof.originaux,518 folio 05) ويبدو أن المؤلف قد عربها، أنظر عبد الرحمن بن زيدان:**المترع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل** ،المرجع السابق،نقلا عن،دوكاستري،م. م .ت.م . السلسلة الثانية ،مج 01، ص 608، 609،ص197– 200.

سادسا: مهما إنمسك من الفرنساوية في يد الأعداء الأنبرور الفرنساوية وصاروا موادين إلى جميع المينا والأراضي التي تحت حكم أنبرور مراكش وسلطان فاس،فليصيروا للحال معتوقين من غير أن يكونوا مأمورين وعلى هذا النوع أيضا إذا حدث أن مركب الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وغيرهما الذين يكونون أو يمكن أن يكونوا في الحرب مع أبرور الفرنسوية جاءين معهم أسراء فرنساوية وحطوهم في الأراضي التي تحت حكم نبرور مراكش وسلطان فاس فليأمر للوقت لكافة قواده أن يمسكوا الأسراء المذكورين ويجتهدوا على فكاكهم بمساعدة قنصل فرنسا بما يمكن من مراعاة الأسعار وبمثل ذلك بصير ويفعل في بلاد فرنسا لأجل رعايا أبرور مراكش وسلطان فاس.

سابعا: كل المأسورين من جنس الفرنسيين الحاصلين في حذاء أراضي المذكور،أعني أبرور مراكش سلطان فاس يمكن أن يصيروا مطلوبين بمائة قرش ريال حتى الموجودين الآن في الخدمة والعسر لا نطلب منهم أكثر من هذا العسر لكي يصير مثل ذلك للأسارى الذين هم لأمبرور مراكش وسلطان فاس الذي قد يمكن أن يكونوا في أسر الفرنساوية موجودين على شرط الهدنة التي صارت مع السيد دولابار والقايد عمر،فالقايد المذكور إتفق بالسكرة المنشية بخط يده موضوعة بيد المذكور أعلا السيد دولابار الذي إرتضى بأن يرد عدد الأسرى الفرنساوية بعدد المراكشيين الموجودين بواسط الغليون المدعو علي بودي والمذكورتوقي اللابجي أي الأنباشادور محققا،فإن للحال بعد إعلامه الأنبرور المراكشي وسلطان فاس سيحصل الحق بجميع ما ذكر في تسكرة المذكور أعلاه القائد بأن يرجع له عدد نفر خمسة وستين فرنساوية حتى مع عشرين الذين رجعهم القائد المذكور أعلاه،فجميع عددهم خمس وثمانون نفرا نقضا للعدد المذكور من أسارى مراكش الذين صار فكاكهم على يد السيد دو لابار.

ثامنا: لا توخد الركاب الفرباء الموجودين فوق مراكب فرنسا ولا مثل ذلك الفرنسوية تأخد ما فوق المراكب المغربية وليس بمكن أن يصيروا موسرين بأي نوع من الأنواع ومما كان من المراكب التي يوخد عليها حتى ولو دافعوا عن أنفسهم،وكذلك يكون للغرباء الذين يوجدون ويكون على مراكب مراكش ورعايا انبرور مراكش وسلطان فاس المذكور أعلاه على مراكب الغرباء.

تاسعا: فإذا كان أحد المراكب من مراكب فرنسا في النواحي التابعة لحكم أنبرور مراكش وسلطان فاس حتى ولو كانت مطرودة من بعض الأعداء أو عرض ذلك من الطقس الردئ فمن لازم الضرورة بأن تعينوه بكل ما يحتاج لسيره في البحر أو لنشل البضاعة الموسوقة بعد وزن أجرة اليومي لأولئك المجتهزين في معونته من غير أن يطلبوا منه الكرك والمير لأجل البضاعة النزلة للبر ما عدى أن أنباعثفي مينا حكم الذكور أعلاه.

عاشرا: كل تجار الفرنساوية المتعاطين المتجر في مينا أو نواحي مراكش أو فاس المتأبطين للإجازة لهم أن يتزلوا بضاعتهم للأرض ويبيعون ويشترون من غير عرقلة ومن غير أن يلزموا شيئا خلاف المعين من قبل المتعينيين تحت حكم أنبرورمراكش وسلطان فاس وهكذا يكون لهم في المينا التي تحت حكم أنبرور فرنسا فربما التجار المذكورين يتزلون بضاعتهم في الأرض وقصدهم الراحة فقد يمكنهم وسقها من غير أن يؤدوا شيئا من المرتب.

الحادي عشر: أن لا يعطى معونة ولا نصر لمراكب طرابلس وتونس والجزائر ضد الفرنساوية حتى ولا للمعمرين تحت أمرهم،فيجب على الأمبرور المذكور أعني المراكشي بأن ينهي ويحرم بغاية القصد لكل الخاضعين تحت سلطته بأن لا يعمروا تحت أمر أو طاعة أحد من الأمراء أو تحت حزب من حزب الأعداء المضادين لتاج الفرنساوية وعلى هذا القياس يمنع هو أولئك الدين أنبرور فرنسا فتحارب ضدهم هم بأن يعمروا في مينا ويكونوا غزاة على رعاياه.

الثاني عشر: وقد يمكن للأمبرور المذكور أعني صاحب فرنسا بان ينصب قنصلا في سلا وفي تطوان أو في أي موقع أراد كي يعين تجار فرنسا في كل ما يحتاجونه إليه ويمكن القنصول المنصوب من طرفه أن يتعاطى بغاية الأمان والطمأنينة في مترله وكافة أمور دينه على طقس المسيحي ومثل ما يكون له ذلك يكون لجميع النصارى المريدين يصلوا تبعه وكممثل هذا يمكن أن يكون لرعية أنبرور مراكش وسلطان فاس الدين يأتون إلى بلاد فرنسا يمكنهم يعملوا في مترلهم حسبما عوائد مذهبهم ويكون للقنصول المذكور كل الحكم والقضاء في الدعاوي التي يمكن أن تحدث بين الفرنساويين من غير معارضة قضاة وحكام أنبرور مراكش وسلطان فاس ولا يجوز التكشف عن الخبر.

الثالث عشر: وإذا حدثت دعوة بين أحد الفرنسيين وبين شخص من أهل مراكش لا يقضي بينهم أمام القضاة المرتبين،لكن يكون قضاؤهم أمام ديوان أنبرور مراكش وسلطان فاس المذكور أعلاه أو أمام حاكم المينا الذين من جانبه حيث تحدث الدعاوي.

الرابع عشر:ولا يلزم للقنصل المذكور أن يغرم دينا من دون أحد تجار فرنسا ما عدا إذا كان ملتزما بما سبق من خط يده ،وللنظر في متخلفات موتى فرنسا موضوعة بين القنصل المعين يصرفها في منافع الفرنسيين أو غيرهم أو للذين يختص بهم تلك المتخلفات وهذا الشرط يكون ويصير لأجل رعايا أنبرور مراكش وسلطان فاس الطالبين العقود والسكنى في بلاد فرنسا.

الخامس عشر: ويكون القنصل المعين معفى من جميع ما يلزم من مال المير اللازم من نوع الذخيرة للمأكل والمشرب وكافة البضائع المخصصة بمترله.

السادس عشر:أي فرنساوي كان قد ضرب أحد المراكشيين فلا يمكن ان يعذب إلا بعد ما يدعو القنصل المعين ويستقصي الحال الفرنساوي الضارب فإذا عرض بأن الضارب هرب فليس علاقة على القنصل.

السابع عشر:فإذا عرض ما يضاد هذه العهدة الحاضرة فليس بلازم أن يكون نوع من انواع العداوة إلا بعد حجة منع من القاضي.

الثامن عشر: وإذا كان أحد قراصين بلاد فرنسا أومملكة مراكش عمل ضررا ما لبعض المراكب الفرنساوية أو المراكشية الذين يجدهم في البحر فليعذب هو وجماعته المسلحون معه.

التاسع عشر: وإذا كانت الهدنة والصلح الحاضر الآن المعقود بين الأنبرور الفرنساوي والأنبرور المراكشي وسلطان فاس إنقضى وإنقطع معاذ الله أن تكون ذلك ،فكل تجار فرنسا الموجودين في حذاء الأراضي التي تحت

حكم الأنبرور المراكشي وسلطان فاس يمكنهم أن يخرجوا إلى أين ما أشتهوا وأحبوا من غير معارضة إلى نحـــو ثلاثة أشهر من الزمان.

العشرين: فهذه العقود والشروط مبرهنة ومثبتة من أنبرور فرنسا ومن أنبرور مراكش وسلطان فـــاس وتبقـــى متداولة بين رعاياهم مدة من الزمان أعني ستة ستة سنين وأخيرا إذا أحتج أحد بحجة مت من الجهل فليصـــيروا مهجورين ومتوخين أخبارهم على الحيطان والأسواق وفي كل موضع يلزم فيه الضرورة لفعل ذلـــك،تحررت هذه الشروط في مدينة سان جرمان في العشرين يوما من المحرم الحرام فاتح ثلاث وتسعين وألف من الهجرة.

الحمد لله وحده هذا الصلح إنعقد ووافق عليه الحاج تميم غلام مولانا نصره الله ووفقه الله بمنه نصه على ما به من التصحيف والتحريف.

ملخص المعاهدة:

أبرمت هذه المعاهدة بناء على معاهدة 29جانفي 1681م واحتوت على عشرين بندا،مبينة كالتالي:

البند01-توقيف كل أشكال العداوة والمقاتلة بين البلدين بالبر والبحر.

البندين 02و03 أمن التجار والرعايا بين الطرفين في البر والبحر،وتنظيم المراكب في موانئ البلدين.

البندين4و5 حول الترتيبات المفروضة على سفن الأعداء للبلدين "الجزائر وتونس".

البندين 06و07 تسليم المراكب الجانحة أو المتضررة مع حمولتها ،على أن يؤدى لمن ســـاعد علـــى إنقاذهـــا أجره،وألا يكون قنصل فرنسا ملزما بدفع ضرائب جمركية على تلك البضائع التي يستعملها في حاجاته الخاصة.

البنود08 و09و 10وهي تنظم المسائل التجارية بين البلدين.

البند11 يتضمن بعض الترتيبات على سفن الجزائر وطرابلس وتونس.

البند12 يتضمن حق إقامة القنصليات في سلا وتطوان ،أو أي مكان أخر يراه ملك فرنسا مناســـبا لمســـاعدة التجار الفرنسيين في كل ما يحتاجون إليه.

البند 13 يتضمن إجراءات التقاضي بالنسبة للرعايا الفرنسيين في التراب المغربي.

البند 14و15 يتمحور حول عدم إلزام القنصل بأداء ديون مواطنيه ،ويكون هو وارث الهالك من الفرنسيين،في حين يعفي البند الخامس عشر القنصل من أداء الضرائب المفروضة على مؤو نته والبضائع اللازمة لعيشـــه وفي أخر البند جاء أن محاكمة فرنسي ضرب مغربيا لا يتم إلا بحضور القنصل الفرنسي.

البنود17،18و19 تنظم القراصنة الفرنسيين الخارجين على قانون فرنسا،ومستقبل هذا الصلح.

البند20 تشترط مصادقة عاهلي البلدين على المعاهدة.

الملحق الحادي عشر:

رسالة من لويس الرابع عشر إلى مولاي إسماعيل تتعلق بتهاني لويس الرابع عشر بمناسبة جلوس مولاي إسماعيل على العرش[1]

{إلى الملك الأعظم المقتدر ،حبيبنا الأغر،قد بلغنا بكل فرح خبر جلوسكم على الملك وما أنتم عليه من حسن المعاملة مع من بمملكتكم من تجار النصارى وما سهلتموه للرهبان من فك أسارى الفرنسيس الماسورين لديكم وإنما كان بيني وبين من سبقك من الملوك من صدقر المحبة وحميد السيرة،وحسن معاملة رعايا بعضنا بعض،يحملنا على اليقين،بان تحسنوا قبول ما يعرضه عليكم بالنيابة عنا السيد" صامويل دود"من مبادلة بعض لنا من أسارى عندكم ببعض مالكم من الأسارى عندنا،والكل مما كان أسرته المراكب البحرية بسلا،وها نحن وجهنا مع السفير المنكور عشرة من أسارى المسلمين وكلفناه بقبض بدلهم عشرة من أسرانا من الحق والإحسان ينفي عنا كل شك في نجاح المطلب وفي حسن التعامل إستقبالا ،ولا ننسى جميلكم وإحسانكم أبدا،ولإني على يقين من أنكم أمرتم ضباطكم ورؤساء رعيتكم بإعطاء الحرية التامة في التجارة لمن يتجر من رعيتنا بمملكتكم وهذا مما يزيد في توثيق أواصر المحبة بيننا وبينكم ونطلب من الله أيها الملك الأعظم المقتدر الحبيب الأعز أن يزيد في علو مقامك مع حسن الختام.

حرر في عاصمتنا الملوكية، باريس،بتاريخ 12أوت 1672م.}

---

[1] كتبت هذه الرسالة بتاريخ 12 أوت 1672م،تعويظا عن الرسالة المكتوبة للسلطان مولاي الرشيد بتاريخ 23 فيفري 1672م والتي لم تصل لصاحبها،أنظر دوكاستري:م.م.ت.م ،السلسلة الثانية،دولة العلويين، المجلد01، ص 434.

-الملحق الثاني عشر:

– رسالة لويس الرابع عشر إلى مولاي إسماعيل تتعلق بأمور السلام بين لويس الرابع عشر والسلطان مولاي إسماعيل [1]

{ عن الملك إلى ملك مراكش الأمير الأعظم المقتدر حبيبنا الأعز،فقد بلغنا بكل فرح كتابك المؤرخ بثلاثين جوان 1681م،من كل ما ذكر لنا سفيركم الحاج محمد،مما أمرتموه به ،حقق لنا بأن مرادكم الأصدق هو إعادة المهاذنة معا والإدامة عليها من غير تغير وحملنا ذلك على قبول شروط عقد المهاذنة،الذي عقد بأمرنا مع سفيركم الحاج محمد المذكور،ومما كان من مرادنا حمل جميع مملكتنا على العمل بمقتضى تلك السروط ما دمتمراضين بها ،فلا شك ان تأمروا رعيتكم بالعمل بمقتضاها كذلك ليدوم ثبوت ما وعد به من طرفنا وطرفكم،وأما سفيركم فقد قام بكل ما أمرتموه به تمام القيام،وسررنا بحسن سيرته سرورا عظيما وأعتمدنا عليه في تبليغكم إحساساتنا نحوكم،إلى أن نعرفكم بها بكيفية خصوصية بواسطة من يقتضي نظرنا توجيهه إليكم والمسؤول من الله أن يجعلكم دائما تحت رعايته ،بالامير الأعلى الأعظم المقتدر،من محبكم الصديق لويس الرابع عشر.

كتب بسان جيرمان،في 12 فيفري 1682م.}

---

[1] توحد نسخة أصلية من هذه الرسالة في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس،في الأرشيف رقم:(sous-serie A.F.Fod des affaires étrangéres .A.E.B1 832 8320 841) أنظر:دوكاستري:المرجع السابق،ص629.

-الملحق الثالث عشر:

-صورة السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف ثالث سلاطين الدولة العلوية: [1]

[1] أنظر،محمد الصغير اليفرني: المرجع السابق،وهي صورة أضافها محقق الكتاب،ص44 .

-الملحق الرابع عشر:

- صورة ملك فرنسا لويس الرابع عشر 1643 م-1715م: [1]

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم:**المرجع السابق**، ج2،ص67.

-الملحق الخامس عشر:

-صورة ملك إسبانيا كارلوص الثاني 1665م-1700م: [1]

(1) Marie-francoise Maquart:**L'Espagne de Charle ii et la France, 1665-1700**,press univ-Murail, Toulouse 2000,p 07-10.

بيبليوغرافية الدراسة

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم** : برواية ورش عن نافع .

أولا – المصادر العربية

2- أفوقاي أحمد بن قاسم الحجري :**رحلة أفوقاي (مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب) 1611م–1613م** ، تحقيق محمد رزوق ، ط1، السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي.

3- البوريني الحسن بن محمد: تراجم الأعيان من أبناء الزمان،تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق،ج 2، دمشق 1959.

4– السلطان المولى عبد الحفيظ: **داء العطب قديم**، ضبطه وحققه محمد الراضي كنون الإدريسي الحسن،مخطوط الخزانة الحسنيةبالرباط، تحت رقم 11400، غير منشور.

5- الغساني محمد الأندلسي:**رحلة الوزير في إفتكاك الأسير(1690م/1691م)** تحقيق نوري الجراح،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبوظبي2002.

6- القادري محمد بن الطيب:**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**،تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق،دار الغرب الإسامي،بيروت 1996.

7- المجهول : **تأريخ الدولة السعدية الدرعية التّكمدارتية** ، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة ، ط1،دار تينمل للطباعة والنشر ، مراكش 1994م.

8- الوزان حسن بن محمد الفاسي:**وصف إفريقيا**،ط2،ج1،تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1983 .

9–اليفرني محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله السوسي ثم المراكشي:**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**،تقديم هوداس،مطبعة أرنست لورو،باريس1989.

10–اليفرني محمد الصغير:**روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**،تحقيق عبد الوهاب بنمنصور،ط3،المطبعة الملكية،الرباط2007 .

ثانيا– المصادر المعربة :

10-الوزان الحسن بن محمد الفاسي : **وصف إفريقيا** ، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، ج1، بيروت1983 .

11- مارمول كربخال: **إفريقيا**،ترجمة محمد حجي ومن معه، ج2، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط2007.

ثالثا : الوثائق المنشورة باللغة الأجنبية :

A) Documents:

1-Anne Mmézin,Anne pétrotin-Dumon:**Correspondances des consuls de frances à cadix(1666/1792**)inventaire analytique de la sous-serie(AE/B/I)211à235. non publié **.**

B) Livres:

1-Dan(P**):Histoire de Barbarie et ses corsaires,**paris 1649.

2- De la faye jean,B,Denis Mackar**: relation en forme d journal du voyage pour la redemption des captifs aux royaume de maroc et alger,pendant les annés 1723,1724,1725,**ed sevestre,paris 1726.

3- De Castries Henry **: Sources inedites du L'histoire du maroc1530-1845,**dynastie Saadienne,Archive et bibliotheques de France ,T1, Paris 1905.

4- De Castries Henry **: les sources inédites de L' histoire du Maroc ,1 e serie,** dynaste saadienne , Archives bibliothèques D'Angleterre , T2 , Paul geuthner , paris et Luzace , londre .

5-De Castries Henry **: les sources inédites de L' histoire du Maroc ,1 serie,** Dynaste saadienne , Archives Bibliothèques de France , T2 , éditeur Ernest leroux , paris 1909.

6- De castries Henry: **les sources inédites de L' histoire du Maroc** ,1serie dynastie saadienne , Archives bibliothèques holland , T1 , éditeur Ernest leroux , paris 1909.

7-De castries (H), Cénival (p.de) et Cossé-rissac (p.de). - **Les sources inédites de l'histoire du Maroc de 1530 à 1845**, 2e série. Dynastie alaouite. Archives et bibliothèques de France. (Paris, 1922-1953, 5 vol. in-4°. [Publications de la Section historique du Maroc.]

8- De Castries Henry: **les sources inedites de l' histoire du marocde 1530 au 1845**,1 er serie,dynastie saadienne, france ,tome 01,ernest lebroux,paris 1905.

09-(F) Bernard le Roy: **relation de ce qui sést passé dans les trois voyages que les religieux de l'ordre de notre dame de la merci ont faits dans les etats**

du roy de maroc pour la redemption des captifs en 1704,1708,1712,coustelier,paris 1724

10-Laigue Issac :**Prince d' orange et de nasseau**,vol 02,halma 1711.

11-Meman®:**le materiel de la marine de guerre sous louis xiv(1660/1690**)hachette,paris 1636.

12-P.(Busnot):**Relation de ce qui cést passé dans les trois voyages que les religieux de notre d'ame de la merci on fait dans les etats du roi du maroc pour la redemption des captifs en 1704,1708,1712**, paris 1724.

13- Ricard Robert et de laveronne Chantal et autres: **sources inédites de l'Histoire du maroc** ,1 serie dynastie saadienne ,Archive et bibliothèque de Portugal , T6 ,1552-1580.Paris 1953.

14-Sieur Mouette:**Histoire des conquétes de Moulay Archid connu souf le nom de roy de de Tafilelt et de Moulay ismail,ou semein son frére,et son successeur a présent regnant**, , paris 1683.

15- Soulier Pierre et Pierre Bernard : **Léxpedition de L édit de nante** , edition Antoiné dezallier , 1683.

16- Savary Jacque :**Dictionnaire universel de commerce**,vol 01,ed veuve,paris 1748

رابعا – المراجع العربية :

1- أملي حسن:**الجهاد البحري بمصب أبي الرقراق**،ط1،منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء 1997.

2- بن خروف عمار : **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي** ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، ج1، الجزائر 2006.

3- بن خروف عمار: **العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي** ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، ج2، الجزائر 2008.

4- بشتاوي عادل سعيد : **الأندلسيون المواركة** ، ط1، مطابع أنترناسيول،القاهرة 1983.

5- التازي عبد الهادي:**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**،ج09،مط فضالة،المحمدية المغرب 1988.

6-الجمل شوقي عطا الله :**تاريخ المغرب العربي الكبير** ،ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة1977 .

7- الجمل شوقي عطا الله : **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب) ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1977.

8 – الجمل شوقي وعبد الله عبد الرزاق:**تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة**،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،القاهرة 2000.

9- الجمل شوقي عطا الله وعبد الرزاق عبد الله : **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** ، ط2 ، دار الزهراء ، الرياض 2002 .

10- حركات إبراهيم : **السياسة والمجتمع في العصر السعدي** ،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء 1985.

11- حجي محمد : **موسوعة أعلام المغرب** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1997.

12- حجي محمد:**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ،مط الوطنية،الرباط 1964.

13- حركات إبراهيم : **المغرب عبر التاريخ** ، ط1، دار الرشاد الحديثة ،ج 2 ، الدار البيضاء ، المغرب1978.

14- الخرازي بديعة: **تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الاقصى**،ط1،مط المعارف الجديدة،الرباط 2000.

15- داود محمد : **مختصر تاريخ تطوان** ،ط2،مط المهدية،تطوان ،المغرب1955 .

16- رزوق محمد : **دراسات في تاريخ المغرب** ، ط1، دار إفريقيا الشرق ، دار البيضاء ، المغرب 1991.

17- الأرقش دلندة وأخرون:**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**،مركز النشر الجامعي،ميدياكوم ،المغرب2003.

18- الرباطي محمد بن عبد السلام :**تاريخ الضعيف الرباطي**،تحقيق محمد البوزيدي،ط02،ج01،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء،المغرب2007.

19-رمضان عبد العظيم : **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج1، القاهرة 1999.

20– بن زيدان عبد الرحمان : **الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة** ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط 1973.

21– بن زيدان عبد الرحمن:**المترع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**،تحقيق عبد الهادي التازي،ط1،مط إديال،الدار البيضاء 1993.

22– زيدان عبد الكريم:**مجموعة بحوث فقهية**،ط1،مؤسسة الرسالة،بغداد1982م.

23 –الزياني أبو القاسم :**الترجمان المعرب في دول المشرق والمغرب** ،مط الجمهورية،باريس1886.

24– السويكت فهد بن محمد:**سفارة عبد الله بن عائشة إلى بلاط لويس الرابع عشر،أسبابها ونتائجها**،مط الجمعية التاريخية السعودية ،الرياضن،2004.

25– السلاوي **أبو العباس أحمد بن خالد:الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري ، 9ج، دار الكتاب، ج7 ، الدار البيضاء ، المغرب 1955.

26– المستي قنديل محمد:**رحلة الوزير الغساني إلى بلاد الإسبان**،ندوة كلية الأداب بجامعة الكويت،منشورات جامعة الكويت ،الكويت2007.

27– الشاذلي عبد اللطيف: **الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17**، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1982.

28– بنعبدالله عبد العزيز:**السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ** ،المعهد الوطني للدراسات القضائية،الرباط 1985 .

29–العبيدي إبراهيم بن خلف:**حركة الجهاد البحري في المغرب خلال العهد العلوي**،منشورات المجمع العلمي،بغداد 2002.

30– بنعبدالله عبد العزيز:**السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ** ،المعهد الوطني للدراسات القضائية،الرباط1985.

31– فارس محمد خير ومحمد علي عامر: **تاريخ المغرب العربي الحديث** (المغرب الأقصى ، ليبيا) منشورات دار دمشق، دمشق1999

32– فارس محمد خير و محمود علي عامر: **تاريخ المغرب العربي الحديث** ، منشورات جامعة دمشق، 2000/1999.

33– فارس محمد خير و محمود علي عامر:**تاريخ المغرب العربي الحديث"المغرب الأقصى،ليبيا**"منشورات جامعة دمشق،1999م.

34- قدوري عبد المجيد : **المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر**،المركز الثقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء 2000.

35-قنان جمال: **معاهـــدات الجزائـــر مـــع فرنســـا1610-1830م**،طبعـــة خاصـــة لـــوزارة المجاهدين،الجزائر2007.

36- كريم عبد الكريم : **المغرب في عهد الدولة السعدية**،ط2، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء1978.

37-نايت بلقاسم مولود قاسم:شخصية الجزائرالدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م،ط2،دارالأمة للطباعة والنشر والتوزيع،ج2،الجزائر2007.

38- بنيس عبد الحي:**البعثات الدينية الإسبانية إلى المغرب ودورها خلال النصف الثاني من القرن 17**،ط1،منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية،الدار البيضاء1997.

39- يحي جلال: **المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب** ، ط1 المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية، 1983

خامسا – المراجع المعربة :

01- بيرين هنري : **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية** ، تعريب وتحقيق عطية القوصي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1996.

02- جفري براون : **تاريخ أوروبا الحديث** ، تعريب علي المرزوقي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن 2006 .

03- ديورانت ورل : **قصة الحضارة** ،ترجمة فؤاد أندراوس وعلي أدهم ،ج02،مج07،دار الجبل،بيروت1986 .

04- جوليان شارل أندري : **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ، ج2، الدار التونسية للنشر ، تونس 1985 .

05-هيرمن كندر،فيرنر هيلغمن:**أطلس (D.T.V)تاريخ العالم من البدايات حتى الزمن الحاضر**،تعريب إلياس الحلو،ط1،المطبعة الشرقية،بيروت 2003 .

سادسا – المراجع الأجنبية :

1- Abadies Louis :**Oran et Mers El kébir,vestiges du passé espagnols** ,serre ed,paris 2002.

2-Antoine de la tour: La Baie de cadix, ed.Michel Levy,paris 1858.

3-André julien Charle : **Histoire d'afrique du nord**,payot,paris 1931.

4 - BercéIve Marie:**louis 14,le cavalier bleu,**paris 2005.

5-Bernard Gena Patrice petit etante :**Rocroy 1643, verités et controverses sur une Bataille de Legende** , office de tourisme de Nord –Ouest ardennes 2007.

6-Brignon et autre:**Histoire du maroc**,ed hatier,paris 1999.

7 -Badin Adolphe**:jean bart**,hachette,paris1867 **.**

8- Boutin Abel : **les traités de paix et de commerce de la France avec la Barbarie** 1515/1830,a pedone,paris 1902.

9- Bennassar Bartolomé et Lucile :**les chretiens d'allah,l'histoire extraordinaire des renegats(xvi/xvii)**siecles,perrin,paris1991.

10 -Bouasria Bouchta:**Bab Mansour paris**, eddif,paris1999.

.

11- Corbiére Phillipe:**Histoire de l'glise réformé de Montpelier depuis son origine jusqu'à nos jours**,paris 1861. .

12 - Combes Francois : **Histoire generale de la diplomatie europeeune, Histoire de la formation de L équilibre Europeéne par les traites de westphalé et** des pyréneés , imp , de N , lemquet , paris 1884

13- Carrasco Raphael:**l'espagne des validos(1598/1645)**,press universitaire du mirail 2009.

14 - Cacula Anne Maris,Marie gabaron:**Adhesion et resistance a l'tat en France et en Espagne**,press universitaire de bordeaux 2001.

15- Cocard Hugues : **l'ordre de la merci en France 1575,1792,un ordre voué a la liberation des captifs**,l'harmattan,paris 2007

16- Deregnaucourt Gilles ,didier poton:**la vie religieuse en France au 16éme et17éme siecles**,ed ophrys,paris 1994.

17- De Beau Louis clair poril saint-aulane:**histoire de la fronde**,vol 1,paris1827.

18- De Card Rouard : **Une compagnie francaise dans L émpire du Maroc au XVlle Siecle** A. Pedone , edi , paris 1908.

19- De Circout Albert : **Histoire des Mores Medsjares et des Mourisque ou des arabes Medsjares et des Mourisque ou des arabes D éspagne Sous la domination des chretiens** , T 03 , Paris 1846.

20- De Card Rouard : **les Traités de la France avec les Pays de L a'frique du Nord Algerie , tunisie , Tripolie ,Maroc**) A. Pedone , edi , paris 1906.

21- Dnéaud Alfred **:Histoire de la marine francaises,des origines a la fin du 19éme siecles**,ed l'ancre de marine,saint malo 2002.

22- Donéaud Alfred : **Histoire de la Marine francaise , des origigunes a la finXIX siecle**, Editins L àncre DE Marine , saint Malo , 2002.

23- Delsalle Paul **: La France inderstrielle aux xVIe, XVIIe, XVIIIe , siecle** , paris 1993.

24- Delsalle Paul:**le cadre de vie en France au xviéme,xviiéme,xviiiéme siécles,synthése histoire** ,ophrys1995.

25- Dunlop John Colin :**Memoire of spain during the reigns of philips 05,and charle 02,**london 1834.

26- De la Croix Pherotée : **Relation universelle de l afrique ancienne et moderne** ,tome 01, amamarlay 1688.

27-De Card Rouard (e):**les traités entre la France et le maroc,etude historique et juridique** ,a pedone ed,paris 1898.
28-De Cornot Cussy Ferdinand :**Recueil des traités de commerces et de navigation de la France**,paris 1835 .
.
29-De Brottone Pierre:**lettres,hnstructions,memoires de colbert**,vol04,ed imperiale,1867

30-Dominique et Michéle frémy**:QUID 1996,**éditions Robert Laffont,paris1995,pp 1142,114

31-Eugéne Sue**: Histoire de la marine francaise,**vol 01,imp,A,éverat,paris1836.

32-Elleng Fridman**:Spanish captives in north africa in the early modern age,**Wisconsin 1983.

33-Fransais Loirette **: Létat et la région, L éxemple de Loquitaine au XVIIe , siècle,** presses universitairés , Bordeaux 1998.

34- Feros Antonio **: Kingshep and Fanopitism in the spain of Philip ш 1598-1621,**London 2006.

35- Garnot Benoit **: La population française aux 16éme et 17éme et 18éme siécles,**paris1988**.**

36-Godart Leon **: Description et histoire du maroc,**ed.tanera,paris 1860 .

37- Guerin Leon **:Histoire maritime de France,t03,**ed dufour et malat,paris 1854.

38- Galibart leon **:l' algerie ancienne et moderne depuis les premiers etablissement des carthaginois j' usqua la prise de la smalah d'abdelkader,**furn et-cie,paris 1844.

39- Godard Léon **: Description et histoire du Maroc ,** Editeur Librairie pour L art Militaire Et les sciences ,S.D, paris .

40-H. Henry Stein **: un faux diplomate au XVlle Siècle,** paris 1888.

41- Hoefer Ferdinand **:Afrique australe,capde bonne esperance,empire de maroc,**firmindidot ed,paris 1848.

42- (H de)Grammot**:Un épisode déplomatique a alger au xviii e siécles,**paris 1882.

43-(J.de)Leon,Chantale de la veronne**:Vie de moulay ismail**,paris 1974.

44-Marie-Francise Maquart:L'Espagne de Charle ii et de la France 1665-1700,press- univ**,**Muraille,Toulouse 2000.

45- Michele Jules**:richelieu et la fronde,**channerot ed, paris 1858.

46-Masson(P)**:les galéres de France,marseille port de guerre(1841/1781),**hachette,paris 1938.

47- Madeltke klaus **: les traités de paix de westphaleé et l' oiganisation politique du saint empiré Romain germanique revue Dix – septeme Siecle** ,NO210 ,paris 2001.

48- Mercier Ernest :**Histoire de l afrique septentionale (Berberie)depuis les temps recule jusqua la conquete francais,4eme partie,** edition elibon ,paris 2005.

49- Moureau Francois **: Captifs en Méditerrané XVIe et XVIIe Siecle** , Press , de L université ,Paris , Sorbonne ,paris 2000.

50-Maziane Laila **:Salé et ses corsaires1666/1727,un port de course marocain au xviie siecles,**pub,univ-rouen havre 2007.

51-Masson Paul **:Histoire des etablissements et des commerse francais dans l afrique barbaresque(15601793)alger,tunnis,tripoli,maroc,**hachette,paris1903

52-Masson Paul **:les galéres de frances,**hachette, paris.

52-Méchoulan Henry **:l'etat classique,regard sur la pensée politique de la France dans le seconde 17e siecles,**vrin 1996.

53 -Marteille Jean**:Memoire d'un galerien,**paris 1928.

54-Magali Morsy**:Thomas pellow,une lecture du maroc du 18e siecles**,paris.

55-(M)Paul**:Histoire des Etablissements et du commerce francais,**Hachette,paris,1903.

56-Michel Pierre **: le journal des savants ,**vol,22,paris 1695

57-Nekrouf Younes :**Une amitié orageuse de moulay ismail et louis xiv**,ed albin michel,paris 1987

58-Penz(CH)**:Les rois de France et le Maroc de marie de Médicis à louis 14,**2éme serie,ed A,Moynier,casablanca 1945.

59- Plantet Eugéne **:Moulay Ismail Empereur du Maroc et La princesse de conti ,** paris 1883.

60- Penz Charles **: Les captifs francais du maroc au 17e siecles ,1577-1699,**e d of,paris 1944.

61-Plantet Egéne**: Moulay ismail Empreur du maroc et la princesse de conti,** paris 1893.

62-Plantet(E) **:Correspondance des deys d'alger avec la cour de France(1579/1833**)t01,paris 1889.

63-Eugéne Plantet**:Correspondance des deys d'alger avec la cour de France(1579/1833),tome 02,**paris 1889.

64-Patrick Villiers**:Les corsaires du littoral(1568/1713)**press univ,septentriom 2000

65-P . Christian **: Histoires des Pirates et des corsaires de L Ocean et dela méditerrané,depuis leur ougines jusqua nos jours ,** T1 , Carvalles edition , paris 1844.

66-R.A.Stradling**:Philip iv and the governement of spain (1621/1665),**cambridge university press,paris 2002.

67−®Coindreaus:**les corsaires de salé,** paris 1948.

68- Rezette Robert**:les Englaves Espagnoles au maroc,**ed latines, paris 1976 .

69-R.Dozy:**Lettre a M.Fluster,contenant des remarques critiques et explicatives sur le texte d'al-makari,** paris 1871**.**

70- Sue Eugéne : Histoire de la Marine francaise, vol, ol imp , A E verat ,paris 1836.

71- Savine Albert **: Dans les fers du Maghreb des Chrétiens ex laves au Maroc XVlle et XVllIe siècle ,** Editions Michaud , Paris 1905.

72-Thomassy**:Le maroc,relations de la France avec cet empire,**3e ed,imp remquet,paris1859

73 -Villiers Patrick **: Les corsaires du littorale , Dunkerque , phyllipeéıı A louis Xl** 1568-1713, paris 2000.

74- Zuili Marc **:Sociétés et Economie de l'Espagne au 16éme et 17éme siecles**,paris 2000.

سابعا – المقالات المنشورة :

في مجلة دعوة الحق المغربية:

1- الجراري عبد الله : **أبو النصر المولى إسماعيل** في مجلة دعوة الحق ، الرباط 1967، عدد4.

2- حجي محمد:**الدور السياسي للزاوية الدلائية** ، مقال في مجلة دعوة الحق المغربية ، العدد 4 ، فيفري 1965.

3- بن خضراء عثمان: **السلطان مولاي إسماعيل وعلاقاته بالدول الأوروبية**،في مجلة دعوة الحق،العدد383، 2005.

4- السقاط عبد الجواد : **من تاريخ الحركة الثقافية في عهد المولى إسماعيل** ، في مجلة دعوة الحق، الرباط 1986، عدد 258.

5- السايح محمد : **المولى إسماعيل العلوي** ، في مجلة دعوة الحق ، الرباط 1959، عدد 2.

6- الفقيقي حسن:**مواقف جهادية للمولى الرشيد والمولى إسماعيل في الدفاع عن مليلة**،مجلة دعوة الحق،العدد258،الرباط1986

2- في مجلة الدراسات التاريخية:

1- بن خروف عمار: **ملامح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين** ، في مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر ، عدد 3، سنة1997.

2- بوزينب الحسين: **من العرائش الى فضالة أربعة عقود ونصف من الإستراتيجية الاسبانية في احتلال مراسي مغربية** (1578م/1624م) في مجلة التاريخ العربي،العدد13،الإمارات العربية المتحدة،2000 .

3- في مجلة البينة:

1-الفاسي محمد:**الرحلات السفارية في عهد العلويين**،مجلة البينة،السنة الأولى،العدد05،1962.

4- في مجلة منبر الجامعة:

1- إخوان زهراء:**صورة المغرب في أوروبا في القرنين 17و18،من خلال بعض الكتابات الأوروبية**،مجلة منبر الجامعة،العدد03،جامعة مولاي إسماعيل،مكناس2001 .

5-في مجلة تيطوان:

1- بن العربي الصديق ،**طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب**،مجلة تطوان،العدد01،يصدرها مركز الأبحاث المغربية والأندلسية،تيطوان 1956.

6 – في مجلة التاريخ العربي

1- بوزينب حسين: **مذكرة الراهب خوليان باستور تحث على إحتلال قصبة الرباط،وتتكلم عن المورسكيين والسعديين والعياشي والدلائيين وغيلان وبداية العلويين**،مجلة التاريخ العربي،العدد22،أبو ظبي 2002.

2- بوزينب حسين : **من العرايش إلى فضالة أربعة عقود ونصف من الإستراتيجية الإسبانية في احتلال مراسي مغربية 1578م/1624م** ،في مجلة التاريخ العربي ، جمعية المؤرخين المغاربة ، عدد 13 ، شتاء 2000.

4 – في مجلة البحث العلمي:

1- العمراني عبد الله:**سياسة مولاي إسماعيل الخارجية** ،مجلة البحث العلمي،تصدرها جامعة محمد الخامس،العددان4و5 ،الرباط1965.

5- في مجلة مكناسة:

1- إخوان زهراء: **بدايات إستقرار أليات التدخل الأوروبي في المغرب**،مجلة مكناسة،العدد 11،جامعة مكناس،1997.

6- في مجلة معهد المخطوطات العربية:

1- عبد البديع لطفي:**وثيقة مراكشية بالإسبانية،كتاب مولاي إسماعيل سلطان مراكش إلى كرلوص الثاني ملك إسبانيا**،مجلة معهد المخطوطات العربية،المجلد03،ج01،تصدر عن الجامعة العربية،ماي 1959.

7- أبو إدريس إدريس:**الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي**،الندوة الدولية المقامة من أيام03-31ماي و1و4جوان1997م،سلا،المغرب،منشورات جمعية سلا،المغرب

8- أرحيلة عباس: **مدينة العرايش من الاحتلال إلى التحرر الإسماعيلي** ، مدونة الكاتب بتاريخ 19-02-2009.

9- بكور محمد:**آليات الدبلوماسية المغربية ومسألة التجاوز**،مقال منشور في موسوعة دهشة،بتاريخ29جانفي 2011.

تامنا –المجلات الأجنبية :

1-Amedie Gréham**:Demande de mariage par mulley ismail,**France maritime,t04,pa

2-Chantal de la Verrone : **Quelque Processions de captifs en France a leur retour du Maroc d Alger ou de Tunisie** , in revue de L O'occident musulman et la méditerrané n° 08,1970.

3-Graham.H.Gorge**:Numismatique Mahométane**,in revue de L'orient,de L'algerie et des colonies,vol 04, paris 1844.

4-Henry koehler**:Les exécutions sanglantes de moulei ismail et les captifs chretiens d'après un manuscrite inedit de son temps**,Bulletin hispanique,tome35,1933.

5-Laila Maziane**:Les Captifs Europiens en terre Marocaine,au 17/18 e siecles,**cahiers de la mediterranée ,n065,2002

6-Leila Maziane**:Salé au17éme siecles,terre d'asile morisque sur le littoral Atlantique marocain,**cahiers de la mediterranée,n 79,2009

7-Laila Maziane**:Les captifs Européens en terre marocaine aux 17e et 18e siécles,**cahiers de la mediterranée,n 65,2002

8-Mercedes Garcia Azenal **: Un reconfort pour ceux qui sont dans l' attente ,** revue de l h'istoire des religions **,** T220, NO 04 , 2003.

9-Mercedes Garcia Azenal**: Ibn Abbi Mahali,**in revue du M.M.M, N° 91,2000.

10-Mercedes Garcia arzenal**: Un rconfort pour ceux qui sont dans l attente,** revue de l' histoire des religions **,**tome220,n 04,2003.

11-Nahvidad Planas**:Les majorquins,le monde musulman,a l'epoque Moderne,**bulletin hispanique,t 02,1991**.**

تاسعا – الرسائل الجامعية باللغة العربية :

1- بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغـــرب (1516–1659م)** ، رســـالة ماجستير في التاريخ الحديث ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ، 1983م

2- عنان عبد الرحمن:**السفارة ودورها في تدعيم العلاقات الدولية ،دراسة مقارنة بـــين الفقـــه الإسلامي والقانون الدولي** ،مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة والقانون،إشراف عبد المجيد بوكركب،جامعة الحاج لخضر،باتنة2008/2009م.

عاشرا – الرسائل الجامعية باللغة الأجنبية

1-Rabih Saied**:Deux Ambassadeurs Marocaines en France au 17e siècles,images et représentation de la France du 17e siècles chez deux ambassadeurs marocains,**maitrises d Histoire ,sous direction du Jean Gallet et Christophe Duchandelle,univ de Picardie, Jjule Verne,1998/1999.

2- Rabih Saied**: Le Regard Français sur les envoyés Marocaines du 17e siecles et 18e siecles ,** memoires de D.E.A,sous direction de Jean Pierre Dutail,univ paris 03,vincennes saint-denis 1993/2000.

الفهارس

- **فهرس الأعلام .**
- **فهرس الأماكن والبلدان .**
- **فهرس القبائل والجماعات .**
- **فهرس المحتويات .**

فهرس الأعلام :ملاحظة تسقط كلمة ابن و أبو من الأعلام.

(أ)

أحمد بن زيدان:19.
أحمد المنصور: 22. 25 . 46
أنطونيو شالدانيا: 23 .
أفوقاي: 25. 45
إسماعيل:29. 61
أحمد بن محرز : 29.
أوليفارس: 41.
أحمد الغازولي:44.
أنطوان دي بوربون:45. 48
أنطوان جوليان :48.
إسحق رازيلي: 51.
أبي محلي: 54.
إيستيل:63.
أنطوان تروفان:67.
أحمد بن حدو:77
أنطوان ريمون:80.
أنطوان غيلان: 81.
أمير أورانج:90.
أنطوان ماري:109.
إبراهام ديكسن: 112.
أليفر كروموبل:128.
إبراهيم خوجة:131.
أمادوا دياز: 135.
أنطوان ميني: 138.
أنوشينيوس الثالث:141.
ألونزو دي خيمينيس ماريا: 142.
الفريس ميقايل برادو: 144.
ألونزو سييرا:145.
أوزن حسن:157.

(ب)

أبو بكر الدلائي:20.
بيرو بنيغاش:23.
برا أندري: 47.
بوركارون: 47
بواي:48
بيير مارت:47
بيير سيتراني: 48
بيغون ميشال: 66
بونشراتران: ،70
بواي توساني دي كاسيس:82.
بوابي أنطوان:82.
بريتيول: 71
بيتيس دو لاكروا:74.
بوليو : 75
بن قاية:76.
بيدرو سانت أولون: 77.
براسول أنطوان جوليان : 80.
براسول فرنسوا جوليان . 80.
بيير كوتي:80
بيير بلييي:81.
سيلي:81.
بلافرج:134.
باركو: 134.

بونال:83.
بيير إيستيل:84.
بيار ديي دالب : 86.
بيير دي كاتالان:90، 113،124.
البارون بوانتيس:100.
بونتشارترين: 102، 106.
برودار : 112.
بريت ويت:114.
بتينو:117.
بلقاسم الشاوي:126.
بيتانتيا وكنتين: 128.
بابا رمضان : 128
بارقاش: 134.
بن نصار : 134.
بلاميتو:135.
بيدرو كولاني: 138.
بيير تولاسك:141.
باليستار دو كاستيلو: 145.
بارتيليمي:145.
بيار دو سيلار:145.
بيدرو ألان:145.
بارتيلومي إيسبينوزا:145.
البوكيرك فرانسيسكو:168.

(ت)

توماس لوجونز:50.
تورسي:72
تيلو:135

(ج)

جيانيتو مورتارا: 23.
جوستاف أدولف:33.
جان الرابع:41.
جون بابتيست:50.
جيانتيتو مورتارا:52 .
جون بروشار:68 .
جون بابتيست إيستل:69 ،81 .
جولي جان:89 .
جون بارت:92. 106.
جون ديستري:98 .
جيرمان مويت:115.
جاك ميراسول:131.
جيروم فليبو:131. 156
جون ماسكاريناس:134 .
جون دي مونتار:137 .
جيمي كزاراس:145.
جوزف فيرناندين:145 .
جيروم سبنوزا: 145.
جيرو لامو دي كاستلفرانو: 155.
جاك ميراسول:156.

جوس كوستينيون:100
جوزي دوليون:115.
جيرومي فليبو:156.

(ح)

أبي حسون السملالي:20.
الحران:29.
الحاج محمد تميم:63.
الحاج محمد عبد القادر: 64.
الحاج محمد التاج: 95.
الحاكم:107.
الحاج علي معنينو:112.
حسن أوزن:131.
حمو بن عبد الله الفاسي:150.

(خ)

الخضر غيلان: 26. 29. 55.
خوان دي ريبير:40.
خوان لدوبكو رودريغو:53.
خوليان باستور :56. 127.
خوان دال بيورتو: 139.
خوان غريغوريو:145.
خوان دو سان أوغيستان :155.

(د)

بودميعة:22.
دوق سافوا:.31.
دوق ميمورسي:33 .
دوق كوندي:34.
دوق سوسون: 34.
دوق ليرما: 39. 39.
دوق أوليفارس: 39.
ديماس:45.
دوليسل: 46.
دوكاستري: 56.
دبلون الحاج:63.
دي طورسي: 66.
ديني دوزو:72.
دي كونتي:74.
دو قارصو:75.
ديكين:75.
دي فاتري:82.
دي لاكلوزي:83.
دي بيتين:92.
الداي شعبان:102.
الداي مصطفى:103.
الدون أنطونيو:138.
دييغو دو لوس أنخليس:142.
الأب دييغو:156.

دولاكروا:68.
دي كوتلجن:70.
دولاجاي:70.
الدون مانويل بيردلون:158.
الدون أبيل ميسيا:158.

(ر)

الرشيد:21. 61. 89.
روشيليو: 32. 34.
رودريغو دي سانتيفان: 53.
روي صامويل:64.
الرايس التاج: 68.
رولاند فريجيوس: 88.
الرايس معيز: 106.
الرايس محمد الحاج قنديل:106.
روجي كواندرو:107.
روبير بلاك: 128.
الرايس بيبي: 135.
ريني سيبارفيلا: 168.

(ز)

زيدان:18. 19. 44. 46 .47. 55. 57.

(س)

سيدي فارس: 45.
سانت مالو:66.
سيتيايلي: 67.
سانت أمانس: 69. 74.
سانت أولون: 69.
سيميون: 82.
سانت لويس: 138.
سانت ماري: 138.
سانت يعقوب: 138.
سان خوان دوماطا: 147.

(ش)

الشريف بن علي: 21.
شامبلين:33.
شاطو رونو:64. 92 .99
شارل أنري جوليان: 77.
شعبان: 102.
شارل الثاني: 127.
شارل الخامس: 164.

(ع)

عبد الله بن المامون: 18.
عبد الله بن الشيخ: 18. 19.
عبد الملك بن الشيخ: 19.
علي معنينو:64.
علي بن عبد الله: 64.
عمر بن حدو الحمامي: 64. 92. 99.

العياشي: 20. 21. 55.
علي بن أحمد:21 . 76.
علي غيلان:22.
عبد الواحد بن عاشر: 25.
علي بن أبي طالب: 26.
أبي عبد الله محمد الحاج الدلائي: 27.
علي بن الشريف:29.
أبو العباس الحجري الأندلسي: 45.
عبد الله الغالب: 45.
عبد الملك بن زيدان:46
عبد الله بن الشيخ المامون: 54.
علي بن عبد الله الحمامي التمسماني: 63. 111.
علي مارينو:68.
عبد الله بن عائشة:69. 106.
عثمان باشا: 101.
علي الحاج حسين باشا: 101.
عبد الرحمن: 106.
أبو عمار بودي: 106.
علي بن عبد الله: 111.
عبد الحق معنينو: 112.
عمر بن حدو: 123.
عبد الله أعراص البطيوي: 123.
عبد السلام بن أحمد جسوس: 151.

(غ)

غيوم بيرار: 46.
غاسبار دي راستين: 47.
غيلان الجرفطي: 55
غارسو: 89.
الغساني: 153.

(ف)

أبو فارس: 18. 19.
فيليب الثاني: 23. 52.
فيليب الثالث: 23. 39.
فيليب الرابع: 33.
فورنيي: 46.
فراي نيكولاس دي فيلاكو: 56.
فيلاكو: 56.
فابر: 69.
فرانسوا بيتيس دولاكروا:70
فريجيوس:83.
فنيش:107.
فرنسيس الأسيزي: 141
فرديناند دو رولينغي: 100.
فرانسيسكو الفاريس: 145.
فيليب الثاني:155.
فراي خوان موتور: 156.
الفاريس ميغايل برادو: 156.
فيليب دانجو: 160.
الفراي دييغو دي لس أنخلس: 160.
فرانسيسكو دي كستيلو فخارو مركيز دي فيليا دریاس:162.
فيليب الخامس: 163.

فرانسيسكو فرناندو دو سان خوسي: 142.
فراي خوان موتور: 144.
فرانسيسكو كوليكوس:145.
فرانسيسكو دي شوسو:145.

(ق)

أبو القاسم الغول الفشتالي:25.
قيوم بيرار: 44.
قنديل:107.
القاضي البوعناني: 130.
قاريا دي ليبيريا: 145.

(ك)

كلود دي ماس:23.
كولبير: 36. 37. 65. 66. 67. 111.
كريستوبال دي ساندوفال: 39.
كوريول: 46.
كاستيلان: 47.
كاسبار دي راستاف: 47.
كلود ديماس: 50.
كونترليراس: 57.
كليرامبو: 73.
كوتلغان: 99.
كبالير دو ليدو: 126.
كارامكو: 134.
كزارس جيمي: 145.
كارلوص الثاني: 145. 150. 154.
جاك ميراسول: 156.
كارلوص الثاني: 161.
الكسندر الثامن:162.

(ل)

لويس الرابع عشـــر:31. 34. 35. 36. 63 . 64. 67. 86 .
اللورد ساندويتش: 40.
لويس كابريط: 44.
لويس الثالث عشر: 44.
لويس الرابع عشر: 61. 67 . 86.
لوفيفر دولابار: 65. 92. 93.
لومير:82.
لامبير:83.
لويس دو سان أغستان: 114. 142.

(م)

(ن)

نانسي دو كاسار:100.

(هـــ)

هنري الثالث: 31.
هنري الرابع: 31. 32. 33. 34 . 36 . 46.
هنري برا: 48.
هرقل: 86.
هتري برات:98.

(و)

الوليد بن زيدان: 19. 54.
الورديان دياكو دي لوس انخلس:135.

(ي)

يحي الحاحي: 20.

م)

المنصور: 18 .24.
محمد الشيخ المامون: 18، 19، 22، 52، 57، 58 .
محمد زغودة: 19.
أبو مروان عبد الملك بن زيدان : 19.
محمد الشيخ الأصغر : 20 .48.
أبي محلي:20، 22. 54.
محمد بن أحمد العياشي: 20.
محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي: 20 ،21.
أبو محلي : 22.
المولى الحسن: 22.
محمد بن أبي بكر:22 .
محمد بن الشريف:22. **26**. 28. 101.
مرين:23.
مولاي علي الشريف : 26، 27.
المولى الشريف:27.
مولاي محمد:27.
أبي محلي:54.
محمد تميم:64. 66. 68. 93. 94.
المراكشي:64.
محمد سوسان:69. 70.
محمد التاغري:69.
مورباس: 72 .
محمد بن حدو:78.
ماكدولين : 83.
مازران:88.
محمد التاج:95. 112.
محرز:101. مولاي عبد الملك:102.
محمد الحاج قنديل:106.
ماثيو كروا:106.
معيز:106.
محمد رايس:106.
مونتزان:106.

أبي مشعل:27.
مولاي الرشيد:27. 48، 62، 90.
محمد الصغير:28 .
المولى إسماعيل بن محمد الشريف:28 ، 29،30 ، 53، 61، 65 ، 74 ، 86، 147، 149.
المولى الحران:29.
المولى هاشم: 29.
ماري دو ميديسي:31، 34.
ماكسيميليان:33.
مازاران:35، 36.
مولاي زيدان: 44، 46، 49، 56، 72.
مولاي الوليد: 46. 49.
المولى الناصر:ا52.
مكار:117.
مركيز دو ليدو: 125.
مصطفى الثاني بن محمد: 130.
محمد بقطاش:130.
مويت:140.
محمد بن صوفة:146.
مانويل أبانيس:147.
المارسيلي: 42.
ميقايل برادو:156.
مانويل دوفيرا لوبو:156.
محمد بن الطيب القادري:156.
محمد بكداش:157.
المركيز دي فيلا فوفيا:158.

فهرس الأماكن والبلدان :

(أ)

أبي الرقراق:18، 19.
إليغ:22.
إسبانيا: 23. 26.
إفريقيا:23.
آيير: 23.
الأطلس الكبير: 27.
الظهرة: 27.
تافرطة:27.
أنكاد:27.
أليس:32.
ألبرس:33.
إيطاليا:33.
ألمانيا:33.
الأقاليم المتحدة: 33.
الأراضي المنخفضة:33.
أوران:38.
أسيا: 38.
إيسيدا: 39.
أغادير:44. 48.
أمستردام:44.
أسفي: 48. 50.
أمكدول: 48.
أصيلا: 53. 125.
إسطنبول: 54.
الأندلس: 56.
أنجير: 67.
أمبواز: 71.
إسلامية: 73.
أم الربيع: 75.
الأزور: 106.

إنكلترا:34.
إنغوليم:34.
أرخبيل البهاماس:36.
أمريكا:36.
إيبيريا:133.
إكستريمادورا: 133.
أمريكا اللاتينية: 136.
الإسكوريال:163.

(ب)

بطن الرمان:21.
بومزرزرة: 21.
بلاد السوس: 28.
بارتيليمو: 32 .
بيجي: 32.
بينيرول:33.
براغ: 33. 34.
البرينيه:33.
بافاريا:34.
البرانس:34.
البندقية:36 .
البرتغال: 40. 51.
بلنسية:41.
باريس:44. 67. 112.
بلوا: 67.
بروفنسال: 69.
برست: 70.
برج نوتردام:71.
بواسي روجر: 83.
البريجة: 130.
بادس:130.

(ت)

تلمسان:18، 101.
تيطوان:19، 45، 46، 58، 81، 85، 104.
التوات: 24.
تافيلالت: 26.
تافرطة: 26.
تازا:28.
تونس: 41 ،91، 120.
تادلا: 55.
تادارت:66.

(ج)

الجامع الأخضر:28.
جيز:31.
جيز: 32.
جكس: 33.
جزر الكاريبي: 33.
الجزائر: 64. 102.
جبل طارق: 73. 104.
جبال الأطلسي: 75.
الجرف: 105.
جزر الأزور: 136.

الجديدة:49، 50.

(ح)

الحواتة: 18.

حصن الكرزاز:129.

(د)

دمنات:27.

درعة:27.

دار أبي مشعل: 27.

دانكيرك: 34. 92. 104.

الدولة العثمانية: 54.

دير مراكش: 56.

الدوكالة: 75.

دار سلم: 79.

دار حرب: 79.

الدير الفرنسيسكاني: 115.

(ر)

رقراق:18. 20. 50.

الريف: 27.

روكروا: 34.

روسيون: 38.

الرباط: 50.

رين: 71.

الروى: 115.

راغون: 146.

(ز)

الزاوية الدلائية: 20. 27.

(س)

سوس: 20. 22.

سلا: 20. 47. 80.

سجلماسة: 22. 54.

السودان: 24.

سبتة: 30. 51. 63.

السويد: 33.

سان جيرمان: 67.

السوريون: 67.

سبو:123.

سيسيليا:163.

(ش)

شمال إفريقيا: 25.

الشلف: 102.

(ط)

الأطلس المتوسط: 27.
الأطلس الكبير: 27.
طنجة: 51. 123.
طولون: 104.

(ظ)

الظهرة: 27.

(ع)

العرائش: 19. 22.
عياشة: 56.
العمور: 102.
عين ماضي: 102.

(غ)

غرناطة: 64.
الغاسول: 102.

(ف)

فاس:18. 19. 21.
فرنسا:26. 31.
الفالنتيين: 33.
فرانتش كونتيه: 33. 38.
فاندوم: 34.
فلاندر: 50.
فضالة: 54.
فرساي: 66. 67.
فان: 67.

(ق)

القصر الكبير:21.
القاعة: 27.
القبلة: 27.
القصر الصغير:49.
القصبة: 50.
قادش:53. 90. 113.
القبيبات: 124.
قشتالة: 146.

(ك)

كارت: 27.
كندا: 33.
كتالونيا: 40.
كباليرو دوليدو: 126.
الكناري: 136

(ل)

لابروس: 32.
ليون: 33.
لوتزن: 33.
لشبونة: 40.
ليون: 146.

(م)

مراكش: 18. 19. 24.
المغرب: 18. 20.
مكناس: 21. 114.
المعمورة: 23.
مسول: 27.
مليلة: 30.
مونبوليي: 32.
مانتو:33.
ميونيخ: 34.
ميلان: 38.
المغرب: 41.
مدريد: 41.
المقاطعات المتحدة: 44.
مرسيليا: 45.
مراكش: 50.
المعمورة: 52. 64.
مرسيليا: 63.
المهدية: 64.
المزمة: 83. 88.
معسكر: 103.
المحيط الأطلسي: 104.
ماديرا: 106.
مالطا: 110.
موقادور: 113.
مليلية: 126.
ماديرا: 136.
ميورقة: 146. 163.
مكناسة: 163.

(ن)

نافار: 31. 163.
النمسا: 33.
نورد ليتز: 33.
نوتردام: 67.
نهر ملوية: 102.

نابلي: 38.
نانت: 67. 71.
نبارة: 146.
نوميديا: 163.

(هـــ)

الهبط: 22. 55.
هولندا: 40.
هورناتشوش: 133.
الهند: 163.

(و)

وادي أم الربيع: 18.
وادي بوحريرة: 21.
وجدة: 27.
وادي تدغة: 27.
وستفاليا: 40
وادي المخازن: 53.
وهران:129.
هولندا: 40.

(ي)

يوجي: 33.

فهرس القبائل والجماعات :

(أ)

أهل فاس: 18.
أهل مراكش: 18.
الإكليروس:18.
الإسبان: 19.
أولاد أبي الليف:23.
الأوروبيين: 25.
الأندلسيين: 42.
الإيطالية: 53.
الإسبان: 61.
الأسيرات:78.
الأيالة الجزائرية: 90.
أتراك: 53.
الأنكشارية: 54
الإسبان: 55.
الأندلسيون المنصرون:127.
إنكليزية: 91.
الأوروبية: 101.
الإنكليز: 129.
الأتراك: 130.
العثمانيون: 130.
الأندلسيون المنصرون: 133.
الأعلاج: 134.
المرسدير: 141.
آل البوربون: 163.

(ب)

البرتغاليين:21. 53.
البوربون: 31.
البروتستانت: 31.
البرجوازيين: 33.
الباشاوات:54.
بني يزناسن: 56.
بني سويد:101.
بني عامر:101.

(ت)

التيطوانيون: 56.
التونسيين: 78.

(ث)

الثالوث المقدس: 141.

(ج)

جيش الوداية: 30.
الجزائريين: 78.

(ح)

الحييانة: 21.
حميان: 102.

(د)

الدلائيين: 21. 22. 101.

(و)

الريفيين: 77.
رولان وميشيل فريجيوس: 84.

(ز)

الزبيريين: 22.
زناتة:27.

(س)

السعديين: 21.
السوسيين:22.
السعديين: 54.
السفراء:71.
السلاويين: 56، 73.
سويد: 101.

(ش)

الشابانات: 20.

(ط)

الطبقة الثالثة: 34.

الطرابلسيين: 78.

الطرق الصوفية: 123.

(ع)

الأعلاج: 19.

عائلة النقسيس: 21.

العلويين: 22.

العلوج: 25.

عبيد البخاري: 29.

العلوية: 61.

(غ)

الغربيون: 69.

(ف)

فرقة: المغافرة: 30.

فرقة: الوداية: 30.

الفالوا: 31.

الفروند:35.

الفرنسيين: 61. 63. 68.

فرسان مالطا: 132.

الفرنسيسكان: 141.

(ق)

قبائل الشراقة: 27.

القراصنة: 78.

(ك)

الكاثوليك: 31.

الإكليروس: 34. 35.

الكورتس: 41.

(م)

المورسكيين:20. 25.

المرينيين: 22.

ملوك الطوائف: 26.

المارسيلية: 84.

المنظمات الدينية: 116.

المذهب الثالوثي: 116.

المواركة: 41.
المغاربة: 54. 63.
عائلة مورتس: 83.
المدجنون: 134.
الموريسك: 134.
ماراتوس: 134.

(ن)

النقسيين:21.
النصارى: 22. 57. 70
النبلاء: 34. 37.

(هـــ)

الهجنوت: 31. 32.
الهولنديين: 54.
هولندي: 113
الهورناشيون: 127.

(و)

الوطاسيون: 22.
الوداية: 27.

(ي)

الإيبيريين: 20.
اليهود: 117.

فهرس المحتويات

الإهداء

الشكر والتقدير **الصفحة**

مقدمة:..... 1

الفصل المدخلي : لمحة عن أوضاع المغرب و فرنسا وإسبانيا وعلاقته معهماقبل سنة 1659م.

المبحث الأول: أوضاع المغرب قبيل سنة 1659م 19

أولا– النزاع على الملك و ضعف الدولة السعدية..... 19

ثانيا– التفكك والتجزؤ 21

ثالثا– تجدد الغزو الأجنبي..... 24

رابعا– التدهور الاقتصادي والاجتماعي..... 25

خامسا– ظهور الدولة العلوية وسياستها الداخلية..... 27

المبحث الثاني:الأوضاع العامة في فرنسا وإسبانيا قبيل سنة 1659م..... 32

1–الأوضاع العامة في فرنسا قبيل سنة 1659م 31

–ظهور عائلة البوربون والملكية المطلقة..... 31

– إنهاء الحروب الدينية..... 32

–مجابهة أوروبا **33**

–الإضطرابات الداخلية..... 34

– النهوض بالبحرية..... 35

– الحالة الإقتصادية والإجتماعية..... 36

2– أوضاع إسبانيا قبيل سنة 1659م 38

– تراجع الدور الإسباني في العالم وضعف النظام الملكي وفساده 39

– حروب إسبانيا في أوربا..... 39

– الأزمات والإضطرابات الداخلية 40

– الأزمة الإقتصادية والإجتماعية..... 42

المبحث الثالث:علاقات المغرب الأقصى السياسية مع فرنسا وإسبانيا قبيل سنة 1659م.. 45

1– علاقات المغرب الأقصى السياسية مع فرنسا قبيل سنة 1659م 45

أ-السفارات المغربية لدى البلاط الفرنسي قبيل 1659م..... 45
ب- التواجد الفرنسي في المغرب..... 46
- إنشاء الممثليات القنصلية..... 46
- إقامة وعقد إتفاقيات مع مختلف القوى المغربية..... 49
- التواجد التجاري الفرنسي..... 50
- قضايا القرصنة والأسرى..... 51
2- علاقات المغرب الأقصى السياسية مع إسبانيا قبيل سنة 1659م 52
- إستراتيجية إسبانيا في السيطرة على الموانئ المغربية..... 52
- الردود المغربية للدفاع عن الثغور..... 55
-عمليات إفتداء الأسرى بين الجانبين 56
- الجهاد البحري والقرصنة الدولية في الموانئ المغربية..... 57
-الجوسسة الإسبانية في البلاط المغربي..... 58
الباب الأول:العلاقات السياسية بين المغرب وفرنسا(1659م-1727م)..... 62
الفصل الأول: علاقات السلم والوئام..... 63
المبحث الأول: العلاقات الدبلوماسية وتبادل السفارات بين البلدين..... 64
أ- السفارات المغربية إلى البلاط الفرنسي..... 64
ب- السفارات الفرنسية إلى الأراضي المغربية..... 75
المبحث الثاني: القنصليات الفرنسية في المغرب ودور الرسائل في السلم والوئام..... 80
أ-القناصل الفرنسيين في التراب المغربي 1659م-1718م..... 81
ب- دور الرسائل في السلم والوئام..... 85
1- مراسلات مولاي إسماعيل إلى البلاط الفرنسي..... 85
2- مراسلات لويس الرابع عشر إلى السلطان مولاي إسماعيل 87
المبحث الثالث: التبادل التجاري وربط للمعاهدات 1659م-1727م..... 89
1- التبادل التجاري..... 89
2- الإتفاقيات والمعاهدات بين الدولتين..... 92
الفصل الثاني: العلاقات العدائية والصدامية..... 98
المبحث الأول:الحملات الفرنسية على المغرب(1670م-1728م)..... 99

أ- الحملات الفرنسية على المغرب(1670م-1728م)..... 100
ب- الحملة المغربية على الجزائر والدور الفرنسي فيها..... 102
المبحث الثاني : الجهاد البحري المغربي والقرصنة المتبادلة..... 105
أ- دور مدينة سلا..... 105
ب- أهم رياس البحر المغاربة..... 106
المبحث الثالث:مسائل الأسرى بين الدولتين..... 110
1- الأسرى المغاربة في فرنسا..... 110
2- الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى 1672م-1727م..... 114
الباب الثاني: العلاقات السياسية بين المغرب وإسبانيا (1659م-1727م)..... 121
- **الفصل الأول:علاقات الصدام والمواجهة**..... 123
المبحث الأول:تحرير وحصار الثغور المحتلة..... 124
أ-العرائش..... 125
ب- أصيلة..... 126
ج- سبتة 126
د- مليلية 127
المبحث الثاني: الجهاد البحري(القرصنة) 133
أ- الجهاد البحري المغربي ضد الإسبان..... 133
ب- مظاهر الجهاد البحري السلاوي ضد الإسبان..... 137
المبحث الثالث:قضايا الأسرى بين البلدين..... 140
أ- الأسرى الإسبان في المغرب (1659م-1727م)..... 140
ب-دور البعثات الدينية الإسبانية في قضايا الأسرى بالمغرب..... 142
ج- الأسرى المغاربة في إسبانيا(1659م-1727م)..... 147
الفصل الثاني:علاقات السلم والمهادنة..... 150
المبحث الأول:تبادل السفارات بين البلدين..... 151
أ- السفارات المغربية إلى إسبانيا(1659م-1727م)..... 151
ب- السفارات الإسبانية إلى المغرب(1659م-1727م)..... 155
المبحث الثاني:دور الرسائل في العلاقات بين الدولتين..... 159
أ- النموذج الأول..... 159

ب- التمودج الثاني..... 162
ج–النمودج الثالث..... 164
المبحث الثالث:المبادلات التجارية بين المغرب وإسبانيا وأثرها في العلاقات..... 166
1– القرارات التجارية الإسبانية اتجاه المغرب وتأثر المغرب بها سياسيا..... 166
2-إستعمال المسائل التجارية في الصراع بين الدولتين..... 168
الخاتمة..... 173
الملاحق..... 177
بيبليوغرافيا الدراسة..... 199
الفـــهـــارس..... 214

Ministère de l'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Centre Universitaire de Ghardaïa
Institut des sciences humaines et sociales
Section Histoire

Le Titre de la Mémoire

Relations politiques du Maroc avec les pays de l'Europe Méditerranéenne (France et Espagne) du1069 H – 1659 / 1139 H - 1727

Thèse du Magistère

Etudiant : Bengaid Amar

Encadreur:le professeur Benkherouf Amar

Année universitaire:2010/2011

Résumé

Dés la chute de la dynastie sàadienne en 1659,le Maroc a subi une évolution par l'apparition d'une nouvelle dynastie, celle du chérifs Alaouites,qui ont mis une nouvelle politique d'affrontement et d' hostilité,tendue sur les aspects du djihad maritime ou la course,et les mesures de la captivité entre les deux rives,et une relation pacifique concentrée sur les formes diplomatiques (ambassadeurs,consuls..)et des lettres entre les souverains,ainsi que les relations commerciales.

Dans ce contexte ,pourquoi le Maroc n'a pas consentie et investie ces relations avec ces pays européens (France,Espagne) pour le mieux de son point positive et civilisationnaires? et pourquoi il na pas réussi à libérer ses enclaves?

A ce point la ,on arrive à exprimer cette relations sur trois aspects:

* les conditions et l'état du Maroc et de la France ainsi que l'Espagne à la 1ére moitié du XVIIe siècle:

Le Maroc est entré dans la 1ere moitié du XVIIe siècle,dans une situation politique et économique et sociale très précaires,qui s'améliorait à une guerre civile entre les fils du sultan Ahmed Almansour,qui à constitué a une décentralisation de la vie politique indépendante,poursuivie par une grave durée de maladie et pauvreté et de faim, sur le point social,ces aspects ont faits l'arrivée d'une nouvelle dynastie, celle des Alaouites,proclamé par Moulay le chérif au 1636,et Moulay Mohammed jusqu'au 1666,et Moulay Rachid du 1666 au 1672,et l'arrivée du Moulay Ismail à partir du 1672,qui est considéré comme le vrai fondateur de l'état Alaouite au temps moderne.

La France et l'Espagne au 1ere moitié du XVIIe siècle:

A la France,La mort d'Henri IV en 1610 ouvre une période d'instabilité politique, Avec un caractère absolu du pouvoir monarchique, les désordres renaissent à la tête de l'Etat. Durant ce premier XVIIe siècle, la centralisation étatique se poursuit, menant à un renforcement du pouvoir royal. Les troubles qui secouent cette période. c'est ainsi que ses aspects:

- Le ministériat de Louis XIII et Richelieu et du cardinal Mazarin.
- L'affaiblissement des protestants français.

-L'augmentation considérable de la pression fiscale, nécessitée par la guerre, provoque de nombreux soulèvements populaires.

-Louis XIII et le cardinal de Richelieu s'engagent dans la guerre de Trente ans auprès des princes allemands protestants pour réduire la puissance de la dynastie des Habsbourg, d' Espagne.

-La Fronde (1648-1652)

Au XVII^{éme} siècle déjà, l'Espagne avait amorcé son déclin (L'Espagne au XVII^{éme} siècle, alors ses caractéristiques sont:
-une crise politique.
-une société en crise.
-crise économique

- du XVIéme siècle a en quelque sorte « stérilisé » l'activité industrielle et favorisé l'importation.L'agriculture rentre en décadence, privilégeant l'élevage d'ovin et la culture des céréales, obligeant l'Espagne a importer chaque année plus de blé. Une fiscalité excessive et des prix trop élevés (par rapport aux prix étrangers) expliquent également la crise.

- Crise démographique**:**s'explique par plusieurs facteurs :

- La crise débute avec la baisse de l'arrivée des métaux précieux d'Amérique (due notamment au développement de la piraterie) vers 1600. Mais aussi, l'afflux de l'or et de l'argent américain au cours L'émigration d'hommes jeunes et actifs vers le Nouveau Monde.
- L'expulsion des morisques de 1609 à 1611 (près de 275 000).
- Les épidémies de peste (en particulier celle de 1630) et disettes.
- Les pertes sur les champs de bataille.
- Le nombre trop élevé de célibataires (hommes d'Eglise, soldats et marins, domestiques et mendiants).

- Le dépeçage des territoires**(**les Provinces-Unies**,** Le Portugal 1640**).**

<u>Les relations politiques pacifiques marocaines,avec la France et l'Espagne du 1659 au 1727:</u>
Les relations pacifiques entre le Maroc et les pays européens Méditerranéenne (la France et l'Espagne) ont subi surtout sur les aspects et les points suivants:

- relations diplomatiques qui s'avèrent sur tout les envoyés et ambassades et missions marocains en France et en Espagne,comme EL Hadj Mohammed Tamim en France(1681-1682 et 1685)et l'ambassade de Abdallâh Ben Aicha en 1698-1699,ainsi que la mission du Mohammed ibn Hammo el Wazir,en Espagne en 1690-1691,ainsi que les missions françaises dans ce pays comme les ambassades de monsieur ,de Saint Amand au 1683,et de monsieur saint Olon en 1693, ainsi que les envoyés religieux espagnols pour la rédemption des captifs

Les relations diplomatique s'avèrent aussi sur les points suivants:
-les relations commerciales entre ces pays ,et les représentants des consuls français dans les ports marocains(salé,tétouane,Tanger…),et les traités de commerce et de paix et de trêve,comme le traité du 1682 qui avait pour objet de

régler les intérêts politiques et économiques des deux payes, et les lettres comme une tradition qui s'appuie ces relations avec ces payes. .

Les relations d' hostilité entre le Maroc et les pays européens ,la France et l'Espagne du 1659 au 1727:

Les relations s'entendent sur un système portuaire et les relations marocco-espagnoles-francaises aux (XVIIe-XVIIIe siècles) qui se dispose ent sur les points les plus forts de la tragédie,comme: :

-les agressions des batailles navales successive sur la mer.

-les attaques acharnée des français et Espagnols au port Marocains.

-les risques d'esclavage,au circonstance du piraterie des payés européens sur les rivages marocains,et le djihad maritime du marocaine envers ces attaques et les conséquences de ces faits ,comme les travaux forcés sur les galères.

-le captif continue d'être très prisée aussi bien dans les ports marocains, ainsi que dans les ports d'autre rive,des milliers d'hommes et de femmes qui tombèrent en esclavage

Dans tout ces aspects,l'Algérie,comme un état voisin a subi des circonstances successives sur tout les points de cette relation ,pacifique ou d'affrontement.

Et alors que ces relations n'ont donné aucun favori pour le Maroc,et surtout sur les points sensibles,comme l'enrichir du Développement et civilisation européens,et la libération des restes de ces côtes qui restaient au main des espagnols à nos jours.